



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

العلماء



رسالة
عليكم يا صابرين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

موسوعة أهل البيت الحضارية

الأمام محمد الجواد عليه السلام

مُعْجَزَةُ السَّمَاءِ فِي الْأَرْضِ

للكبير محمد حسين علي الصفير

مطبعة دار الحديث الحوزة العلمية - قم - إيران



دار الحديث

قم - إيران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام محمد الجواد عليه السلام معجزه السماء فى الارض

كاتب:

محمد حسين على الصغير

نشرت فى الطباعة:

بيروت

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|----|--|
| ٥ | الفهرس |
| ٨ | الامام محمد الجواد عليه السلام معجزة السماء في الارض |
| ٨ | اشارة |
| ٨ | المقدمة |
| ٩ | الامام محمد الجواد... سيرة |
| ٩ | ترجمة الامام في لمحات غراء |
| ١١ | نشأة الامام المثالية |
| ١٢ | خصائص الامام الانسانية |
| ١٤ | رعاية الامام لأوليائه في ذات الله |
| ١٦ | المناخ العرفاني في سلوك الامام |
| ١٧ | الامام في تقييم الأعلام |
| ١٩ | الامام الجواد و عصر السلاطين |
| ١٩ | الامام و ظواهر عصر السلاطين |
| ٢٣ | الامام في حكم المأمون |
| ٢٧ | الامام في عصر المعتصم |
| ٢٨ | الامام الجواد و القائم بالأمر |
| ٣٠ | الامام الجواد ... معجزة |
| ٣٠ | الامامة في سن الصبا... ظاهرة اعجازية |
| ٣٣ | الامام محمد الجواد في خضم الاختبار العلمي |
| ٣٥ | استقراء الغيب المجهول لدى الامام محمد الجواد |
| ٣٩ | اضطراب النظام العباسي... من الامام المعجزة |
| ٤٢ | الامام محمد الجواد... تراثيا |
| ٤٢ | علم أهل البيت في تراث الامام |

- ٤٥ مرويات الامام عن رسول الله و أميرالمؤمنين نموذجا
- ٤٨ الدور الريادى لتلامذة الامام فى نشر تراثه الخالد
- ٥٢ الألفاظ الجارية مجرى الأمثال فى تراث الامام
- ٥٣ الامام محمد الجواد... فقاهة
- ٥٣ مسائل ذات أهمية خاصة
- ٥٧ يحيى بن أكنم فى مسائله الامام
- ٥٩ الامام و فقهاء عصره فى بلاط المعتصم
- ٦٠ علل الأحكام عند الامام
- ٦١ الامام محمد الجواد... منظرا
- ٦٢ بيئة الفكر الكلامى فى عصر الامام
- ٦٣ قضايا التوحيد الالهى
- ٦٤ الامام يناظر فى السنة
- ٦٥ الامام محمد الجواد... شهيدا
- ٦٥ الامام يتوقع الشهادة
- ٦٦ كيفية اغتيال الامام
- ٦٧ دوافع اغتيال الامام
- ٦٩ تشييع جثمان الامام و دفنه
- ٦٩ مشهد الامام محمد الجواد فى الكاظمة المقدسة
- ٧١ قصيدتان للمؤلف فى الامام
- ٧١ اشاره
- ٧٢ الامام محمد الجواد
- ٧٢ فتى الرضا
- ٧٣ خاتمة المطاف و نتائج البحث
- ٧٤ باورقى

٨٧ ----- تعريف مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الامام محمد الجواد عليه السلام معجزة السماء في الارض

إشارة

عنوان الامام محمد الجواد عليه السلام معجزة السماء في الارض

پدید آورنده صغير، محمد حسين على، ١٩٣٩-م .

موضوع سرگذشتنامه = محمد بن على (ع)، امام نهم، ١٩٥ - ق ٢٢٠.

شماره ردیف ٦٢٥٦

مابقى فيلدها {١١٧} = {١٩}

شماره ثبت ٨٨٤٦

شرح پدید آور محمد حسين على الصغير

ناشر موسسه البلاغ

محل نشر بيروت

سال نشر ١٣٨٧ = ٢٠٠٨م = ١٤٢٩ق

رده کنگره ٨ فلا ٧ ص / BP٤٨

زبان عربى

نوع وزيرى = خريدارى ٨٩

يادداشت موسوعه اهل البيت الحضاريه = عربى = كتابنامه : ص . ٢٨٩ - ٣٠٨ همچنين به صورت زيرونويس = نمايه

مشخصات ظاهري ٣١٢ ص

نسخه ١

BARCODE ٨٨٤٦

وارد كنده اطلاعات

كنترل كنده اطلاعات محمدى

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم استهلكت حياة الامام محمد بن على الجواد (عليه السلام) فجرها المشرق بامامته فى سن مبكرة من عمره الشاب. وقد احتج البحث للامامة فى الصبا بمثل ما احتج به الله تعالى للنبوة، فقد بعث الله الله يحيى نبياً فى صباه، فقال تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة و آتيناك الحكيم صبياً) مريم / ١٢. و بعث الله عيسى بن مريم نبياً فى اليوم الأول من ولادته و قال فيما اقتص من خبره على لسانه: (قال انى عبد الله آتانى الكتاب و جعلنى نبياً) مريم / ٣٠. و لما كانت الامامة امتداداً طبيعياً للنبوة، و جاز أن يكون النبى صبياً، فلا مانع من جواز كون الامام صبياً من باب أولى. و قد نص الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام) على امامة ولده الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و تسلم قيادة الأمة فى السابعة من العمر، فكان معجزة فى امامته، و معجزة فى أدائه، و معجزة فى برهانه، و معجزة فى معارفه الانسانية الكبرى، و معجزة فى اللوح الغيبى فيما أخبر به، و أفتى، و استنبط، و قرر، و حاور، و ناظر مستقيماً على الخط المنهجى لأهل البيت فكراً و أصالة و قيادة حكيمة فذة. [صفحة ٦] و لهذا كله، عاد الامام «محمد الجواد معجزة السماء فى الأرض» يخترق نواميس الكون، و يستطيل سنن الحياة، فتخشع له العقول قبل الأبصار، و ترنو له القلوب بعد التجربة و الاختبار

الميداني. أصيبت الخلافة العباسية بالهلع والقلق لذلك العطاء الذي لا ينضب من هذا (الصبي الامام) اذ أراد مركز الحكم العباسي أن يجعل امامته المبكرة مادة للسخرية والاستهزاء بما يعبر عنه عند بعض الوافدين ب (أزمة الطفولة) و اذا بالسحر ينقلب على الساحر، فتعد امامة الجواد أعجوبة في الأبعاد كافة: رسالته، و أصالته، و ثروته، و قيادته، و زهدا، و ورعا، و عزة، و ثباتا، و صلابته، و كفايته. و وقف المسلمون و الحاكمون ذاهلين أمام هذه الظاهرة الجديد، فمواكب العلماء تترى بالسؤال و الافادة من هذا الصبي الامام، و شيوخ الأمة جاثية بين يديه تطلب المزيد، و أتباع أهل البيت (عليهم السلام) يزيدهم الحدث ايمانا، و يثبت قلوبهم اطمئنانا. و في ضوء ما تقدم تتجلى أهمية هذا الموضوع في البحث العلمي، و هذه الأطروحة تعنى بأهم الظواهر الايحائية التي أحاطت بمسيرة هذا الامام العظيم منذ ولادته حتى وفاته و هو ابن خمسة و عشرين ربيعا. و كانت هذه الرسالة قد انتظمت بسبعة فصول كالآتي: الفصل الأول: و عنوانه؛ (الامام محمد الجواد... سيرة) و تضمن المباحث الرئيسية بهذا الشكل: ١- ترجمة الامام في لمحات غراء. ٢- نشأة الامام المثالية. [صفحة ٧] ٣- خصائص الامام الانسانية. ٤- رعاية الامام لأولياته في ذات الله. ٥- المناخ العرفاني في سلوك الامام. ٦- الامام في تقييم الأعلام. الفصل الثاني: و عنوانه: (الامام محمد الجواد... و عصر السلاطين) و تضمن بدراسة موضوعية للمباحث الآتية: ١- الامام و ظواهر عصر السلاطين. ٢- الامام محمد الجواد في حياة المأمون. ٣- الامام محمد الجواد في عصر المعتصم. ٤- الامام محمد الجواد... و القوائم بالأمر. الفصل الثالث: و عنوانه (الامام محمد الجواد... معجزة) و تضمن بالبحث الرائد الدقيق الظواهر الآتية: ١- الامامة في سن الصبا... ظاهرة اعجازية. ٢- الامام محمد الجواد في خضم الاختبار العلمي. ٣- اضطراب النظام العباسي من الامام المعجزة. ٤- استقرار الغيب المجهول لدى الامام. الفصل الرابع: و عنوانه (الامام محمد الجواد... تراثيا) و تضمن بالتركيز المعمق المباحث الآتية: ١- علم أهل البيت في تراث الامام الجواد. ٢- مرويات الامام محمد الجواد عن: رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و أمير المؤمنين (عليه السلام) أنموذجا. [صفحة ٨] ٣- الدور الريادي لتلامذة الامام - الرواة و المؤلفين - في نشر تراثه الخالد. ٤- الألفاظ الجارية مجرى الأمثال في تراث الامام. الفصل الخامس: و عنوانه (الامام محمد الجواد... فقاهاة) و قد بحث الموضوعات الآتية: ١- مسائل ذات أهمية خاصة. ٢- يحيى بن أكرم في مسائل الامام. ٣- علل الأحكام عند الامام. الفصل السادس: و عنوانه (الامام محمد الجواد... منظرا) و تضمن العنوانات الآتية: ١- بيئة علم الكلام في عصر الامام. ٢- قضايا التوحيد الالهي. ٣- الامام يناظر في السنة. الفصل السابع: و عنوانه (الامام محمد الجواد... شهيدا) و قد أعطى تفصيلات مكثفة عن المباحث الآتية: ١- الامام محمد الجواد يتوقع الشهادة. ٢- كيفية اغتيال الامام. ٣- دوافع اغتيال الامام. ٤- تشييع جثمان الامام و دفنه. ٥- مشهد الامام في الكاظمية المقدسة. [صفحة ٩] و كانت مصادر هذا البحث و مراجعه تنتقل بين كتب الحديث، و الأثر، و الرواية، و التأريخ، و علم الكلام، و الأدب، و السيرة، و الترجمة، و كان النقد التاريخي و الاكتشاف المنهجي سبيل البحث دون التحايل على حقيقة البعد الموضوعي، فجاء البحث بموارده و استقرائه و وعيه الحضاري عصارة فكر، و خلاصة استنباط دقيق في نضائد تجارب الامام العظيم محمد بن علي الجواد، حاولت أن أكون فيه محللا- و منظرا و مكتشفا بأمانة و اخلاص فكان ذلك بحمد الله تعالى و بركة الامام (عليه السلام) و أردت أن أكون مؤصلا لشؤون لم تدرس من ذى قبل، فان أصبت فبفضل الله وحده، و ان كانت الأخرى، فلي من شرف القصد و نبيل الهدف ما يرفع بعض التقصير. (و ما تشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين) [١]. و ما توفيقى الا بالله العلي العظيم، عليه توكلت و اليه أنيب، و هو حسبنا و نعم الوكيل. النجف الأشرف / جامعة الكوفة محمد حسين علي الصغير [صفحة ١٣]

الامام محمد الجواد... سيرة

ترجمة الامام في لمحات غراء

باسمه تعالى الامام محمد الجواد بن الامام علي الرضا بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام

على زين العابدين بن الامام الحسين - سيد الشهداء - بن الامام على بن ابي طالب سيد الوصيين و قائد الغر المحجلين (صلوات الله عليهم أجمعين). و هو التاسع من أئمة أهل البيت المعصومين و خلفاء الله في العالمين. ولد في المدينة المنورة عام ١٩٥ من الهجرة النبوية المباركة. و اختلف في يوم ولادته و الشهر على أقوال أبرزها: ١- احدى ليالى شهر رمضان المبارك [٢]. ٢- ليلة الجمعة من شهر رمضان لتسع عشرة ليلة خلت منه، أو لسبع عشرة ليلة مضت منه، أو في منتصف شهر رمضان، أو في الخامس منه. [٣]. [صفحة ١٤] ٣- في رجب، العاشر منه، و هى الرواية المعمول بها في النجف الأشرف بخاصة و العراق بعامة في الاحتفاء بمولده الشريف منذ أدركنا ذلك. [٤]. و يؤيده ما خرج عن السفير الثالث لصاحب الأمر عجل الله فرجه، أعنى الشيخ أبا القاسم الحسين بن روح (قدس سره): ((اللهم انى أسألك بالمولودين فى رجب: محمد بن على الثانى (الامام الجواد) و ابنه على بن محمد المنتجب (الامام على الهادى)). يضاف الى ذلك قول ابن عياش: ((كان يوم العاشر من رجب مولد أبى جعفر الثانى (عليه السلام))) [٥]. و احتفى الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام)، و الهاشميون بهذا الوليد الجديد، و كان السرور غامرا لأهل بيت النبوة، و بهجة الامام الرضا ظاهرة بأشراقه نجله الوحيد، و أبدى عند ولادته من الاهتمام به ما روى عن السيدة حكيمه بنت الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، انها قالت: ((حضرت ولادة الخيزران أم أبى جعفر، و قد دعانى الرضا (عليه السلام) فقال: يا حكيمه! احضرى ولادتها، و ادخلى و اياها و القابلة بيتا، و وضع لنا مصباحا... فأخذه بعد الولادة و وضعه فى المهد، و قال لى: يا حكيمه الزمى مهده)). [٦]. [صفحة ١٥] و يبدو أن الامام (عليه السلام) قد سهر عنده لما ورد أنه ولد. «و كان طول ليلته يناغيه فى مهده» [٧]. و قد عبر الامام عن قيمة هذا الوليد الرسالية، و أعرب عن منزلته الكبرى بما قاله لأصحابه: «قد ولد لى شبيه موسى بن عمران فائق البحار، و شبيه عيسى بن مريم، قدست أم ولدته، قد خلقت طاهرة مطهرة» [٨]. و قد اجريت للامام مراسيم الاستحباب الشرعية على يد أبية الامام الرضا، كما هى عادة الأئمة الطاهرين (عليهم السلام). و أشاد الرضا (عليه السلام) بجلاله ولده منذ اليوم الأول، و أشار الى عظيم بركته فقد روى عن على بن أسباط، و عباد بن اسماعيل، قالوا: (انا لعند الرضا (عليه السلام) بمنى، اذ جىء بأبى جعفر (عليه السلام)، قلنا: هذا المولود المبارك؟ قال: نعم؛ هذا المولود الذى لم يولد فى الاسلام أعظم بركة منه) [٩]. و يبدو ان الامام الرضا (عليه السلام) كان يكرر هذا القول بالنسبة لولده الامام محمد الجواد، فقد روى أبو يحيى الصنعانى، قال: «كنت عند الامام الرضا، فجىء بابنه أبى جعفر (عليه السلام) و هو صغير، فقال: هذا المولود الذى لم يولد أعظم على شيعتنا بركة منه» [١٠]. [صفحة ١٦] و يظهر أن الامام (عليه السلام) يشير بلمح غيبى الى ما سيجرى على يدي ولده الامام محمد الجواد من الدلائل و البراهين - كما سنرى - التى تثبت أولياء أهل البيت (عليهم السلام) على مبدئهم، و التى تدفع بها الشبهات عن معتقدهم، فتشرب لذلك الأعناق، و تتطامن الأساطين، و تعفو العقول و الأفكار و كان الامام قد بشر أصحابه بما وهب له الله تعالى فقال: «ان الله قد وهب لى من يرثى و يرث من آل داوود» [١١]. و قد أضفى الامام الرضا (عليه السلام) الصفات المثلى على ولده، و بما يؤول اليه أمره، فيعبر عنه أنه: «الصادق و الصابر و الفاضل، و قره أعين المؤمنين، و غيظ الكافرين» [١٢]. و قد سمى الامام بما أعلنه الامام الرضا (عليه السلام): محمدا، و كناه بأبى جعفر. [١٣]. و أورد الشيخ الصدوق، قال: «سمى محمد بن على الثانى و عرف الامام بلقبه (الجواد) فكان علما له بين الناس و اشتهر ذلك على السنة الخلائق. و ظفر الامام بألقاب أبرزها: (المختار، و المرتضى، و المتوكل، و المتقى، و الزكى، و النقى، و المنتجب، و المرتضى، و القانع، و العالم» [١٤]. [صفحة ١٧] و كانت كنيته كنية جده الامام محمد الباقر (عليه السلام)، و هى: أبو جعفر، و للتفريق بينهما يقال للامام الباقر: أبو جعفر الأول، و يقال للامام الجواد: أبو جعفر الثانى. و كما اتحدت الكنيتان، فقد اتحد الاسمان ذاتا و أبا، فالامام الباقر: محمد بن على، و الامام الجواد: محمد بن على. و للتفريق بينهما فى الروايات يقال للامام الباقر: محمد بن على الأول. و يقال للامام الجواد: محمد بن على الثانى. و قد اشتهر الامام محمد الجواد فى العراق بأنه: (باب المراد) و امتد هذا التعبير عبر القصبات و البقاع و الأقاليم، فكان لقباً له عند جميع المسلمين، بل علما دالا عليه لأنه: «باب من أبواب الرحمة الالهية التى يلجأ اليها الملهوفون، و ذووا الحاجة لدفع ما ألم بهم من مكاره الدهر و فجاج الأيام». [١٥]. و كان تحقق المراد بالدعاء عند ضريحه الشريف أصل هذا

القلب، و كانت تلبية الطلبات لديه متواترة، حتى شاع ذلك بين الناس، و حتى يقال عند زيارته على السنة الجماهير الموقنة: السلام على باب المراد الامام محمد الجواد. أما أمه فهي السيدة الفاضلة سبيكة كما نص على ذلك المحققون [١٦]. [صفحة ١٨] و صحف في بعض المصادر الى سكينته. [١٧]. قد ورد أن الامام الرضا (عليه السلام) سماها: الخيزران [١٨]. و قيل أن اسمها: درة، كما في بعض المصادر. [١٩]. و سميت بمصادر أخرى باسم ريحانه. [٢٠]. و مهما يكن من أمر، فقد ورد أنها: «كانت أفضل نساء زمانها» [٢١]. و روى أنها كانت من أهل بيت ماريه القبطية أم ابراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم). [٢٢]. و ورد أيضا أنه: أبيض معتدل. [٢٣]. و في بعض الروايات أنه: شديد الأدمة [٢٤] أى شديد السمرة. و قد اعتبرت هذه الرواية شاذة، وعدّها سيدنا الأستاذ الخوئي من الموضوعات. [٢٥]. [صفحة ١٩] و مع هذا فقد ورد عن عسكر مولى الامام محمد الجواد (عليه السلام)، يقول: «دخلت عليه - يعنى الامام الجواد - فقلت فى نفسى: يا سبحان الله!! ما أشد سمرة مولاي و أضوء جسده!» [٢٦]. و ما تردد فى مسألة اللون، فهذا مما لا يؤخر شيئا و لا يقدمه، فهو خلق الله. و كان نقش خاتم الامام متميزا فى دلالتة، رفيعا فى مداركه، بز به الطغاة، و هزأ بالمستكبرين، اذ كتب عليه «العزة لله» [٢٧]. و قيل: ان نقش خاتمه: «نعم القادر الله» [٢٨]. و قيل: كان مكتوبا عليه: «حسبى الله». [٢٩]. و مهما يكن من أمر فهو مرتبط بالله عزوجل عزة، أو قدرة، أو حسبي. [صفحة ٢١]

نشأة الامام المثالية

نشأ الوليد المبارك فى ظل أبيه الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام)، و فى بيت المجد و الشرف الشامخ، بيت النبوة، و معدن الوحي، و مستقر التنزيل، و مختلف الملائكة المقربين. و قد غذاه أبوه روح الوحي و اليقظة، و منحه الحب الأبوى الخالص، و أشرف على تربيته الفذة بذاته المقدسة، فعاد مثلا للطفولة البريئة الواعية، و للصبا المتطور، فبرز منذ ذلك الحين نموذجا جديدا فى الأدب و الخلق و الفضيلة، و اعتبر مثلا فريدا للعلم و الحلم و الدين و المعارف الانسانية فى شتى حقولها. اتجهت له الأنظار صغيرا، و انجذبت له المشاعر و الأحاسيس يافعا، فهذا الصبى الامام حالة جديدة خارقة، لا شبيه له فى مؤهلاته، و لا نظير له فى قابلياته، فهو ابن أبيه حقا حذو القذة بالقذة، و غصن من تلك الشجرة الطيبة التى (أصلها ثابت و فرعها فى السماء) [٣٠] و من الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا. و لا مغالاة فيما قدمت، بل هو حكاية أمينة لواقع الامام الجواد (عليه السلام)، اذ كان الرمز الأسمى للمثالية بأدق معانيها و النموذج الأرقى للانسانية فى تفتح مداركه و مواهبه، و توهج معارفه و قيمه، و تبلور أفكاره و ذهنيته، و هو فى سن مبكرة رشحته للامامة فى السابعة من عمره، [صفحة ٢٢] تحديا لجبروت السلطان، و مقاومته لفقدان الشرعية فى الحكم، فكان ملء السمع و البصر قدرة و افاضة فى نشأة رائعة خلافة. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و هكذا فتح محمد بن على (الثانى) عينيه على الدنيا فى تلك الأجواء النقية المطهرة، و تربي و ترعرع فى تلك الأحضان الدافقة بالحب و الحنان، و حبا و سار على ذلك الصعيد المبارك المقدس، و نما و شب فى تلك البيئة الصالحة المصفاء، حتى أصبح ذلك الشارب الملائكى الذى تتطلع اليه النفوس قبل العيون، و تتملاه البصائر قبل الأبصار، و تنجذب اليه الأفئدة قبل الأسماع» [٣١]. و كان تكريم الامام الرضا لولده بالغا، و عنايته به فائقة، حتى روى أنه ما كان يذكره الا بكنيته، يقول: «كتب الى أبوجعفر، و كنت أكتب الى أبى جعفر و هو صبى فى المدينة فيخاطبه بالتعظيم»، و ترد كتب أبى جعفر فى نهاية البلاغة و الحسن فسمعتة يقول: «أبوجعفر وصبى و خليفتى فى أهلى من بعدى». هذا ما رواه محمد بن أبى عباد كاتب الامام الرضا (عليه السلام) [٣٢]. و الامام يكرر هذا المعنى و يشيعة بين أوليائه و أصحابه ليكونوا على بينه من الأمر، فعن محمد بن خلاد، قال: سمعت الرضا (عليه السلام)، و ذكر شيئا قال: ما حاجتكم الى ذلك؟ [صفحة ٢٣] «هذا أبوجعفر قد أجلسه مجلسى، و صيرته مكاني، و قال: انا أهل بيت يتوارث أصاغرنا أكابرنا حذو القذة بالقذة» [٣٣]. و كان الامام ينوه بخلافة ولده الامام محمد الجواد له من بعده، فقد قال جعفر بن محمد النوفلى للامام الرضا (عليه السلام) ما تأمرنى؟ قال الامام الرضا: عليك بابنى محمد من بعدى... [٣٤]. و قد تكرر هذا المعنى من قبل الامام حتى فى منفاه بخراسان فعن مسافر؛ قال: أمرنى أبو الحسن (عليه السلام)

بخراسان فقال: «الحق بأبي جعفر فإنه صاحبك» [٣٥]. وهكذا فهم أتباع أهل البيت منزلة الامام الجواد وشأنه، و موقعه من الامامة، و بدأوا يعظمونه و يجعلونه كما هو أهل لذلك. فهذا عم أبيه العبد الصالح على بن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) يكرمه و يحتفى به، بما يرويه محمد بن الحسن بن عمار، قال: (كنت جالسا عند علي بن جعفر بن محمد بالمدينة، و كنت أقمت عنده سنتين أكتبت عنه ما سمع من أخيه، يعني أبا الحسن - الامام موسى بن جعفر - اذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا المسجد - مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) -، فوثب علي بن جعفر بلا حذاء و لا رداء فقبل يده و عظمه. فقال له أبو جعفر (عليه السلام): يا عم اجلس رحمك الله. [صفحة ٢٤] فقال: يا سيدي كيف اجلس و أنت قائم؟ فلما رجع علي بن جعفر الى مجلسه، جعل أصحابه يوبخونه، و يقولون: أنت عم أبيه!! و أنت تفعل به هذا الفعل؟ فقال اسكتوا، اذا كان الله عزوجل - و قبض علي لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة، و أهل هذا الفتى، و وضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟ نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد» [٣٦]. و يؤكد هذه الحقيقة ما كان يدور بأذهان الخلف من أصحاب الرضا، و تساؤلهم الحثيث عن الخلق من بعده، و ما كان من الامام الرضا (عليه السلام) لينص علي الامام الجواد فحسب، بل يصفه بأنه حجة الله تعالى من بعده، فعن بنان بن نافع، قال: «سألت علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، فقلت: جعلت فداك، من صاحب الأمر بعدك؟ فقال لي: يا ابن نافع يدخل عليك من هذا الباب من ورث ما ورثته ممن هو قبلي، و هو حجة الله تعالى من بعدى. فبينما أنا كذلك اذ دخل علينا محمد بن علي (عليه السلام)» [٣٧]. و يستخلص مما تقدم؛ ان الامام محمد الجواد قد نشأ في ظل أبيه، و رباه تربيةً صالحه، و رعاه رعايةً فائقة، و بشر أصحابه به، و أظهر مقامه و كيانه، و نص علي امامته، و أوصى اليه من بعده فكان الامام المفترض الطاعة. [صفحة ٢٥]

خصائص الامام الانسانية

لا يختلف الامام محمد الجواد عن آبائه المعصومين في مميزاته و خصائصه و لا يتجاوزهم في مثله العليا في الزهد و التقوى و الانابة و الخلق الرصين العالي، فهو امتداد لهم و شحنة منهم، اشتدت أواصره بأواصرهم و اشتبكت جذوره بجذورهم، فهم كالحلقة المفرغة في أمهات الفضائل و أصول المواهب، فالخصائص بينهم مشتركة و المميزات متساوقة ولكنه اشتهر شهرة كبرى مستفيضة بين أعدائه و أوليائه بالبر و الايثار و عرف بالكرم و السخاء المجرد عن الرياء و المن، و تسامى بوفرة العطاء و بسط اليد و لهذا سمي بالجواد. [٣٨]. فهو لقب خاص به، و سمة امتاز بها، و الأئمة (عليهم السلام) يشاركونه فيها كما يشاركونهم في تلك الكنايات النادرة، و هذا الكتاب و ان نهد الى البحث في فكر الامام محمد الجواد و قيادته للأئمة في صباه و ريعان الشباب كما هو الشأن في أجزاء (موسوعة أهل البيت الحضارية) بما صدر منها و ما سيصدر بأذن الله تعالى، فانها ركزت القول و عمقت الحديث عن أفكار الأئمة المعصومين و سلطت الضوء على أبرز المعالم التي تغلب علي كل امام بحسب ظروفه الاجتماعية و ما سمح له الزمن من تجسيد للقيادة النضالية أو العلمية أو الحضارية أو السياسية أو الابداعية أو الريادية أو التنظيمية أو الدعائية أو الاعلامية و سوى ذلك [صفحة ٢٦] من الميادين الرفيعة التي خاض غمارها المعصومون بكل أصالة و موضوعية و انتقاء، و لكن هذا لا يعني أن تهمل بعض الجوانب الأساسية في المثل و القدوة و الاهتداء و سنن الوعي و الحياة و الجهاد بالمال، فلكل من هذه المفاهيم مصاديقها الحية النابضة في سيرة الأئمة الطاهرين، و هذا ما يشير أن البحث قد يعني باثبات شذرات من هذه الظواهر و ابداء لقطات من تلك المشاهد ليستدل من خلالها بما ذكر علي ما لم يذكر. و من هذا المنطلق ارتأى البحث أن يقتصر بالحديث عن ظاهرة السخاء الذاتي و حياة الايثار في منظور تناول خصائص الامام من أبناء و طرائف و أساليب قد نلمس في بعضها نحو من اللوح الغيبي في العطاء بقدر أو بغير سؤال، مما يضيف للمؤشر الاعجازي في مسيرة الامام بعدا جديدا يصطف في منظومة الرؤية الاعجازية لأبعاده التي سنقرؤها و نسمع فيما يأتي من البحث. و ما سنذكره هنا لا يعدو كونه نماذج علي سبيل المثال لا الحصر، و ينبغي الالتفات في هذا الملحظ من السلوك الايثاري الكريم أن أباه الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) كان يحضه علي البر و السخاء و الاحسان، و يحثه علي الاسراع في الخيرات،

و يأمره بحمل المال معه حيثما سار أو اتجه لاسعاف ذوى الحاجة و الفاقة و تلبية صراخ المحرومين بنفحة من العطاء الجزل، و صلة الأرحام و ذوى القربى بما أجزى و أغنى فعن محمد بن أحمد بن أبي نصر البزنطي، قال: قرأت كتاب أبي الحسن الرضا الى أبي جعفر (عليه السلام): [صفحة ٢٧] (يا أبا جعفر؛ بلغني أن الموالى اذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير و انما ذلك من بخل بهم، لثلاثين ينال منك أحد خيرا، أسألك بحقى عليك: لا- يكن مدخلك و مخرجك الا من الباب الكبير، و اذا ركبت فليكن معك ذهب و فضة، ثم لا يسألك أحد الا أعطيته و من سألك من عمومك أن تبره فلا تعطه أقل من خمسين دينارا، و الكثير اليك، و من سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة و عشرين دينارا، و الكثير اليك، انى أريد أن يرفعك الله فانفق و لا تخش من ذى العرش اقتارا) [٣٩]. و أمر الامام بأن يحمل ولده الذهب و الفضة، تعبيرا عن الدنانير و الدراهم، فالدينار ذهبى و الدرهم فضى، و المبلغ الذى وجهه بعطائه يغنى السائل بالنسبة للقيمة السوقية آن ذاك فهو ثمن لشراء دار مناسبة فى ذلك العصر. و كانت صلة الرحم من الأهداف المركزية لدى الامام الرضا، و كان يرأسل فى شأنها ولده الامام الجواد من خراسان و ولده فى المدينة و هو صبي صغير، و كان هدف هذه المراسلات التأكيد على بر الأرحام، و الانتداب الى صلة الموالين لأبيه و جده، فمن كتب للرضا اليه (عليه السلام): «بسم الله الرحمن الرحيم: أبفك الله طويلا، و أعاد من عدوك يا ولدى، فداك أبوك، قد فسرت لك مالى و أنا حى سوى، رجاء أن ينميك الله بالصلة لقرابتك، و لموالى (موسى و جعفر) رضى الله عنهما... قال الله: (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة...)» [٤٠]. [صفحة ٢٨] و قال: (لينفق ذو سعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله...) [٤١]. و قد أوسع الله عليك كثيرا يا بنى، فداك أبوك، و لا تستر دونى الأمور لحبها، فتخطى حظك، و السلام) [٤٢]. و اتخذ الامام محمد الجواد نصائح أبيه منهجا فقد روى سهل بن زياد عن أحمد بن حديد، قال: «خرجت مع جماعة حجاجا، فقطع علينا الطريق، فلما دخلت المدينة لقيت أبا جعفر (عليه السلام) فى بعض الطريق فأتيت المنزل، فأخبرته بالذى أصابنا فأمر لى بكسوة و أعطانى دنانير، و قال: فرقها على أصحابك على قدر ما ذهب!! فقسمتها بينهم، فاذا هى على قدر ما ذهب منهم لا أقل و لا أكثر» [٤٣]. و كان الحسن بن على الوشا يقول فى نفسه: كنت أردت أن أسأل أبا الحسن الرضا (عليه السلام) قميصا من ثيابه فلم أفعل!! فاذا عاد أبو جعفر فأسأله... و اذا برسول الامام (عليه السلام) يأتيه بقميص من دون أن يسأله، و يقول عن الامام: هذا من ثياب أبى الحسن التى كان يصلى فيها» [٤٤]. [صفحة ٢٩] و فى الخبرين معا دلالة على علم موهبى يضاف الى الكرم المعهود. فى عهد المعتصم العباسى، كان ركب الامام الجواد، كما يستفاد من أصحابه الذين رافقوه فى سفر الحج هذا و ان مائدة كانت تمتد بأمره فى كل يوم لاطعام الحجيج [٤٥]. و هناك نصوص أخرى تتحدث عن كرم الامام فى الاطعام ففى بعضها أن الامام كان يطعم أصحابه بل و يأمرهم بالجلوس عنده و بالأكل و قد يأتيه الضيف فيقول الامام للغلام: كل معه ينشط. [٤٦]. و كان الامام محمد الجواد (عليه السلام) جوادا بما فى يده زاهدا فى ذاته فلا يأسى على ما فاته و لا يحزن لما أصابه من حرب فى ماله أو فقدان لشيء من الحطام الزائل فقد روى أنه حمل اليه (عليه السلام) حمل بز له قيمة كبيرة، فسل فى الطريق فكتب اليه الذى حملة يعرفه الخبر، فوقع بخظه (عليه السلام): «ان أنفسنا و أموالنا من مواهب الله الهنيئة و عواريه المستودعة يمتع بما متع فيها فى سرور و غبطة و يأخذ ما أخذ منها فى أجر و حسبة فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره، نعوذ بالله من ذلك» [٤٧]. و ربما شاهده بعض المغفلين فى حالة رفاه ظاهرى لدى استدعائه الى بغداد، فظن أنه مقيم فيها بمدارج النعيم أو ساكن اليها فى ببحوحة من العيش الرغيد، و الامام بعلمه اللدننى و فراسته التى لا تخطى، يقرأ النفوس، و يترجم الأفكار، فهذا الحسين قد ظن أن الامام فى [صفحة ٣٠] ذلك المناخ المتصور من السعادة و الاطمئنان فقرا (عليه السلام) ما فى نفسه من خواطر و ما فى ذهنه من شطحات و قال له: (يا حسين خبز شعير، و ملح جريش فى حرم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أحب الى مما ترانى فيها) [٤٨]. و هذا القول يحكى عما يضم بين جوانح الامام من الزهد و الاعراض عن زخارف الدنيا و مناهجها. و بقى أن ننبه أن مصدر سخاء الامام كان من موارده الخاصة و مصادر الأوقاف فى قم التى ترد عليه فيضعها و الحقوق الشرعية التى لا تتعدى حدود المسلمين لها، كل أولئك ينفقه الامام على أهله من الضعفاء و الفقراء و المساكين، مضافا الى ممتلكاته ارثا و اكتسابا، تأتى الروافد

الأخرى لتسد احتياجات الآخرين كرما وجودا وشهامة. ولا بد أن نشير الى الامام على سخائه بماله، كان سخيا بجاهه و رعايته لأولياته وهو أهم نوعى السخاء وذلك مما يضاف لخصائصه كما ستقرأ فى المبحث الآتى. [صفحة ٣١]

رعاية الامام لأولياته فى ذات الله

و كانت عناية الامام بأوليائه لا تحدها حدود، فهو يبرهم و يدعو لهم، و يسعى فى قضاء حوائجهم و يواسيهم فى الضراء و السراء، و يشاركهم آلامهم و آمالهم، و لا يبخل بجاهه عليهم و يعلى من شأن أبرارهم و يكرم ذوى الثبات و التمحيص فيهم و يعظم أهل الدين و يتابع خطوات السائرين فى درب جهاد النفس و التضحية و له فى ذلك دلائل و شواهد و براهين نخلص منها أن الامام فى الرعي الأول من الذابيين عن أحبائه و أتباعه و من المباركين لالتزامهم و تحفظهم و احتياطهم و من الداعين الى تسديد خطاهم، و من الداعين الى تصحيح أخطائهم فله فى كل قلب جذوة و فى كل درب شعلة و فى كل حقل وردة متفتحة و نحن نورد جزءا من أمثلة على هذا نستقرئ بها هذا المناخ العابق بالنفحات. رافق الامام فى سفره الى الحج أول ملك المعتصم أحد أولياته فاستثمر هذه الرفقة المباركة و قال الامام: «ان والينا جعلت فداك رجل يتولاهم أهل البيت و يحبكم و على فى ديوانه خراج فان رأيت جعلنى الله فداك أن تكتب اليه بالاحسان الى). و كان الوالى المذكور هو الحسين بن عبدالله النيسابورى و كان على سجستان، فقال الامام (عليه السلام): لا- اعرفه فقال: جعلت فداك انه على ما قلت لك من محبيكم أهل البيت و كتابك ينفعنى عنده. فأخذ الامام محمد الجواد القرطاس و كتب اليه: [صفحة ٣٢] (بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فان موصل الكتاب ذكر عنكم مذهبا جميلا، و ان مالك من عملك ما أحسنت فيه فأحسن الى اخوانك و اعلم ان الله عزوجل سائلك عن مثايل الذر و الخردل). قال: فلما وردت سجستان سبق الخبر الى الحسين بن عبدالله النيسابورى و هو الوالى فاستقبلنى على فرسخين من المدينة فدفع الى الكتاب فقبله و وضعه على عينيه و قال لى: حاجتك!! فقلت: خراج على فى ديوانك!! قال: فأمر بطرحه عنى، و قال: لا تؤد خراجا ما دام لى عمل! ثم سألتنى عن عيالى: فأخبرته بمبلغهم فأمر لى و لهم بما يقوتنا و فضلا، فما أدت فى عمله خراجا ما دام حيا و لا قطع عنى صلته حتى مات) [٤٩]. و قد يكون من كرم الامام الباذخ و رعايته لأتباعه البالغه اغائه الملهوفين فى شؤون ليست بالحسبان فقد روى العتبي عن بعض العلويين أنه كان يهوى جارية و كانت يده قاصرة عن ثمنها فشكا ذلك الى الامام الجواد (عليه السلام) فسأله عن صاحبها فأخبره عنه، و لما كان بعد أيام سأل العلوى عن الجارية فقيل له: قد بيعت و سأل عن المشتري لها فقال له: لا ندرى و كان الامام الجواد (عليه السلام) قد اشتراها سرا ففزع العلوى نحو الامام و قد رفع صوته: بيعت فلانة. فقابله الامام ببسمات فياضة بالبشر قائلا: [صفحة ٣٣] هل تدرى من اشتراها؟ فقال: لا و انطلق معه الامام الى الضيعة التى فيها الجارية فانتهى الى البيت الذى فيه الجارية فأمره (عليه السلام) بالدخول الى الدار فأبى العلوى و لم يعلم أن الامام قد اشتراها و أصر عليه الامام بالدخول و لم يلتفت الى انها ملك الامام، ثم أنه دخل الدار مع الامام فلما رأى الجارية التى يهواها قال له (عليه السلام): أتعرفها؟ قال: نعم!! قال الامام (عليه السلام): هى لك و القصر و الضيعة و الغلة و جميع ما فى القصر فأقم مع الجارية. [٥٠]. و هذه ظاهرة انسانية رفيعة المستوى سيرها لنا الامام تجربة فذة و أمثلة نادرة لاستثمار الاقتدار فى اصطناع المعروف و الاستباق الحثيث الى مكارم الأخلاق. و كان الامام كبيرا فى نفسه رفيعا فى همته، عظيما فى مروته، فهو يرعى الناس و هو يبر بهم، و هو يلوح لهم بجليل خلائقه، فقد أتاه رجل فقال له اعطنى على قدر مروتك!! فقال الامام الجواد (عليه السلام): لا- يسعنى!! فقال السائل: على قدرى. قال الامام: أما ذا فنعم، يا غلام أعطه مائة دينار. [٥١]. و كان على بن مهزيار الأهوازي محمودا عند الامام و كان الامام يرعى حرمة و يعظم شأنه و له فى حقه هذه الرسالة المهمة التى توج بها الامام مفرقه فى الدعاء له، و الاعتداد به: [صفحة ٣٤] (بسم الله الرحمن الرحيم، يا على أحسن الله جزاك و أسكنك جنته و منعك من الخزى فى الدنيا و الآخرة و حشرك الله معنا. يا على بلوتك و خيرتك «خبرتك» فى النصيحة و الطاعة و الخدمة و التوقير و القيام بما يجب عليك فلو قلت: انى لم أر مثلك لرجوت أن أكون صادقا فجزاك الله جنات الفردوس نزلا، فما خفى على مقامك و لا

خدمتك في الحر و البرد في الليل و النهار فاسأل الله اذا جمع الخلائق للقيامه أن يحبوك برحمه تغتبط بها، انه سميع الدعاء) [٥٢]. فانظر الى هذا الثناء العاطر و هذا الالتزام الفريد و هذا التكريم المتزايد مما يدل على علو منزله الرجل. و الامام في هذا الملحظ يعطى كل ذى حق حقه رعايه كبرى منه لأولياته!! و مرة أخرى يكتب له الامام رساله قصيرة معبره، فيها الرقه و فيها الاغتباط و فيها الدعاء العريض قال الامام: (قد وصل الى كتابك و فهمت ما ذكرت فيه و قد ملأني سرورا فسرك الله و أنا أرجو من الكافي الدافع أن يكفيك كيد كل كائد ان شاء الله تعالى) [٥٣]. فأى رجل هذا الذى يدخل السرور على الامام فيدعو له أن يسره الله و أن يدفع عنه و يكفيه الكيد. و تارة أخرى نجد ابن مهزيار هذا يسأل الامام التوسعه في أهله فينعم عليه الامام بالاجابه و يدعو له بما هو أوسع شأنًا يقول الامام (عليه السلام) فيما كتبه اليه: [صفحة ٣٥] «وسع الله عليك و لمن سألت التوسعه في أهلك و أهل بيتك و لك يا على عندي أكثر من التوسعه و أنا اسأل الله أن يصحبك بالتوسعه العافيه و يقدمك على العافيه، و يسترك بالعافيه، انه سميع الدعاء» [٥٤]. و يتوجه على بن مهزيار للامام الجواد طالبا منه الدعاء له فيكون الجواب له على ذلك بكتاب عتيد يحكى جلاله قدر الرجل عند الامام و خلوص ذاته تقوى و ورعا في لفتات بارعه معبره عن مدى الحب و التقدير و الالتزام، كتب الامام (عليه السلام) اليه: «و أما ما سألت من الدعاء فانك بعد لست تدري كيف جعلك الله عندي، و ربما سميتك باسمك و نسبتك مع كثرة عنايتي بك و محبتى لك و معرفتى بما أنت عليه فأدام الله لك أفضل ما رزقك من ذلك و رضى عنك و بلغك أفضل نيتك و أنزلك الفردوس الأعلى برحمته انه سميع الدعاء حفظك الله و تولاك و دفع عنك سوء برحمته. و كتبت بخطي). [٥٥]. و هناك رسائل أخرى في هذا السياق كتبها الامام اليه، و فيها دلالة بالغه على وثاقته و رفيع منزلته. [٥٦]. و لئن صنع الامام هذا الصنيع الجميل بابت مهزيار فقد عطف في هذا المنحى بالذات على عبدالعزيز بن المهتدى القمى الأشعري فخرج فيه عن الامام الجواد ما نصه: [صفحة ٣٦] (غفر الله ذنبك و رحمتنا و اياك، و رضى عنك برضائي). [٥٧]. و هذا ابراهيم بن محمد أحد وكلاء الامام، يدفع عنه الامام، و يوصى به و يعلن و كالتة بما كتبه اليه بالقول: (و قد كتبت الى النضر، أمرته أن ينتهي عنك، و عن التعرض لك و لخلافك، و أعلمته موضعك عندي. و كتبت الى أيوب أمرته بذلك أيضا، و كتبت الى موالى بهمدان كتابا أمرتهم بطاعتك و المصير الى أمرك، و أن لا وكيل سواك). [٥٨]. و روى الكشى بسنده عنه قال: كتبت الى أبى جعفر (عليه السلام) أصف له صنع السميع فى، فكتب بخطه: (عجل الله نصرتك ممن ظلمك و كفاك مؤنته و أبشرك بنصر الله عاجلا، و الأجر آجلا، و أكثر من حمد الله) [٥٩]. و هذا محمد بن اسماعيل بن بزيع، عده الطوسى فى أصحاب الامامين الرضا و الجواد (عليه السلام) و قد سأل الامام الجواد أن يمنحه قميصا لامس بدنه ليضعه كفنا له فبعث اليه الامام (عليه السلام) ذلك و كان الامام الرضا (عليه السلام) يخاطب أصحابه بشأنه فيقول: (وددت أن فيكم مثله و قد رعاه الامام الجواد رعايه خاصه) [٦٠]. و له روايه عن الامام الرضا (عليه السلام) تتعلق بتعليمات أهل البيت (عليهم السلام) فيما يخص أتباعهم و أوليائهم لدى تعاونهم مع السلطات لاصلاح أمر [صفحة ٣٧] المؤمنين و تلبية احتياج الضعفاء و قضاء مهمات أمناء الله فى أرضه و تنفيس الكربات عن شيعتهم و أهميه ذلك فى التخطيط العام بالدفع عن الأولياء و اعتبارهم المؤمنين حقا الذين خلقوا للجنة و خلقت لهم. قال الامام (عليه السلام): «ان الله تعالى بأبواب الظالمين من نور له البرهان و مكن له فى البلاد ليدفع بهم عن أوليائه، و يصلح الله به أمور المسلمين، اليهم يلجأ المؤمن من الضرر، و اليهم يفرح ذوالحاجه من شيعتنا، و بهم يؤمن الله روعه المؤمن فى دار الظلمه، أولئك المؤمنون حقا أولئك أمناء الله فى أرضه، أولئك نور فى رعيته يوم القيامة، و يزهر نورهم لأهل السماوات كما تزه الدريه لأهل الأرض، أولئك من نورهم يوم القيامة تضىء منه القيامة، خلقوا للجنة، و خلقت الجنة لهم، فهنيئا لهم، ما على أحدكم أن لو شاء نال هذا كله. قال محمد بن اسماعيل قلت: بماذا؟ جعلنى الله فداك!! قال: يكون معهم فيسرنا بادخال السرور على المؤمنين من شيعتنا فكن منهم يا محمد» [٦١]. و توفى زكريا ابن آدم رحمه الله تعالى و كان من الوثاقه و العلم بمكان عظيم فأبانه الامام الجواد (عليه السلام) حق تأيينه، و أثنى عليه بما هو أهله، فعن محمد بن اسحاق و الحسن بن محمد، قالوا: خرجنا بعد وفاة زكريا بن آدم الى الحج، فتلقنا كتابه، يعنى (الامام محمد الجواد (عليه السلام)) فى بعض الطريق: «ذكرت ما جرى من قضاء الله فى الرجل المتوفى

رحمه الله يوم ولد، و يوم قبض، صابرا محتسبا للحق، قائما بما يحب الله و رسوله و مضى [صفحة ٣٨] رحمه الله عليك غير ناكث و لا مبدل، فجزاه الله أجر نيته و أعطاه جزاء سعيه و ذكرت الرجل الموصى اليه فلم يعد في رأينا وعندنا من المعرفة به أكثر مما وصفت يعنى الحسن بن محمد بن عمران» [٦٢]. و من خلال النماذج المتقدمة يبدو أن هذه الرعاية التامة من الامام في التوجيه و النصيح و الدعاء و التأييد و الثناء ذات مغزى رسالى عام يؤكد التزام أولياء الأئمة لبيان أهميتهم الولائية من جهة، و ليكونوا أمثولة للآخرين فى الاقتداء، و هذا نموذج فريد لاعطاء كل ذى حق حقه فى الشأن و المنزلة و البعد الرسالى، لثلا تفتقد الموازين الواعية فى التقييم و التقويم معا و من أولى من الامام محمد الجواد بهذه النفحات النديئة و من أجدر منه بوضع الرجل المناسب فى الموقع المناسب من الوثاقه و الشرف و الدين. [صفحة ٣٩]

المناخ العرفانى فى سلوك الامام

و كان السلوك فى رياضه النفس، و النهج العرفانى فى ادارة الذات للامام محمد الجواد فى القمه الصاعده لدى رصد علاقة المرء بربه و ربط تصرفات الكائن الأرضى بالسماء، فى نموذج لتلك الحاله من الانابه و الاخبات و الخشوع فهو ذو برنامج خاص فى الطاعة و العباده الخالصه مما يذكرنا بأبائه من الأئمة المعصومين. و كان عابدا ناسكا كثير النوافل و المستحبات حتى روى أنه كان يصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعه سورة الفاتحه، و سورة الاخلاص سبعين مرة. [٦٣]. و فى مشايرة جاده لتخير أماكن العباده و مراعاة آداب الزيارة يحدثنا عبدالله بن رزين قائلا: (كنت مجاورا بالمدينه - مدينه الرسول - و كان أبوجعفر (عليه السلام) يجيء كل يوم مع الزوال الى المسجد فينزل الى الصخره و يمر الى الرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و يسلم عليه و يرجع الى بيت فاطمه و يخلع نعله فيقوم فيصلى)... [٦٤]. و كان يعلم أتباعه و أولياءه ما يقوله النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) اذا فرغ من صلاته: (اللهم اغفر لى ما قدمت و ما أخرت و ما أسررت و ما أعلنت، و اسرافى على نفسى و ما أنت أعلم به منى... [صفحة ٤٠] اللهم انى أسألك خشيتك فى السر و العلانية و كلمه الحق و الغضب و الرضا و القصد فى الفقر و الغنا)... [٦٥]. و كان يعطى بعض الشهور أهميه خاصه فى مراسم العباده و طقوس الانابه سيما فى شهر رجب الأصب. و كان ما تناقله الرواه عنه لدى حضوره الى بغداد مثار اعجابهم، فقد حدث الريان بن الصلت قائلا: (صام أبوجعفر الثانى (عليه السلام) لما كان ببغداد يوم النصف من رجب و يوم سبع و عشرين منه و صام معه جميع حشمه، و أمرنا أن نصلى بالصلاه التى هى: اثنتا عشره ركعه، تقرأ فى كل ركعه الحمد سورة، فاذا فرغت قرأت الحمد أربعاً و قل هو الله أحد أربعاً، و قلت: لا اله الا الله و الله أكبر و سبحان الله و الحمد لله و لا حول و لا قوة الا بالله العلى العظيم أربعاً، و الله الله ربى، لا أشرك به شيئا أربعاً و لا أشرك بربى أحدا أربعاً) [٦٦]. و قد ورد عنه (عليه السلام) أنه كان يقول: «ان فى رجب ليلة خير مما طلعت عليه الشمس، و هى ليلة سبع و عشرين من رجب» و ذكر فيها صلاة خاصه. [٦٧]. و من أرقى نماذج الانابه التوجه نحو الله تعالى بالدعاء، و قد أورد الشيخ الصدوق أمثله من الدعاء لكل امام حتى اذا ذكر الامام محمد الجواد (عليه السلام)، أورد له هذا الدعاء: [صفحة ٤١] «يا من لا شبيه لعظمته و لا مثال، أنت الله لا اله الا أنت، و لا خالق الا أنت، تفنى المخلوقين و تبقى أنت، حلمت عنم عصاك و فى المغفره رضاك» [٦٨]. و قد حذب الامام (عليه السلام) على تلقين أوليائه تلك الأذكار الجارية مجرى الأمثال فى بلاغتها و ايجازها، و مؤادها، مما سيره فى الخلوات و قدمه بين يدي حاجاته عملا بما فى التنزيل: (و اذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى) [٦٩] و انصاتا لقوله تعالى: (قال ما يعبأ بكم ربى لو لا دعاؤكم) [٧٠]. فقد علم محمد بن الفضيل ما سأله أن يعلمه اياه، يقول: كتبت الى أبى جعفر الثانى (عليه السلام) أسأله أن يعلمنى دعاء فكتب الى، تقول اذا أصبحت و أمسيت: (الله الله ربى الرحمن الرحيم، لا أشرك به شيئا، و ان زدت على ذلك فهو خير ثم تدعو بما بدا لك فى حاجتك، فهو لكل شىء باذن الله تعالى) [٧١]. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: (ثم أثرت عن الامام (عليه السلام) تعليمات و توجيهات فى ميادين صقل الروح و تهذيب النفس، و تعميق العلاقة بين العبد و ربه بالتسليم له [صفحة ٤٢] و التوكل عليه و الاستعانة به فى التماس

الحاجات و حل المشكلات و تسهيل المعضلات، و قد جاء في جملة تلك الاشارات و التوجيهات أدعية و أذكار حث الامام المؤمنين على ترادها كل صباح و مساء لقضاء الحوائج و تيسير عقد الأمور) [٧٢]. و لقد قال محمد بن الفرغ: كتب الى أبو جعفر بن الرضا (عليه السلام) بهذا الدعاء و علمنيه، و قال: من قاله في دبر صلاة الفجر لم يلتمس حاجة الا تيسرت له و كفاه الله ما أهمه: «بسم الله و بالله و صلى الله على محمد و آله؛ و أفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد، فوقاه الله سيئات ما مكروا، لا اله من أنت سبحانك انى كنت من الظالمين، فاستجبنا له و نجينا من الغم و كذلك نجى المؤمنين، حسبنا الله و نعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله و فضل لم يمسسهم سوء، ما شاء الله لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم» [٧٣]. و فى توجهه الدعائى لمحمد بن الفرغ: «اذا انصرفت من صلاة مكتوبة فقل: رضيت بالله ربا، و بمحمد نبيا، و بالاسلام ديناً، و بالقرآن كتاباً، و بفلان و بفلان أئمة»... [٧٤]. [صفحة ٤٣] و من دلائل انقطاعه الى الله و اخباته له، تلك المراسم و المستحبات التى رواها الحسن بن على الكوفى مشاهدة فى حج الامام لبيت الله الحرام، يقول: «رأيت أبا جعفر الثانى (عليه السلام) فى سنة خمس عشرة و مأتين، و دع البيت بعد ارتفاع الشمس، و طاف بالبيت يستلم الركن اليمانى فى كل شوط، فلما كان الشوط السابع استلمه و استلم الحجر و مسح بيده، ثم مسح وجهه بيده، ثم أتى المقام فصلى خلفه ركعتين، ثم خرج الى دبر الكعبة الى الملتزم، فالتمز البيت و كشف الثوب عن بطنه، ثم وقف طويلاً يدعو، ثم خرج من باب الحنطين و توجه. قال: فرأيت فى سنة ٢١٩ هـ و دع البيت ليلاً يستلم الركن اليمانى و الحجر الأسود فى كل شوط فلما كان الشوط السابع التزم البيت فى دبر الكعبة قريباً من الركن اليمانى... و كشف الثوب عن بطنه ثم أتى الحجر فقبله و مسحه و خرج الى المقام فصلى خلفه ثم مضى و لم يعد الى البيت، و كان وقوفه على الملتزم بقدر ما طاف بعض أصحابنا سبعة أشواط و بعضهم ثمانية»... [٧٥]. و روى على بن مهزيار شيئاً من المراسم التى أداها الامام فى الحج فقال: «رأيت أبا جعفر الثانى (عليه السلام) ليلة الزيارة طاف طواف النساء، و صلى خلف المقام، ثم دخل زمزم، فاستقى منها بيده [صفحة ٤٤] و الدلو الذى يلى الحجر، و شرب منه، و صب على بعض جسده، ثم طلع فى زمزم مرتين. و أخبرنى بعض أصحابنا أنه رآه بعد ذلك فى سنة فعل مثل ذلك» [٧٦]. ان هذه اللمسات العرفانية التى التقطنا بعض شذراتها فى مسلكية الامام الروحية و التوجيهية و الدعائية تمثل جانباً مشرقاً آخر فى سيرة الامام محمد الجواد (عليه السلام)، فهو فى شبابه المتبرعم كما هو صباه المتقدم يعطى الصورة التكاملية لحياة الامام فى البذل و العطاء و الهدى و الانابة. [صفحة ٤٥]

الامام فى تقييم الأعلام

عد المؤرخون لمسيرة الامام القيادية من خلال التجربة القائمة على أسس الموازنة الموضوعية أن الامام أبرز رجال عصره عزة و كرامة و شهامة، و أوسع علماء جيله ثقافة و حضارة و معارف، و أشهر عظماء أمتة علما و عملا و أصالة، و هو بهذه المميزات العالية يعتبر المؤهل الوحيد دون منازع لمنصب الامامة الشرعية، لتوافر الشرائط الأساسية فيه دون سواه، و اذا كانت أقلام الخلف هى ألسنة الصدق و التقييم و ادراك حقائق الأشياء، فقد ظفر الامام محمد الجواد (عليه السلام) بأجلها قدراً، و أسماها كعباً، و أروعها ذكراً، و أشرفها أثراً لدى جمهرة من الباحثين المستقلين، و ان لم يكن بحاجة الى ذلك و قد رفعه الله تعالى، و وهبه من القابليات الكريمة مما تجاوز الآفاق. و اذا كان التاريخ الرسمى يدور فى محور السلطان و زمرة الخاصة، و لا يخرج عن دائرة التسييح بحمده، حتى حرفت الوقائع و شوهدت صفحات التوثيق، فعاد تدوين الأمجاد الزائفة سجلاً حافلاً بما هب و درج من الأنباء المضحمة زورا و بهتاناً، فان ما يخطه - و لو جزئياً - للحالات الصادقة يعتبر فتحاً جديداً فى ظواهر التاريخ المنحرف، و اذا تحدث عن أمجاد بناء الاسلام الحقيقيين، و أشاد بذكر هداة العباد و أئمة الرشاد فسيكون ذلك الحديث على صدقه استثناء من القاعدة، و من خلال هذه الاستثناء الذى قد يتجسد نادراً لمسنا جزءاً سليماً من الشذرات الثمينة المتناثرة بأعماق هذا التاريخ و هى تروى بأمانة و حذر فضائل الامام محمد [صفحة ٤٦] الجواد (عليه السلام) و تؤكد سيورته كرائمه النابضة بالحركة و الحيوية و تشير عن قرب الى مستوى شمائله النادرة. و البحث اذ يورد

بعض تلك الشذرات و قد غطى على قسم منها شيء من التصيب المتعمد أو الاختزال المقصود بما يؤوله بعض الباحثين بقصر عمره و احترام حياته بالغيلة و الغدر، فانما يورد ما وضع يده على أفضلها ذكرا، و انسبها تعبيراً، و أيسرها و جوداً، و ما خفى عنا من ذلك أكثر فأكثر، و ما كتبه المؤرخون أوسع مما أبانوا عنه، و مع هذا و ذاك فما لا يدرك كله لا يترك كله، و هي قاعدة نلجأ إليها في مثل هذه الحالة التي تفرض ارهاصاتها فرضاً، و تنفس عن أبنائها بعد طول عنت و مخاض. بادي ذي بدء نورد ما رواه الامام محمد الجواد نفسه، عن النحو الغيبي الذي سخره الله تعالى و يسره لأصفيائه من الأئمة المعصومين و هو أحدهم يقول الامام: (قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): ان الأوصياء محدثون، يحدثهم روح القدس و لا يرونه) [٧٧]. و الامام الجواد تاسع الأوصياء باجماع الامامية و رجيل كبير من جمهور المسلمين، و روح القدس هو جبرائيل (عليه السلام). و ليس هذا بغريب على عباد الله المخلصين فقد حدثت مريم بنت عمران من قبل روح القدس (فتمثل لها بشرا سويا) [٧٨]. [صفحة ٤٧] (و اذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك و طهرك و اصطفاك على نساء العالمين) [٧٩]. و كذلك (اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه) [٨٠]. و كذلك أوحى الى أم موسى فقال تعالى فيما خاطب به موسى (عليه السلام): (اذ أوحينا الى أمك ما يوحى - أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم) [٨١]. فاذا حدثت مريم ابنة عمران، و أوحى الى أم موسى بن عمران، فما المانع أن يحدث أوصياء محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)، و هم بعد جدهم خير البشر. و من هذا المنطلق القرآني قال الامام الرضا (عليه السلام) في حق ولده الامام الجواد: (كان أبو جعفر محدثاً) [٨٢]. و هذه البداية الأولية ليست من التاريخ، و لكنها من التراث الذي ندين به، فاذا التمسنا المأثور التدويني وجدنا محمد بن طلحة الشافعي يقول: «و أما مناقب أبي جعفر الجواد، فما اتسعت حلقات مجالها، و لا امتدت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الالهية بقله بقاءه في الدنيا بحكمها و أسجالها، فقل في الدنيا مقامه، و عجل القدوم عليه لزيارة حمامه، فلم تطل بها مدته، و لا امتدت فيها أيامه» [٨٣]. [صفحة ٤٨] و واضح أن ابن طلحة يعنى على الأيام حكمها، اذ لم يتمتع الامام الجواد (عليه السلام) بطول العمر، و انما اختطف شهيدا في أول شبابه، و سجل ملامح له من القول المجتزئ. و تحدث الصفدي عن الامام قائلا: «كان محمد يلقب بالجواد و بالقانع و بالمرتضى، و كان من سروات آل بيت النبوة... و كان من الموصوفين بالسخاء و لذلك لقب بالجواد» [٨٤]. و عزى أبو العيناء ابن الرضا عن أبيه (عليه السلام)، فقال: «أنت تجل عن وصفنا، و نحن نقل عن عظمتك، و في علم الله ما كفاك، و في ثواب الله ما عزاك» [٨٥]. و هي عبارات بليغة تحكى عند مدى منزلة الامام في النظر العام. و قال عنه يوسف بن اسماعيل النبهاني: «محمد الجواد بن علي الرضا أحد أكابر الأئمة و مصايح الأمة، من ساداتنا أهل البيت» [٨٦]. و قال ابن تيمية: «محمد بن علي الجواد كان من أعيان بني هاشم، و هو معروف بالسخاء لهذا سمي بالجواد». [٨٧]. و طبعي من ابن تيمية أن يختزل ذكر الامام الجواد اختزالاً، فهو معروف بوجهة نظره المعاكسة لمنهج أهل البيت عليهم السلام. [صفحة ٤٩] و قال ابن شهر آشوب، و هو يعدد ألقاب الامام و يثنى على مكانته: «... الجواد، و العالم الرباني، ظاهر المعاني، قليل التواني، المعروف بأبي جعفر الثاني، المنتجب المرتضى، المتوشح بالرضا، المستسلم للقضا، له من الله أكثر الرضا، ابن الرضا، توارث الشرف كابرا عن كابر، و شهد له بهذا الصوامع، استسقى عروقه من منبع النبوة، و رضعت شجرته ثدى الرسالة، و تهدلت أغصانه ثمر الامامة» [٨٨]. و قال ابن الصباغ المالكي: «الامام التاسع... عرف بأبي جعفر الثاني «و هو» و ان كان صغير السن، فهو رفيع الذكر، كبير القدر، القائم بالامامة بعد علي بن موسى الرضا» [٨٩]. و قال علي بن عيسى الأربلي: «الجواد في كل أحواله جواد... فاق الناس بطهارة العنصر، و زكاء الميلاد، و امترع قله العلاء فما قاربه أحد و لا كاد، مجده عالي المراتب، و مكانته الرفيعة تسمو على الكواكب، و منصبه يشرف على المناصب، اذا آنس الوفد نارا قالوا ليته نارها لا نار غالب، الى المعالي سمو، و الى الشرف رواح و غدو، و في السيادة اغراق و غلو، و على هام السماك ارتفاع و علو، و عن كل رذيلة بعد، و الى كل فضيلة دنو، تتأرجح المكارم من أعطافه، و يقطر المجد من أطرافه، و تروى أخبار السماح عنه و عن أبنائه و أسلافه، فطوبى لمن سعى في ولائه، و الويل لمن رغب في خلافه، اذا اقتسمت غنائم المجد و المعالي و المفاجر كان له صفاياها، و اذا امتطيت غوارب السؤدد كان له أعلاها و أسماها، يبارى الغيث [صفحة ٥٠] جوداً و عطية، و يجارى الليث نجدة و

حمية، و يبذ السير سيرة مرضية، فمن له أب كأييه، أو وجد كجده، فهو شريكهم في مجدهم، و هم شركائه في مجده، بهم اتضحت سبل الهدى، و بهم سلم من الردى، و بحبهم ترجى النجاة و الفوز غدا، و هم أهل المعروف أولوا الندى... [٩٠]. و هنا نجد الأربلي يعطى مسحا شاملا- لمساحة كبيرة من أمجاد الامام الجواد بصفاته و خلائقه و شمائله، و يثنى على ذكر معاليه و مكانته و مؤدده وجوده و كرمه، و يتحدث عن شرفه و محتده و مجده، و يعقب بذكر ولاته و حبه، و يشارف بالاشارة المعبرة الى مفاخره في سجاياه، و ماثره في آباءه و أسلافه، و يعرض لمقامهم الأسمى بعباراته المهدبة الموحية. و كان الشيخ المفيد قدس سره قد تحدث عن الامام محمد الجواد من ذى قبل، فقال: «و كان المأمون قد شغف بأبى جعفر (عليه السلام) لما رأى من فضله مع صغر سنه، و بلوغه في العلم و الحكمة و الأدب و كمال العقل ما لم يساوه أحد من مشايخ أهل الزمان... و كان متوافرا على اكرامه و تعظيمه و اجلال قدره» [٩١]. و قد اتكأ عليه في هذا التقرير الطبرسى بما ذكره السيد الأمين: (كان (عليه السلام) قد بلغ فى وقته من الفضل و العلم و الحكمة و الآداب مع صغر سنه منزلة لم يساوه فيها أحد من ذوى الأسنان من السادة و غيرهم، و لذلك كان المأمون مشغوبا به لما رأى من علو مرتبته و عظيم منزلته فى جميع الفضائل فزوجه ابنته، و كان متوافرا على اعظامه و تبجيله» [٩٢]. [صفحة ٥١] و قال الأستاذ خير الدين الزركلى: «محمد بن الرضا بن موسى الكاظم، الطالبى، الهاشمى، القرشى، أبو جعفر، الملقب بالجواد، تاسع الأئمة الاثنى عشر عند الامامية، كان رفيع القدر كأسلافه ذكيا، طليق اللسان قوى البديهة» [٩٣]. و قال السيد محسن الأمين الحسينى العاملى: «قد كان أفضل أهل زمانه علما، و عملا، و ورعا، و عبادة، و سخاء و كرما، و فى جميع صفات الفضل، و قد روى عنه من أنواع العلوم و أجوبة المسائل المشكلة الشىء الكثير» [٩٤]. و قال السيد هاشم معروف الحسنى رحمه الله و هو يستعرض شذرات قيمة من حكم الامام و شوارده و أوابده: «و قد أحاطت كلماته هذه بجميع الجوانب التى تشد الانسان الى الخلق الكريم و الأدب الرفيع و السلوك القويم و كل ما يرفع من شأن الانسان، و يوفر له السعادة و الكرامة فى دنياه و آخرته، بهذا و نحوه من القيم و المبادئ و هب الأئمة من أهل البيت حياتهم و وجدوهم، و تحملوا كل أنواع العسف و الجور و التشريد من الحكام و الطغاة و رحلوا عن دنيا الناس بأجسادهم، و ظلوا فيها أحياء بسيرتهم و مبادئهم و تعاليمهم التى تلهم الأجيال كل معانى الخير و النبل و الفضيلة فى كل زمان و مكان» [٩٥]. و تحدث الأستاذ باقر شريف القرشى عن الموقع النفسى للامام فى ضمائر قواعده الشعبية من الجماهير المؤمنة فقال: [صفحة ٥٢] «و أحيط الامام محمد الجواد (عليه السلام) بهالة من الحفاوة و التكريم و قابلته جميع الأوساط بمزيد من الاكبار و التعظيم، فكانت ترى فى شخصيته امتدادا ذاتيا لآبائه العظام الذين حملوا مشعل الهداية و الخير الى الناس، الا أنه لم يحفل بتلك المظاهر التى أحيط بها و انما أثر الزهد فى الدنيا، و التجرد عن جميع مباحها... و اعتبره بحق: (من منابع الفكر و العلم فى الاسلام، و أحد مفاخر هذه الأمة و قادتها الطليعيين و قد ملأ- الدنيا بفضائله و علومه و زهده و تقواه» [٩٦]. و قال الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «انه ابن الأئمة المنتجين، و سليل الأئمة الميامين، و أحد حلقات تلك السلسلة الذهبية المشار اليها بالبنان فى تاريخ الاسلام، و قد دلتنا النصوص الثابتة التى تضمنتها كتبنا السابقة المعنية بسير آباءه الأكارم - و هم الصفوة المختارة من أهل الأرض علما، و دينا، و زهدا، و نقى، و هديا، و صلاحا، و سلوكا، و أخلافا - أنهم كانوا المؤهلين دون غيرهم باعتراف القريب و البعيد، و المؤلف و المخالف، للامامة الحققة، و ولاية الأمر الشرعية كما أرادها الله تعالى لعباده المؤمنين، و ان أولئك الذى تقمصوا الخلافة بالقوة و القهر أو بالخداع و المكر، أو بالاغراء و شراء الذمم، لم يكونوا خلفاء الرسول و أئمة الدين، و ان زعموا ذلك، لفقدانهم صفات التأهيل المقررة فى مدونات الفقه الاسلامى و الأحكام السلطانية» [٩٧]. [صفحة ٥٥]

الامام الجواد و عصر السلاطين

الامام و ظواهر عصر السلاطين

اثر سقوط الدولة الأموية الارستوقراطية، انتقل الحكم لبني العباس عام (١٣٢ هـ) و تسلم الحكم متسلطون من نوع جديد، أنافوا على الأمويين بالظلم و الارهاب الدموي، فابتدعوا من الأحكام و العقوبات و الاجراءات ما لم ينزل الله به سلطانا، مما ارتفعوا به الى مستوى الفراغنة ان صح التعبير، فأبو العباس السفاح أول السلاطين من بني العباس، و قد سمي (سفاحا) لكثرة ما استحل من سفك الدماء للأمويين و أشياعهم و ولاتهم حتى استأصل شأفتهم، و ما اكتفى بذلك حتى تعقب المعارضين غيلة و مغامضة، و كان القتل جماعيا في الأمويين، و كيفيا في أتباعهم، و ارتجاليا فيمن تشم منه رائحة المعارضة قولاً- أو عملاً و ما طال به الحكم حتى تسلمه أخوه أبو جعفر المنصور، فكان جبارا في التسلط عاليا في الأرض معروفا بالغدر، متفنا في الانتقام، و لقد تحاشاه الناس، و توارى عنه المعارضون، و اختفى ابرز شخصيات العمل السياسي، و ذلك لشدة الاجراءات القمعية، فقد استحدث من العقاب الصارم المتنوع ما لم يسبقه اليه أحد، و ابتدع من أساليب الجزاء ما لم يخطر على ذهن انسان، و اخترع في المعتقلات و السجون من أصناف التعذيب ما لم يجر على يد أحد من الطغاة، حتى لا يعرف بها الليل من النهار لأنها في ظلمات بعضها فوق بعض، و كان أمرا طبيعيا في اجراءاته: سمل العيون، و قطع الاطراف، و خلع الأكتاف، و حز الرؤوس، و الصلب [صفحة ٥٦] من خلاف، و حرق الأعضاء، و جز الشعور، و التمثيل بقيادة المعارضة، و استئصال الثائرين و قطع الأرزاق عن عوائلهم و ذويهم، حتى كان الفقر شعارا، و الجوع دثارا، لمئات الآلاف من أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، و قد استطال حكمه حتى ضجح الناس الى الله فقصف عمره و هو في عنفوان نشاطه السياسي، و استولى من بعده على الحكم ولده المهدي العباسي، و كان شابا طائشا نزقا فصب العذاب على الأمة صبا، و ورث عن أبيه أقذر الشمائل و أخبث الصفات، فبذر أموال الدولة، و أسرف في الدماء، و تحكّم بالأعراض، و سود الغلمان و الخصيان، مما تقدم ذكره فيما مضى من الحديث في كتبنا السالفة من هذه الموسوعة. حتى اذا تسلم الحكم موسى الهادي عن المهدي العباسي سلفه، رانت على الأفق سحابة سوداء من الظلم العنيف، فكان الطامة الكبرى على قصر عهده و اختطاف عمره، و قد فعل الأفاعيل و تصرف تصرف الطغاة، و أكثر من استئصال الثائرين تصفية، و أباد المعارضين جملةً و حكم الناس حكما استبداديا مريعا، و لو لا أن يقصف الله ذلك العمر، و يطوى ذلك الذكر، لأعاد عصر الطواغيت من قوم عاد و ثمود، حتى اذا انقضت أيامه قام هارون الرشيد بالأمر السلطوي فكان أعتى ملوك الأرض و أشدهم فسادا، فلم تبق موبقة الا ارتكبتها، و لا جريمة الا اقترفها، مندفعاً بشهوة الملك وراء عواطفه و اولاعه، متظاهرا بالورع رياء و بالتقوى نفاقا و هو ابعد الناس عن الورع و التقوى، فقد ولغ في دماء الشعب المسلم، و حذب على قتل الأبرياء، و أقدم على احتجاجان الذهب و الفضة، و برع في اجاعة الفقراء و ترويع المحرومين، و بسط الظلم [صفحة ٥٧] الهائل، و امتلأت السجون، و اصطفت الطوابير تنتظر القتل تارة، و الطوامير تارة أخرى، و قطعت الأرزاق الا عن المغنين و المخنثين و شعراء البلاط و وعاظ السلاطين، فبلى الشعب المسلم بسيف قاطع، و نظام مشين صارم، و سطوة معتد أثيم، و قسوة حاكم غاشم، لا يقبل نادما، و لا يقبل توبة، و لا يلتمس غدرا، و قد شرع الغدر قانونا بأقرب الناس اليه، و أعلقهم بضميره و كيانه و مملكته، فكان للطالبيين السيف، و للبرامكة الاستئصال، و للمعارضين الاغتيال و التشريد و النفي، و للشعب الجوع و الحرمان و الفقر المدقع. أما زهو القصور، و شرب الخمر، و موائد القمار، فللحاكمين و الظالمين بركابهم. و استمرت الزوبعة في عصفها، و الكوارث في نفثها، و الانتكاسات في تلاحقها، فسأم الشعب الحياة، و بدأت التجمعات السياسية تنشط في سرية تامة، و التحركات الثورية تجد تنظيمها و اعدادها، و القيادات المعارضة تنتشر في أرجاء الدولة الاسلامية. و مات الرشيد بما يشبه الفجأة بعد مرض التهمه في أيام معدودة، و دفن في شرق الدولة التي ملأها رعبا و رهبا و استطالة، مات وحيدا منبوذا في طوس، فما بكت عليه السماء و لا الأرض، و أسلم لعمله الشائن، و ذنوبه الكبرى، و تسلم ولده محمد الأمين الحكم، و سرعان ما غدر بأخيه، و خلعه من ولاية العهد، فسير له المأمون الجيوش الجرارة، فقتل شرقتة، بعد أن سالت الدماء كل مسيل، و انتكث عليه غروره و فجوره و انقلب فيه عبثه و مجونه، و انتهى أمره الى ما انتهى اليه، و جاء للحكم أخوه عبد الله المأمون عقب مجزرة بغداد بما تحدثنا عنه مفصلا في كتابنا السابق (الامام علي بن موسى الرضا / قيادة الأمة و ولاية العهد). [صفحة ٥٨] و كانت الدولة في اضطراب سياسي شديد، فالثورات في بقاع الأرض المختلفة، و المعارضة تشدد كفاحا

مسلحا، و القلوب تنضح دما، و الأحاسيس تنطلق بعد صمت، و الشرارة تندلع بعد الاستتار، فاستطاع المأمون بحنكته السياسية و أساليبه الخاصة، أن يتظاهر بأمر، و ينطوى على أمر آخر، ففجّل بولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، ريثما تطفأ الثائرة، و تخبو شعلة النضال المتأججة، و لو الى حين... و نجح المأمون في مسعاه، و انطلت اللبّة على كثيرين، و أظهر التشيع جدلا، و ولاية أمير المؤمنين اسما، و أغضب بنى العباس ظاهرا، و هو جاد في العمل المضني لصيانة الدولة العباسية من الانهيار، و ممسك بزمام الحكم بقبضة حديدية، حذرا من لهيب الانتفاضات الموعلة بالاشتعال هنا و هناك، و مغرق في المؤامرات السرية لتثبيت السلطان و احتواء الشرر المتطاير بالآفاق، و لما تم له ما أراد بهذا التخطيط الدقيق، انتهى به الأمر الى اغتيال الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، فأظهر الحزن و الجزع عليه، و بانت علائم الأسى على أساريه دجلا و مداراة، فلما استكان الوضع الداخلي و اطمأن الى السلامة، و ظن أنه قادر على امتلاك العواطف و اكتساب مشاعر الشعب المسلم، تالّأ نجم الامام محمد الجواد في صباه، و غطى شعاعه مشارق الأرض و مغاربها، و اذا بالمأمون يفجأ بنزلة جديدة و هو في أخريات أيامه، فعاد الى أسلوبه القديم في المراوغة و سبق الأحداث فاستدعى الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و أنعم عليه بالأعطيات الضخمة، و لم يمتنع الامام الجواد من أخذها، و كان ذلك لسببين فيما يبدو للبحث: [صفحة ٥٩] الأول: ان الامتناع من أخذ هبات السلطان - و هي جائزة شرعا - يعنى تصنيفه في خط المعارضة، و ذلك ما يجعل الامام ضحية بلا قضية. الثاني: ان أخذ الامام لذلك المال و له حق فيه لأولياته يكون من باب استنقاذه من أيدي الظلمة. و فضلا عن هذه المبررات الظاهرية، زوج المأمون بابنته أم الفضل، فعاد الامام (عليه السلام) صهر المأمون، و أظهر له من الحب و المودة و الاخلاص ما سبق أن منحه لأبيه الامام الرضا (عليه السلام) من ذى قبل، و لم تتح الفرصة للمأمون بالقضاء على الامام اذ اخترم عمره و انتهى أجله، فسلم أخوه المعتصم بن الرشيد الملك، فكان له مع الامام أكثر من حادث، و جرت له معه أكثر من واقعة، و هو ما يحاول البحث تسليط الضوء الكاشف عليه في عصر المعتصم الذى قضى على الامام محمد الجواد بقسوة و اصرار و تعمد قتل، كما ستره في موقعه باذن الله تعالى. و لما كانت بداية الامام فى تسلمه للمنصب الشرعى الالهى فى عصر المأمون، كان لزاما علينا رصد ذلك العصر رسدا متوازنا و استقراء أبعاده فيما عرض للإمام من مشكلات و أحداث له و لأتباع أهل البيت. و كانت سياسة القهر و الاذلال و الاغتصاب و خنق الأصوات منهجا لا محيص عنه فى الاطار السياسى العام، و عليه من الشواهد كثرة القتل و سفك الدماء و عنصر الارهاب و مصادرة الحرية الفردية و العامة، و الغاء أبسط حقوق الانسان فى المواطنة و الحياة الكريمة، و فوق هذا كله [صفحة ٦٠] تناول غول الفقر و شبح المجاعة فى جانب، و التضخم المالى و الاسراف اللامسؤول فى جانب آخر، و كان شيعه أهل البيت فى بؤس و شقاء و ملاحقه و استرقاق، و كانت واردات الدولة الضخمة تسد اندفاع السلاطين و الولاء فى الشهوات و اجتراح المآثم و الموبقات و المسلمون فى حال غريب يرثى له من الجوع و الحرمان. و كان العباسيون ممن أسس أساس الظلم و العدوان على العباد، و كان السلطان الغاشم منهم يبتز حقوق المسلمين التى بذلوا فيها دماءهم و ضحوا من أجلها فى البعث العسكرية و الفتوح الاسلامية و ذهبوا شهداء تلك المناورات فى الحروب الداخلية التى لا أول لها و لا آخر، فالمسلم - لا سيما أتباع أهل البيت - يدفع ضريبة الدم و لا يحصل على قوت اليوم أو الشهر، و يختطف منه أبناؤه و شباب أسرته، و لا يوفر له أدنى العيش الكفاف، ذلك كله فى ظل نفقات الخلفاء من خلفاء بنى العباس على الملذات و السهرات و الجوارى و موائد الخمر و الليالى الحمراء، و ما جرى على هذا النسق من الاسراف. و قد بلغ هذا الاسفاف المريع ذروته فى العصر الذى عاش به الامام محمد الجواد (عليه السلام) حياته القصيرة، و ليس له حول أو طول فى تغيير الواقع المتهافت، و هو يرى الشعب المسلم فى ضائقة خانقة، و يرى تلك الأموال المتراكمة و قد بذرت فيما لا يرضى الله، و لو أردنا نموذجا واحدا من الأكداس لذلك المال، و ليكن الخراج وحده، لرأينا ابن خلدون قد أحصاه فيما يتجاوز أربعين مليون درهم فى عهد المأمون. [٩٨]. [صفحة ٦١] فما بالك فى الايرادات الأخرى و الضرائب و المصادرات و ما شرعوا من جباية الأموال من مشتبهاتها، و ما فرضوه من الغرامات و انتزاع الملكية، و ما وصل اليهم من الجزية و فىء الأقاليم، حتى أن المال لو فرته كان لا يعد عدا بل يوزن وزنا، فكانوا يصفون واردات الدولة العباسية فى عصر المأمون،

كما يذهب الى هذا ابن خلدون نفسه: بأنها بلغت ستة أو سبعة آلاف فنطار من الذهب الخالص. [٩٩]. حتى اذا جاء المعتصم عام (٢١٨ هـ) بعد وفاة أخيه المأمون، رأينا البذخ والعبث المالي على أشده، وفي ضراوة تطوره التصاعدي في التضخم والعائدات، فقد حسب المعتصم نفسه خراج عامله على الروم فكان أقل من ثلاثة آلاف ألف، فغاضه ذلك، وكتب الى عامله يعاتبه: «ان أخس ناحية عليها أخس عبيدي، خراجها أكثر من خراج أرضك» [١٠٠]. هكذا كانت حياة الجانب المالي المعتصم من الأمة والامام. ونحن حينما نريد أن نؤرخ لهذه الحقبة الحرجة من أيام الامام المعدودة، فعلينا شرح معاناته العظمى من المأمون والمعتصم، وهما يتقمصان رداء الخلافة، و يدعيان لنفسيهما منصب الامامة الشرعية، ويحاولان تضليل السواد الأعظم باثبات صحة هذه الدعوى الكاذبة، وتلك احدى الكوارث الكبرى التي منى بها الاسلام، اذ تصدر زعامة المسلمين في العصر الأموي أمثال معاوية و يزيد و مروان، و تزعم في [صفحة ٦٢] العصر العباسي أمثال المأمون والمعتصم، وهما يضيفان على حكمهما الهزيل صفة الشرعية، بل و يصطبغان ذلك بألوان من القداسة الموهومة؛ فهل كانا أهلا لذلك الادعاء العريض الذى أحاطا شخصيتهما به؟؟ و هل تجسم فيهما - عملا و سلوكا - ما قرر فقهاء الأحكام السلطانية وجوب احرازه فى القائم بهذه المهمة الخطيرة المقدسة من صفات و ملكات و التراوات؟» [١٠١]. ان التجربة التي خاضها الامام محمد الجواد (عليه السلام) مع المأمون والمعتصم أثبتت بما لا يقبل الشك أنهما ليسا أهلا لأى منصب الهى على الاطلاق، و ذلك لما اقترناه من مخالقات صريحة لكل فرضيات الاسلام الشرعية و العقائدية و العملية، فضلا عن الأسس التي يقوم عليها الدين الاسلامى فى الورع و التقوى و أداء الواجبات و الامتناع عن المحرمات، و التورع عند الشبهات، فهما ليسا هناك، لانهما ليسا بالمستوى الأدنى الذى يصددهما عن الجرائر و الاثام و الموبقات، وهما بما فيه الانحراف عن الخط المستقيم للهدى، لم يستطيعا أن يحققا جزءا ضئيلا من تلك الشروط التي ينبغى توافرها فيمن يدعى المنصب الالهى، و كانت أعمالهم الفاضحة لمسيرتهما فى ارتكاب المعاصى، و الاصرار على الكبائر تشكل حاجزا عن انطباق أى صفة شرعية تؤهلها لقيادة الأمة، كما أن الغرائز المتأصلة فى حياة اللهو و المجون من جهة، و متابعة بطش الجبارين من جهة أخرى يمنعان من ادارة دولة اسلامية تشترط بها مظاهر التقوى من جانب، و تتمثل سياسة العطف و اللين و الرأفة من [صفحة ٦٣] جانب آخر، يضاف الى هذا كله: الجهل المطبق بأحكام الشريعة الغراء مما يتنافى مع تلبية احتياج السائلين الى معرفته الفروع على أقل تقدير، كما هو الجارى لدى الفقهاء. و من هنا كان التماع ذكر الامام الجواد (عليه السلام) يتراءى فى الأفق الرحيب نيرا آخذا بالقلوب و المسامع و الأبصار، و كان هدية شعلة وقادة يهتدى بضوئها السائرون. لقد شكل هذا الملحظ زاوية حرجة بالنسبة للخلافة الدنيوية، اذ أظهر المنحأ من سيرة المأمون و المعتصم، كما أظهر الواقع المشرف من سيرة الامام محمد الجواد علما و ورعا و كفاية و مقدرة، و عبر عن التصاق متصل بالدين و عوالمه غير قابل للانفصال. و مما لا ريب فيه لدى البحث أن الامام محمد الجواد (عليه السلام) كان المحور الذى تدور عليه رحى الاسلام فى التزامه و مواصفاته و أنماط سلوكه فقد عرف بالرشد و الصلاح و التقوى و العلم الذى بلا يجاريه به أحد فى عصره على الاطلاق، كما ستجد هذا فى موقعه من البحث، و الذى كسب به شهرة ذائعة الصيت، و اكتسب سيرورة فاقت حد القصور الأولى باعتباره فى مستقبل العمر، مما قطع به حتى أعداؤه، و أجمعوا على: «التسليم بكونه الأوحى الذى لم يشاركه غيره من معاصريه فيما كان يتمتع به من مؤهلات الولاية الشرعية و ملكاتها الفذة، و ما كان يتجمع فيه من وراثته علم النبوة و هدى الرسالة، و عطاء الوحي و التنزيل» [١٠٢]. [صفحة ٦٤] هذا المنظور الأصيل فى التقرير و التقدير هو الذى يدفعنا الى الامعان فى تصوير معاناة الامام مع سلاطين عصره و البحث عن كيفية تعامله مع المأمون و المعتصم، و مدى تلك العلاقات العامة و الخاصة التي أحبكت فصولها بكثير من الغموض حتى انتهت باستشهاد سميما. و لابد لنا من تسجيل أسمى آيات الاكبار لهذا الامام الصامد فى وجه المؤامرات الكبرى التي عرضت له فى حياته القصيرة، كما نسجل مدى الحزن و الأسى الذى يخامرنا لما تعرض له الامام من المآسى و الآلام فى تلك الفترة المظلمة من حكام عصره، و ما حفل به تأريخه من هموم و مفاجئات و أحداث، و هو يخوض تلك التطورات الهائلة فى زوابعها و أراجيفها فى حين يشق غمراتها طلق المحيا أنف الجبين، رغم الأمواج الطاغية فى خضم ذلك البحر اللجى من الأعاصير. تحية للامام الشاب من

الأعماق، و صلوات على تلك النفس المطمئنة في حياة الغضب و الاضطراب، و السلام عليه يوم ولد و يوم استشهد و يوم يبعث حيا، و العاقبة للمتقين. [صفحہ ٦٥]

الامام في حكم المأمون

امتدت أصابع الاتهام مشرئبة نحو المأمون باغتيال الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و كان يبرأ من ذلك، و يظهر الحزن و الجزع على الامام، و يذكره بالخير و الثناء العاطر، و تلك أساليب السلاطين في المكر و الدهاء السياسي. و في محاولته للمأمون من أجل التغطية على هذا الحدث المرعب، وجدناه يحكم أمره في تضليل القائلين بقتله الامام الرضا (عليه السلام) فمضافا الى مظاهر الأسى المفتعل على الامام، فقد استدعى ولده الامام الجواد (عليه السلام) الى بغداد، و أنزله قريبا من قصر الخلافة، و أظهر بره و الاحسان اليه، و بالغ في اكرامه مكرما و تصنعا ليبدد من حوله تلك السحب الغائمة في قضية اتهامه باغتيال أبيه، و أبقاه معه في بغداد ما شاء، و حينما بلغ سن الزواج زوجته بابتته أم الفضل، و أجرى عليه راتبا مجزيا، و تلك سياسية ايجابية تجاه التدبير السلبي المبيت للامام محمد الجواد (عليه السلام)، فكانت مراقبته سرية، و تتبع نشاطه الديني قد أحيط بالكتمان، و هو يصل الى المأمون أولا بأول، فغض عن ذلك الطرف و قابله بالصبر. ولدى مكث الامام محمد الجواد (عليه السلام)، في بغداد استطاع أن يجمع حوله كوكبة من أصحابه و أمدهم بالأحاديث و الروايات التي توضح لهم معالم الدين و قد يكون اتصال بعضهم بالامام مباشرة، [صفحہ ٦٦] و يروى عنه مشافهة و قد يكون ذلك عن طريق المكاتبه و تسلم الجواب، على أن ذلك كان بحدود، الا أن مجالس المناظرة و المحاوره التي أعدت للامام الجواد (عليه السلام)، أكسبته شهرة مدوية في الوسط العلمي، و قد استه و هديه جعلاه في مصف الأولياء الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون. و كان للمجتمع أن يقارن بين سيرة الامام و معارفه، و بين سيرة المأمون و فراغه العقائدي، و قد مر فيما سبق في كتابنا (الامام على الرضا / قيادة الأمة و ولاية العهد)، القاء جزء من الأضواء على حياة المأمون العابثة و شمائله المتقلبة بين التظاهر بالورع جزافا، و بين الانحدار في مزالق الشهوات انجذابا، و هو على ما هو عليه من المنصب المدعى ظلما و بهتاناً، كان يخالفه الى السقطات في سلوكه، فقد ولع بالغناء و الموسيقى ولعا خاصا، و قرب أبا اسحاق الموصلي كبير العازفين و زعيم المغنين في العراق، و ذكره بالقول: «كان لا يغنى أبدا الا و تذهب عني و ساوسى المتزايدة من الشيطان» [١٠٣]. و كان هذا مما يجلب عليه السخرية و يغري به المستهزئين، فالغناء من أسلحة الشيطان فكيف يذهب بوساوس الشيطان. و لم يكن هنا لك شىء من الملاهى أحب الى المأمون من الشطرنج، فقد ولع به. [١٠٤]. [صفحہ ٦٧] و قد وصف لعبة الشطرنج وصفا دقيقا ذكرها الأبيهي [١٠٥]. و الى جانب هذا اللهو، يضيف اليه العبث الماجن الخليع، فتراه في عيد الشعانين أحد أعياد النصارى و بين يديه عشرون و صيفة جلبت، و هن روميات مزنرات قد ترين بالديباج الرومى و علقن في أعناقهن صلبان الذهب، و فى أيديهن الخوص و الزيتون و كان يقول فيهن الشعر و يغنى به، (فلم يزل يشرب و ترقص الوصائف بين يديه أنواع الرقص) [١٠٦]. و ثمة مظاهر أخرى من اللهو تتمثل في تهارش الديوك و الكلاب [١٠٧]. و عرف باللعب بالميسر حتى انتشر ذلك في حانات الفقراء [١٠٨]. أما الاسراف في المأكول و المشرب فحدث و لا حرج، ففي بعض الوثائق عن جعفر بن محمد الأنماطى أنه تغدى عند المأمون، فوضع على المائدة ثلاث مائة نوع من الطعام. [١٠٩]. و قد عقب الدكتور صالح أحمد العلى على ذلك بأنه نظرا لتعدد ألوان الطعام فقد فسدت أسنانهم مما اضطرهم الى شدها بالذهب للعلاج. [١١٠]. [صفحہ ٦٨] و كانت اللامبالاة في مقدرات الأمة من صفات المأمون الأساسية فقد ترك أحد وزرائه ما يقرب من ثمانية ملايين دينار ذهباً بعد وفاته، فأخبر بذلك المأمون في رقعة فكتب عليها: (هذا قليل لمن اتصل بنا، و طالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيه) [١١١]. و فى هذا اغراء بنهب المال و استدعاه للناس بالانخراط فى سلكك موظفى البلاط العباسى ليحصلوا على مثل هذه المكاسب التى كانت تفوق حد الثراء بل الثراء الفاحش. و أخبار المأمون فى الاسراف لا تقف عند حد، و ما صنع فى زواجه بيوران بنت الحسن بن سهل، قد ناف على مظاهر السرف فى كل شىء، هبات و عطايا، و اقطاع أراضى، و نثر بنادق العنبر و

فيها الرقاق و الصكوك و المنح و الأعطيات الضخمة، بما ألمحنا اليه في حياة المأمون بعصر الامام الرضا (عليه السلام)، و بما أورده الطبري و ابن الأثير و سواهما في لمحات التأريخ، و الي جانب هذا اللهو المشين و التبذير المحرم كان المأمون معروفا بالشدة و الغلظة و حب الانتقام، و ان تظاهر بالعمو و الرحمة، فقد غدر بالفضل بن سهل بعد أن مهد له الأمور، و قد ضحى بقواد الجيش و زعماء العسكر بعد أن ضبطوا له الدولة، و قد قتل الامام الرضا (عليه السلام) بالسهم و في يده، و قد أمر ولاته و عماله بقتل العلويين تحت كل حجر و مدر، و كان قتله لأخيه الأمين بداية للترويع السياسي الذي أنكره عليه حتى العباسيون، و كان بعد كل هذه الجرائر يبدو وكأنه الحمل الوديع [صفحة ٦٩] طيبة و سلوكا، فيعمو عن هذا، و يمسك عن ذاك و يتقرب لسواهما، حتى اذا واتته الفرصة بطش بطش الجبارين. و الأغرب من هذا أن يدعى المأمون التشيع تارة، و يتأزر بمئزر الخلافة الشرعية تارة أخرى، و هو يتجاهر بالكبائر و يقترف المحرمات على رؤوس الأشهاد، و من أطرفها استهتارا بالدين، و هتكا لحرمة شهر رمضان لدى زواجه ببوران سنة عشر و مأتين من الهجرة فقد أظفر الخليفة (هو و الحسن بن سهل و العباس... حتى اذا فرغوا من الافطار و غسلوا أيديهم فدعا المأمون بشراب فأتى بجام ذهب، و صب فيه و شرب، و مد يده بجام فيه شراب الى الحسن، فتباطأ عنه الحسن لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك، فغمز دينار بن عبد الحسن فقال له الحسن: يا أمير المؤمنين؟ اشربه باذنك و أمرك؟ فقال له المأمون: لو لا أمرى لم امدد يدي اليك. فأخذ الجام و شربه) [١١٢]. فما عسى أن تقول في خليفة يأمر وزيره في رمضان بتناول الخمرة و الوزير يتعفف عن ذلك؟ و قد قضى الامام الجواد (عليه السلام) زهرة أيامه في حياته مع المأمون منذ استشهاد أبيه الرضا عام ثلاثة و مائتين من الهجرة حتى وفاة المأمون يوم الخميس لثلاث عشر ليلة بقيت من رجب عام ثمانية عشر بعد المائتين من الهجرة. [صفحة ٧٠] و أعاد المأمون خلال هذه الحقبة سيرته الدبلوماسية مع الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و اعترف بيد مستطيطة من دهائه السياسي المعروف، فمال في مسلكيته مع الامام الى الوادعة و الموادعة و اظهار الحب و الاحترام، مما أعاظ بنى العباس، و قد غاص سهمه في الأعماق. و قد أخذ المؤرخون هذا العطف المغلف و التخطيط المبرمج على أنه ظاهرة من ظواهر التبجيل و التعظيم للامام، و ذلك لما ظهر له (من فضله و علمه و كمال عظمتة و ظهور برهانه مع صغر سنه) [١١٣]. و الأكثر من هذا أن سبط ابن الجوزي قد لمس من اعجاب المأمون بالامام أن فكر بأن يعهد الى ابن الرضا بولاية العهد، و منعه من ذلك شغب بنى العباس عليه، و خشيته من الفتنة و النزاع الذي قد يؤدي الى خروج الأمر من يد بنى العباس و بنى على كليهما بسبب الاختلاف [١١٤]. و قد نظر الشيخ المفيد «قدس سره» الى الأمر على ظاهره فقال: «كان المأمون قد شغف بأبي جعفر (عليه السلام) لما رأى فضله مع صغر سنه، و بلوغه في العلم و الحكمة و الأدب و كمال الفضل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان... و كان متوافرا على اكرامه و تعظيمه و اجلال قدره» [١١٥]. و البحث لا يستبعد على المأمون انتهاج هذه السياسة، فهي سليمة، له نفعها و عليه درها، و هو غير آسف على ما فعل من التكريم الظاهري، [صفحة ٧١] فله مخططة الخاص الذي ينفذ فيه لأغراضه، فضلا عن اسدال الستار - و لو جزئيا - على الماضي القريب و قد وجهت اليه التهمة علنا باغتيال الامام الرضا (عليه السلام) فما ضره من دفع الشبهات عنه بالمصافحة و الاصحار في السياسة لا يخشى عليه منها. و كانت البداية في اللقاء بين الامام و المأمون ما أشار اليه المسعودي صراحة أن المأمون لدى استقراره ببغداد، و تهدئة الفتنة استدعى الامام محمد الجواد من المدينة المنورة الى بغداد، و أنزله بالقرب من داره. [١١٦]. و انزال الامام قرب دار المأمون يعنى رصد التحركات، و احصاء الأولياء و الأتباع، و الرقابة الدقيقة الفاحصة، و النظر في أمر الامام محمد الجواد من كل زواياه و وجوهه، اذ لم يكن المأمون مغفلا بحيث يترك الامام في حرية مطلقة و هو يرى نصف الامة تقول بامامته و أولويته بمنصب الخلافة الشرعية للمؤهلات و الهدى و العلم الخارق. أما ما يروى بأن لقاء المأمون بالامام محمد الجواد كان من خلال مرور المأمون ببعض أزقة بغداد، و كان الصبيان يلعبون و الامام يقف معهم!! فلما شاهدوا موكب المأمون تركوا لعبهم و فروا، باستثناء الامام محمد الجواد الذي بقى في مكانه و لم يفر معهم، مما أثار تعجب المأمون، فتساءل عنه أو سأله فعرفه. [١١٧]. فموضوع لا أصل له من عدة جهات: [صفحة ٧٢] ١- متى أتاحت مشاغل الامامة و النهوض بالأمر فرصته للامام الجواد أن يلعب أو يقف مع الصبيان؟؟ ٢- كيف يعقل أن المأمون لا يعرف الامام الجواد؟ و قد

استدعاه الى بغداد! و من ثم يسأل عنه فاذا علم به أعجب فيه!! ٣- أين الامام الجواد من الأزقة و الشوارع و قد احتفلت به الدواوين ببغداد علما و فقاهاة و احتجاجا!! و الأمر الذي لا نشك فيه أن المأمون رأى سياسيا أن يبدد ما تراكم من ضباية موقفه من الامام الرضا (عليه السلام)، فعزم على العودة من جديد الى سياسة المراوغة و الموازنة بين الأحداث فتظاهر باعادة الصلوات المنبثة بين العباسيين و أهل البيت، و مهد لذلك بتقريب الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و التحدث عن قابلياته و مواهبه، و من ثم قراره بتزويج الامام من ابنته أم الفضل، حتى تنهى الخبر الى بنى العباس فأنكروا ذلك، و خافوا أن ينتهي الأمر معه الى ما انتهى للامام الرضا عليه السلام، فخاضوا في ذلك، و قالوا للمأمون: (نشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فانا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكنا الله عزوجل و ينزع منا عزا قد ألسناه الله، و قد عرفت ما بيننا و بين هؤلاء القوم قديما و حديثا، و ما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم و التصغير بهم، و قد كنا في وهلة من عملك مع الرضا (عليه السلام) ما عملت، فكفانا الله المهم من ذلك، فالله الله أن تردنا [صفحة ٧٣] الى غم قد انحسر عنا و اصرف رأيك عن ابن الرضا، و اعدل الى من تراه من أهل بيتك ليصلح لذلك دون غيره!! فقال لهم المأمون: أما ما بينكم و بين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، و لو أنصفتهم القوم لكانوا أولى بكم، و أما ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان قاطعا للرحم و أعوذ بالله من ذلك، و الله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا (عليه السلام)، و لقد سألته أن يقوم بالأمر و انزعه من نفسي فأبى، و كان أمر الله قدرا مقدورا. و أما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم و الفضل، مع صفر سنه، و الأعجوبة فيه بذلك، و أنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلمون أن الرأي ما رأيت فيه!! فقالوا له: ان هذا الفتى و ان راقك منه هديه، فانه صبي لا معرفه له و لا فقه، فأمله حتى يتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك!! فقال لهم: و يحكم أنى أعرف بهذا الفتى منكم!! و ان أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى و مواده و الهامه، لم تزل آباؤه أغنياء في علم الدين و الأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فان شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله. قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين و لأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا و بينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شىء من فقه الشريعة، فان أصاب في الجواب عنه لم يكن اعتراض في أمره، و ظهر للخاصة و العامة سديد [صفحة ٧٤] الرأي أمير المؤمنين فيه، و ان عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه، فقال لهم المأمون: شأنكم و ذلك متى أردتم!! فخرجوا من عنده و اجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكنم و هو يومئذ قاضى الزمان على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، و وعدوه بأموال نفيسة على ذلك، و عادوا الى المأمون و سألوا أن يختار لهم يوما للاجتماع فأجابهم الى ذلك. و جرت الأسئلة على رسلها، و اعترض الامام عليها و طلب من ابن أكنم الرد على اشكالياته و تحير يحيى بما سنذكره في موضعه [١١٨]. و مهما يكن من أمر، قال المأمون بعد انتصار الامام الجواد: (الحمد لله على هذه النعمة و التوفيق لى فى رأى... ثم أقبل على الامام (عليه السلام) فقال له: أخطب لنفسك، فقد رضيتك لنفسى، و ان رغم قوم ذلك، فقال أبو جعفر (عليه السلام): (الحمد لله اقرارا بنعمته، و لا اله الا الله أخلاصا لوحدانته، و صلى الله على محمد سيد بريته، و الأصفياء عترته، أما بعد: فقد كان من فضل الله على الأنام أن أعناهم بالحلال عن الحرام و قال سبحانه: (و أنكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم و امائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله و الله واسع عليم) [١١٩]. [صفحة ٧٥] ثم أن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، و قد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد عليهما السلام، و هو خمسمائة درهم جيادا؛ فهل زوجتى يا أمير المؤمنين على الصداق المذكور؟ قال المأمون: نعم قد زوجتك يا أبا جعفر ابنتى على هذا الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): و قد قبلت ذلك رضيت به. فأمر المأمون: أن يقعد للناس على مراتبهم الخاصة و العامة. [١٢٠]. و كان الشيخ الصدوق من ذى قبل قد روى خطبة الزواج بصيغة أخرى، قال: لما تزوج أبو جعفر محمد بن علي الرضا (عليه السلام)، ابنة المأمون خطب لنفسه فقال: «الحمد لله متمم النعم برحمته، و الهادى الى شكره بمنه، و صلى الله على محمد خير خلقه، الذى جمع فيه من الفضل ما فرقه فى الرسل قبله، و جعل تراثه الى من خصه بخلافته، و سلم تسليمًا: و هذا أمير المؤمنين زوجنى ابنته على ما فرض الله عزوجل للمسلمات على المؤمنين، من امساك بالمعروف، أو

تسريح باحسان، و بذلك لها من الصداق ما بذله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأزواجه و هو: اثنتا [صفحة ٧٦] عشر أوقية و نش (نصف) و على تمام الخمسمائة، و قد بجلتها من مالى مائة ألف. زوجتى يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى. قال: قبلت و رضيت» [١٢١]. قال الريان: و لم نلبث أن سمعنا أصوات تشبه أصوات الملاحين فى محاوراتهم، فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من الفضة مشدودة بالحبال من الأبريسم على عجل مملوءة من الغالية. فأمر المأمون أن يخضب لحاء الخاضة من تلك الغالية، ثم مدت الى دار العامة فطيبوا منها. و وضعت الموائد فأكل الناس و خرجت الجوائز الى كل قوم على قدرهم. [١٢٢]. قال الشيخ المفيد و المسعودى و ابن شعبة و ابن شهر آشوب، و الطبرسى مع الاختلاف البسيط: «فلما كان من الغد حضر الناس، و حضر أبو جعفر (عليه السلام)، و صار القواد و الحجاب و الخاضة و العامة لتهنئة المأمون و أبى جعفر (عليه السلام)، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك و زعفران معجون فى أجواف تلك البنادق رقا مکتوب عليها بأموال جزيلة و عطايا سنينة و اقطاعات فأمر المأمون بنثرها على القوم فى خاصته، فكان من وقع فى يده بندقه أخرج الرقة التى فيها و التمسه فأطلق له، و وضعت البدر، ففرق ما فيها على القواد و غيرهم. [صفحة ٧٧] و انصرف الناس و هم أغنياء بالجوائز و العطايا، و تقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين» [١٢٣]. و استبشر فريق من أولياء أهل البيت بهذا الزواج حتى قال أبو هاشم الجعفرى للإمام محمد الجواد (عليه السلام): (يا مولاي لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم!! فقال: يا أباهاشم، بركات الله علينا فيه. قلت: نعم يا مولاي؛ فما أقول فى اليوم؟ فقال: تقول فيه خيرا فانه يصيبك. قلت: يا مولاي أفعل هذا و لا أخالفه. قال: اذا ترشد و لا ترى الا خيرا) [١٢٤]. و مهما يكن من أمر، فقد تحقق هذا الزواج لدواع خفية و أخرى ظاهريه، فقد ادعى المأمون فى أسباب هذا الزواج أمرا بريئا و سببا و جيهها فى ظاهره، فقال: «انى أحببت أن أكون جدا لمرء ولده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، و على بن أبى طالب (عليه السلام)» [١٢٥]. و يميل الأستاذ باقر شريف القرشى الى أن المأمون حاول الوقوف على نشاط الامام الجواد (عليه السلام)، و الاحاطة باتجاهاته السياسية، و معرفة [صفحة ٧٨] العناصر الموالية له و القائلة بامامته، و ذلك من طريق ابنته التى ستكون زوجة له. و أردف قائلا: (لعل من أهم الأسباب و أكثرها خطورة أن المأمون حاول من هذه المصاهرة جر الامام الى ميادين اللهو اللعب ليهدم بذلك صرح الامامة الذى تدين به الشيعة، و الذى كان من أهم بنوده و عصمة الامام و امتناعه من اقتراب أى ذنب عمدا كان أم سهوا، و كان من الطبيعى أن يفشل فى ذلك، فان الامام (عليه السلام) لم يتجاوب معه بأى شكل من الأشكال) [١٢٦]. و هذا الافتراض ليس من السهل على المأمون الجراءة عليه، أو التفكير به على الاطلاق فيما نعتقد، فالمأمون أعلم الناس بورع الامام و تقواه، و هو الخبير الاستراتيجى بما عليه شأن الأئمة المعصومين (عليه السلام)، و ان احتال على الامام بكل حيلة فلم يمكنه فيه شىء على حد تعبير الشيخ الكلينى. [١٢٧]. ولدى زواج الامام محمد الجواد (عليه السلام) فى بغداد، عزم على السفر الى مسقط رأسه: المدينة المنورة، فانصرف عن بغداد و صار الى شارع باب الكوفة، و معه الناس يشيعونه، فانتهى الى دار المسيب عند مغيب الشمس فنزل و دخل المسجد و كان فى صحنه نبقه لم تحمل بعد، فدعا بكوز فيه ماء، فتوضأ فى أصل النبقه، و قام (عليه السلام) و صلى بالناس صلاة المغرب، فقرأ فى الأولى منها: الحمد و اذا جاء نصر الله، و قرأ فى الثانية [صفحة ٧٩] الحمد و قل هو الله أحد، و قنت قبل ركوعه فيها، و صلى الثالثة و تشهد و سلم، ثم جلس هنيهة يذكر الله جل اسمه، و قام من غير أن يعقب فصلى النوافل أربع ركعات، و عقب تعقيبها، و سجد سجدة الشكر ثم خرج، فلما انتهى الى النبقه رآها الناس و قد حملت حملا حسنا، فتعجبوا من ذلك و أكلوا منه فوجدوا نبقا حلوا لا عجم فيه و ودعوه و مضى من وقته الى المدينة. [١٢٨]. و رأى الطبرى أن خروج الامام الجواد (عليه السلام) من بغداد كان أيام الحج فقصد مكة المكرمة حاجا، ثم أتى منزله بالمدينة. [١٢٩]. (انه لم يتعرض أحد خاصة الامام التقى - يعنى الجواد - فلم يوقف أو يزجج طول مدة حكم المأمون) [١٣٠]. بينما ذهب الشيخ المفيد الى أكثر من هذا، فاعتبر المأمون: (لم يزل مكرما لأبى جعفر (عليه السلام)، معظما لقدره مدة حياته، يؤثره على ولده و جماعة من أهل بيته) [١٣١]. و لكن العلاقة بين الامام محمد الجواد (عليه السلام) و زوجته أم الفضل لم تكن على ما يرام، فقد اعتادت حياة باذخة مسرفة فى ظل القصور [صفحة ٨٠] و مرافق السلطان، و اذ بها تحيا حياة جديدة من الورع و الزهد و التقوى،

فاختلف عليها المناخ النفسي والأسرى، وبدأت تشكو لأبيها علاقتها بالامام. قال الشيخ المفيد قدس سره: «وقد روى الناس أن أم الفضل كتبت الى أبيها تشكو أبا جعفر عليه السلام و تقول: انه يتسرى عليه و يغيرنى. فكتب اليها المأمون: يا بنيّة انا لم نزوجك أبا جعفر لنحرم عليه حلالا، فلا تعاودى لذكر ما ذكرت بعدها» [١٣٢]. فامتعت أم الفضل عن مخاطبة أبيها بشيء من أمر الامام، و لم ترزق منه الذرية فتأصلت عقدها النفسية، و لم يكن زواجها من الامام خالصا من الأوشاب و لم نجد علاقتها بريئة من الامام، فأقدمت على سمه كما سترى. و مهما يكن من أمر فقد رأيت حياة الامام فى حكم المأمون، و بقى الامام و انتهت حياة المأمون بطرطوس احدى أعمال الشام عن تسعة و أربعين عاما و ذلك فى سنة ٢١٨ هـ. [صفحة ٨١]

الامام فى عصر المعتصم

و بويح المعتصم بن الرشيد يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمانى عشرة و مائتين. [١٣٣]. و كان المعتصم متصفا بالحماقة و شدة الغضب، حتى عرف عنه أنه: (اذا غضب لا يبالي من قتل و ما فعل) [١٣٤]. و مع ذلك وصف بأنه كان ذا شجاعة... و بأس و شدة فى قلبه) [١٣٥]. و كان أميا أو شبه أمى، و كان له وزير عامى، و قد بليت بهما الأمة، و وصفهما أمد بن عامر بقوله: (خليفة أمى، و وزير عامى) [١٣٦]. و كان شديد الكراهية للعرب و عمد الى الاستهانة بهم و أخرجهم من الديوان و أسقط أسماءهم منه، و منعهم العطاء كما منعهم الولايات. [١٣٧]. و فى قبال هذا كان مغرما بحب الأتراك، متزلفا لهم، بسبب من خوئولتهم به، فأمه ماردة تركية النسب، و نشأ محاكيا للأتراك فى نزواتهم النفسية و طبائعهم الخلقية. أطلق لهم العنان فى الدولة و تصريف الشؤون، و استكثر منهم، و بعث فى طلبهم من فرغانه و أشر و سنة [١٣٨]. [صفحة ٨٢] و لما كان المعتصم جادا و محموما فى طلب الأتراك فقد تم له ذلك فاجتمع له منهم أربعة آلاف فألبسهم أنواع الديباج و المناطق الذهبية... و أبانهم بالزى عن سائر جنوده... و كانت الأتراك تؤذى العوام بمدينة السلام بجريها الخيول فى الأسواق، و ما ينال الضعفاء و الصبيان من ذلك، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ كبير أو صبى أو ضرير، فعزم المعتصم على الفعله منهم... فلم يزل يتنقل و يتقرى المواضع، فانتهى الى موضع سامراء، فكان ذلك سبب بنائه سر من رأى، و تحوله اليها. [١٣٩]. و استطال الأتراك فى عهده و تناسلوا و قد بلغ عددهم سبعين ألفا، و حرص المعتصم على أن تبقى دماؤهم متميزة، فجلب لهم نساء من جنسهم فزوجهم بهن، و منعهم من الزواج بغيرهن. [١٤٠]. و كان الأتراك قوة المعتصم الضاربة، فأسند بهم قيادة الجيش و العسكر و سلطهم على مواقع الدولة صغیرها و كبيرها، و بذلك انسل العرب من مجال السياسة، و حرمهم من مظان السيادة و عزلهم من قيادة الجيوش. و لو أردنا الحديث عن ممارساته و أولاعه الخارجة عن نطاق الدين و الشريعة لوجدناه معاقرا للخمر و شاربا لها، و كان مشاركا فى مجالس الطرب و الغناء طيلة حياته حتى الموت. [١٤١]. و أما من الناحية السياسية فلم يكن المعتصم العباسى سياسيا محنكا و لا خيرا بادارة الدولة و لا جديرا بالهيمنة على الشؤون العامة للرعية، [صفحة ٨٣] فعلى الرغم من الضغط الدموى و الارهاب السياسى فى عصره فقد اهتر الحكم بعدة ثورات هائلة زعزعت عرش الخلافة فى بغداد و سامراء، فقد تناوبت فى فترة حكمه التعسفى الطائش عدة تحركات ثورية كان أبرزها: ١- ثورة الطالقان بقيادة محمد بن القاسم العلوى. ٢- ثورة بابك الخرمى و ما رافقها من القتل و سفك الدماء. ٣- ثورة الزط فى البصرة و مشاكلها العديدة الرعناء. ٤- تحرك الروم الى زبطرة و سواها. ٥- ثورة المبرقع فى فلسطين و ما والاها. فما كتب الاستقرار السياسى و لا نعمت الشعوب الاسلامية بالاطمئنان و السلام، و لا هدأت الحياة من الصخب و الضجيج و الهرج. و قد منى الامام الجواد (عليه السلام) بهذا الطاغية، و أخذ يتربص به الدوائر و الفرص، و شعر الامام بأن العباسيين بعامة و المعتصم بخاصة غير تاركه حتى يقتل أو يغتال أو يسم، و تحقق تخوف الامام (عليه السلام)، فقد أشخصه المعتصم الى بغداد، فوردها لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين و مائتين. [١٤٢]. فقد أمر وزيره عبدالملك ابن الزيات أن ينفذ اليه التقى و أم الفضل... فتجهز و خرج الى بغداد، فأنفذ المعتصم أشناس بالتحف اليه و الى أم الفضل. [١٤٣]. [صفحة ٨٤] و الذى يبدو أن الامام قد بدأ بالسفر الى مكة حاجا، و معه

زوجته أم الفضل، ثم انصرف الى بغداد من هناك. [١٤٤]. و روى في عيون المعجزات، القول: (لما خرج أبو جعفر (عليه السلام) و زوجته ابنة المأمون حاجا، و خرج أبو الحسن على ابنه (عليه السلام) و هو صغير، فخلفه في المدينة، و سلم اليه المواريث و السلاح و نص عليه بمشهد ثقاته و أصحابه) [١٤٥]. و مسألة السلاح و اعطاؤه لولده الامام علي الهادي (عليه السلام) مشعرة بأن الامام قد نعت اليه نفسه، و أنه سوف لا يعود الى المدينة، و أن هذا آخر العهد بولده الامام الهادي (عليه السلام)، فسلمه سلاح رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و نص على امامته بمحضر الثقات و الأصحاب. و الامام الجواد يشير الى هذا الأمر مصرحا به الى محمد بن فضيل الصيرفي، فيقول: «عندى سلاح رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هو فينا بمنزلة التابوت في بني اسرائيل، يدور معنا حيث درنا، و هو مع كل امام» [١٤٦]. و ما أن بلغ الامام الجواد بغداد و شاع خبر قدومه حتى كان - كما هو منتظر - موضع اهتمام رجال الفقه و الحديث و مطمح أنظار أهل الايمان و الدين، و مفزع طلاب العلم و المعرفة في أحكام القرآن و مسائل الشريعة [١٤٧]. [صفحة ٨٥] و التف علماء الأمة حول الامام متحلقين في غبطة و اعتداد، فأفاض عليهم من نير علمه الذي لا ينضب ما تحيرت به العقول، و جرت للامام في ديوان المعتصم محاورات فقهية رضى بها قوم و سخط آخرون، و لم يرق هذا المناخ المعرفي للمعتصم و بني العباس و هم يشاهدون الامام الشاب في مسيرة علمية هادرة ليس من جنس ما يحسنون، و لا من سنخ ما يعرفون، مسيرة تزخر بالعطاء التشريعي سنه و فقها و تفسيرا و الناس تتثال عليه من كل جانب بين مناظر و مسائل و محاور، و هو كالبحر اللجي الذي لا تدرك سواحله، ذلك ما أحق عليه المعتصم، فشدد على الامام، و فرض عليه رقابة صارمة، و ربما منع عنه شيعته و مواليه حتى انتهى ذلك باغتياله. و الذي نريد الاشارة اليه في هذا الموضع أن الامام عاش أيام حياته المتبرعمة بين مترعمين ادعيا المنصب الشرعي، و هما المأمون و المعتصم، و ليسا أهلا- له في كل حال، فلو قارنا بين مدخرات الامام الموهبية، و شمائله الذاتية النقية، و بين تلك الأهواء الطائشة لذيئك المترعمين الكاذبين لرأينا البون الشاسع بين حقيقتين مختلفين و وضعيتين متقابلتين تماما. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و عندما تنضح لنا السمات المميزة لكل من المأمون و المعتصم، و ما قيل فيهما من معارقة الخمر و الملاهي، و العبث بأموال المسلمين، و القتل عند الغضب بلا مبالاة، و ما يقابل ذلك من سمات الامام لاجواد المميزة، و ما ورد في علمه و عبادته و تقواه و مجموع صفاته المرتبطة بسمو ذاته - نكون قد انتهينا الى نتيجة قطعية الحكم مسلمة الثبوت، يتجلى فيها [صفحة ٨٦] الجواب الصريح المقنع على ما كنا نبحت عنه من خلال الأسئلة المتقدمة المعنية بتحديد المؤهل من بين هؤلاء المذكورين للولاية الدينية في ذلك اليوم، ممن اجتمعت فيه الشروط المطلوبة في المرشح لامامة المسلمين، و سنكون جميعا على اتفاق لا يدخله الريب بان الامام الجواد هو الانسان الجامع يومذاك لتلك الصفات و الشروط، و ان الذين ادعيا الامامة في زمانه لم يكونا متطابقين مع تعاليم الاسلام في التصرف و العمل و السلوك، و لم يتمثل فيهما الحد الأدنى - بل ما هو أقل من الأدنى - من شروط الامامة و مواصفاتها المجمع عليها: دينا و فقها، و علما و التزاما، و ورعا، و فضائل أخلاق» [١٤٨]. و هذه المقارنة ضرورية من أجل الاسلام باعتباره النظام المقدس الصادر من السماء و من أجل المسلمين باعتبارهم الأمة التي رشحت لحمل رسالة الاسلام فلا بد و الحالة هذه من الفرز المضني لاقرار المؤهل لقيادة الاسلام و المسلمين، و هنا يبرز الامام الجواد في سنه المبكرة و شبابه الغض القائد الضرورة للأمة دون سواه، و اذا كان الأمر كذلك، و هو كذلك، فيا ساعد الله الامام الجواد على ما كابد من تناقضات و الآم و مفارقات، و هو يتجرع الغصص حينما يشاهد الانحراف عن طريق الاسلام، و هو يتحسس الألم حينما يتولى قيادة الأمة من يبرؤ من تصرفاته الاسلام. [صفحة ٨٧]

الامام الجواد و القائم بالأمر

نتيجة للافراز السابق نجد ردة فعل أولياء الامام ردة غاضبة عنيفة، فهم يتوسمون به القائم المنتظر من شدة معاناتهم، و يأملون أن يكون الداعي الى الله بالسيف، و المحقق لليوم الالهى الموعود في تخليص البشرية من الظلم و العدوان، و ذلك لما ثبت لديهم و تواتر عندهم من خبر المنقذ الأعظم الذي يملأ الدنيا قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا، و ذلك من ضروريات المذهب و ثوابت التشيع،

ولشدة اصطدامهم بمآسى الحياة و لولعهم معاناتهم من استبداد الطغاة، كانوا يأملون أن يكون الامام محمد الجواد (عليه السلام) ذلك المصلح العالمى الذى يتحقق على يديه تطبيق العدل الالهى و اقامة الدولة العالمية الكبرى. و هذا الهاجس الذى يجول فى خواطر أوليائه المقربين كان نتيجة الاعتساف الفادح و الطيش المرير، و الاستهتار بالمقدسات، و التناول على الشريعة و نبذ الكتاب و تحريف الكلم من قبل سلاطين الجور، و كان هذا الأمل يراودهم من أجل الانقاذ من براثن الطواغيت، عسى أن يكون الفتح المرتقب على يد الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و لكن الامام كان يقابل ذلك بهدوء، و يجب عنه بحكمة و روية، و يحدثهم عن مهمة كل امام فى قيامه بالحق و نهوضه بالأمر دون ذلك الأمل المنشود، فالذى يريدون ليس هو على كل حال، بل هو ذلك المنظر الغائب الذى لا يقوم حتى تهياً له أسباب الثورة الكبرى، و تتحقق له شرائط التحرك الجهادى فى [صفحة ٨٨] المناخ الذى يتلائم و طبيعة التغيير الشامل، من حيث التمحيص و التجربة و القوة و العدة و العدد. فقد جاء عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى، و هو من الثقات الأبرار، قال: قلت لمحمد بن على (يعنى الامام الجواد) انى لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) الذى يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً!! فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): (يا أبا القاسم ما منا الا و هو قائم بأمر الله عزوجل، و هاد الى دين الله و لكن القائم الذى يطهر الله عزوجل به الأرض من الكفر و الجحود، و يملأها عدلاً و قسطاً: هو الذى تخفى على الناس و لادته، و يغيب عنهم شخصه، و يحرم عليهم تسميته، هو سمي رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و كنيه، و هو تطوى له الأرض، و يذل له كل صعب، و يجتمع اليه أصحابه عدة أهل بدر: ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً من أقصى الأرض، و ذلك قول الله عزوجل: (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً ان الله على كل شىء قدير) [١٤٩]. فاذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الاخلاص أظهر الله أمره) [١٥٠]. و الامام هنا يحدد شخصية القائم عجل الله تعالى فرجه بمواصفاته الدقيقة من الغيبة و الخفاء و طى الأرض، و كتمان الاسم، و اجتماع العدة و العدد من أنصاره، فهو اذن غيره و سواه. [صفحة ٨٩] و تارة أخرى نجد الامام محمد الجواد (عليه السلام) يحدث على بن جعفر الصادق، و هو عم أبيه، مشيراً الى الامام المنتظر بما حدث به أبوه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قائلا: (يا عم ألم تسمع أبى و هو يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): بأبى ابن خيرة الاماء النوية الطيبة، يكون من ولده الشريد المولود بأبيه و جده، صاحب الغيبة، فيقال: مات أو هلك، أو بأى واد سلك. فقلت: صدقت جعلت فداك) [١٥١]. و هنا ينطوى الحديث على بعد رمزي يعبر عن طول الغيبة و أمد الانتظار حتى يقال ما يقال فى الموت أو الهلاك أو السبيل المجهول مع شدة الزمان و المحنة. و يعاود السيد عبدالعظيم الحسنى حديثه فى هذا المضممار فيقول: دخلت على سيدى محمد بن على بن موسى (عليه السلام)، و أنا أريد أن أسأله عن القائم هل هو المهدي أو غيره؟ فابتدأنى قائلا: (يا أبا القاسم منا هو المهدي الذى يجب أن ينتظر فى غيبته، و يطاع فى ظهوره و هو الثالث من ولدى، و الذى بعث محمداً بالنبوة، و خصنا بالامامة، انه لو لم يبق من الدنيا الا- يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملاً الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً، و ان الله تبارك و تعالى ليصلح أمره فى ليلة، كما أصلح أمر كلمه موسى، اذ ذهب يقتبس ناراً، فرجع و هو رسول نبى. [صفحة ٩٠] و أضاف الامام الجواد قائلا: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج) [١٥٢]. و هنا يشير الامام (عليه السلام) الى شيعته، و يصرح عن طريقه هذا، بأن الحجة المنتظر هو الامام (عليه السلام)، و هو الثالث من ولده فالأول منهم الامام على الهادى (عليه السلام)، و الثانى هو الامام الحسن العسكرى، و الثالث هو صاحب الأمر. ثم أوضح الامام الجواد (عليه السلام) فيما يروى عنه معالم الحقة الزمنية التى تواجه القيام، و ما يرافق ذلك من علائم ابتلائية فى الخوف و الفتنة و الابتلاء و الحروب، و ما يصيبهم من ظواهر طبيعية، و ما يبد بهم من الوباء و الحروب، و ما يصيرون اليه من الاختلاف و التشتت فى الدين، فيقول: (لا يقوم القائم (عليه السلام) الا على خوف شديد من الناس، و زلازل، و فتنة تصيب الناس، و طاعون، و سيف قاطع بين العرب، و اختلاف شديد فى الناس، و تشتت فى دينهم، و تغير فى حالهم) [١٥٣]. و من ثم نجد الامام محمد الجواد (عليه السلام) يؤكد أن القادم من آل محمد من المحتوم الجارى به وعد الله عزوجل، و أن قيامه من الميعاد الذى لا يتخلف، و الميعاد و ليس مما يجرى فيه البداء. فقد أخرج النعمانى بسنده الى أبى هاشم الجعفرى، قال: (كنا

عند أبي جعفر محمد بن علي الرضا (عليه السلام) فجرى ذكر السفيناني، و ما جاء في الرواية من أن أمره من المحتوم. [صفحة ٩١] فقلت لأبي جعفر (عليه السلام): هل يبدو الله في المحتوم؟ قال: نعم، قلنا له: فنخاف أن يبدو الله في القائم!! فقال: ان القائم من الميعاد، و الله لا يخالف (يخلف) الميعاد) [١٥٤]. ان ما جرى بين يدي الامام (عليه السلام) من انقداح ذهن أوليائه المقربين بأنه القائم من آل محمد بالأمر، لم يكن فكرا طارئا، و لا أمرا اعتباطيا، و انما استند فيه الى حياة الامام و مسلكيته الروحية، و ما كان يتمتع به من شرائط الولاية الشرعية الحققة، و ما اجتمع فيه من القابليات و الملكات و المواهب، و كل أولئك قد يقود الى هذا الاعتقاد و في الأقل الى هذا الاحتمال. و لما كان هذا الاعتقاد بعيدا عن واقع الأمر، كان على الامام الكشف عن الحقائق و ازالة الشبه التي قد تختلط بظلالها على الآخرين، فكان بذلك أمام مسؤوليته الشرعية و جها لوجه، فصدع بحقيقته الأمر، و أزال تلك التساؤلات عن معالم الطريق. [صفحة ٩٥]

الامام الجواد ... معجزة

الامامة في سن الصبا... ظاهرة اعجازية

الاعجاز بمفهوم بديهي: عبارة عن خرق نواميس الكون و تغيير قوانين الطبيعة، و قلب للنظام الثابت في الموازين الى نظام متحول. فالثابت هو الأصل الجارى على سنن الحياة العامة، و المتحول هو الحالة المغايرة لأنظمة المعادلات الكونية المتكافئة. هناك اذن معلمان: معلم طبيعي بسيط، و معلم خارق معقد، و المعلم الطبيعي هو الذى لا تجد عنه متحولا لأنه سنة الله عزوجل فى الابداع و التكوين، و المعلم الخارق ما تجد فيه قبلا- لتلك القواعد و مجابهة لمجريات الأحداث الرتيبة بأخرى اعجازية متطورة، فزوجية الكائنات هى الأصل فى بعث حقائق الأشياء، و الطريق الى تسيير حياة الكائنات المرئية و المسموعة و المدركة و المتخيلة بدليل قوله تعالى: (سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض و من أنفسهم و مما لا يعلمون) [١٥٥]. و فى هذا الضوء يكون الابداع الطبيعي للانسان منسجما مع نظام الزوجية العام فى حالة اعتيادية جاءت نتيجة للتزاوج، و يكون الأصل التكويني للبشرية فى خلق آدم (عليه السلام) من التراب دون الطريق الطبيعي فى الاقتران و التناسل هو الحالة الفريدة، و هى الاعجاز، و يحمل عليهما كلما [صفحة ٩٦] قابل العادة، و لم يخضع الى التجربة الطبيعية كما فى خلق عيسى (عليه السلام) من أم دون أب، بما مثله القرآن بقوله تعالى: (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) [١٥٦] و تلك حالة اعجازية دون ريب. [١٥٧]. و فى تقلد الامام محمد الجواد (عليه السلام) منصب الامامة فى سن الصبا نجد ملحظا اعجازيا متحولا اذ ليست الامامة المبكرة حدثا اعتياديا لا يسترعى النظر و الانتباه و ليست أمرا عابرا لا يدعو الى الدهشة و التساؤل، بل هى ظاهرة فريدة تمثل حالة متكررة فى تاريخ أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، و قد بدأت أبعاد هذه الظاهرة أولا- فى الاعلان عن الامام محمد الجواد فيما بين السابعة و الثامنة من عمره اماما مفترض الطاعة لأتباع مذهب أهل البيت سنة ثلاث و مائتين لدى وفاة أبيه الامام على بن موسى الرضا (عليه السلام) [١٥٨]. و تكررت فى الاعلان عن الامام على الهادى (عليه السلام) و هو فيما بين الثامنة و التاسعة من عمره اماما عاشرا لأئمة أهل البيت لدى وفاة أبيه الامام محمد الجواد سنة عشرين و مائتين من الهجرة النبوية، و ختمت بالاعلان عن صاحب الأمر عجل الله فرجه، و هو فيما بين الخامسة [صفحة ٩٧] و السادسة من عمره باعتباره الامام الثانى عشر لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، و ذلك لدى وفاة أبيه الامام الحسن العسكري سنة ستين و مائتين من الهجرة النبوية و به تتم حلقات السلسلة الذهبية لمرجعية الأئمة الاثنى عشر الذين أجمعت الروايات على استخلافهم الشرعى عند الامامية و ان لم يقدر لأغلبهم ممارسة الحكم الاسلامى كما أراد الله تعالى ذلك لولاء الأمر و من الأئمة الاثنى عشر حصرا، فالامام امام سواء أتسلم الحكم أو لم يتسلم: ان المفاجئات السياسية قد حالت دون تحقيق تسلم الأئمة لأزمة الأمور فى ادارة الدولة الاسلامية، و حبكة المؤامرات الداخلية قد شكلت محورا تراجيديا مبتكرا يقضى بالتسليم لرسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي الوقت نفسه يقضى ابعاد آله وأبنائه وهم ذوو القربى بنص القرآن عن سدة الحكم وشؤون الدولة وقيادة الأمة، وهو فرض متناقض من جهات كثيرة ليس هذا موقع بحثها، ولكنها حدثت فعزلت أئمة أهل البيت (عليهم السلام) عن ممارسة حقهم في قيادة الدولة الإسلامية. والحق أن الولاية الإلهية الكبرى قد حسمت في القرآن العظيم بما لا يقبل الجدل، فقد أجمعت الأمة أن قوله تعالى: (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون - ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) [١٥٩] قد نزل في حق أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لدى تصدقه بخاتمه الشريف، وان ذهبوا بمفاهيم الولاية [صفحة ٩٨] وتفسيرها وتشتيتها وتبعيضها بما يخالف أصول لغة العرب في دلالتها الأولية وحتى الثانوية، ومع هذا فانهم لا يستطيعون الفصل بين الآيه وبين ما تحدثت به بلسان مبین عن الولاية باختصاصها النصي: لله تعالى، ورسوله، ولأمير المؤمنين حصرا. ويتفرع على هذا المنطلق الثابت اطاعة الله والرسول وأولى الأمر على المسلمين دون غيرهم بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعت في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) [١٦٠]. والفطرة الانسانية الخالصة عند المتمرس في أوليات لغة القرآن تأبى اللف والدوران في مخالفة ظاهر النص ودلالة اللفظ في هذه الآية الكريمة، فالطاعة لله أولا، وللرسول ثانيا، ولأولى الأمر ثالثا، وهي حلقة مترابطة الأجزاء تأبى الانفصال العضوي، ولا يمكن أن يدعو القرآن - وهو المنقذ الأكبر للبشرية - الى اطاعة الظلمة وأولياء الجور وطواغيت الأمة، وأن يعطف هؤلاء على الله وعلى الرسول في الاطاعة، والله تعالى هو المشرع الأعظم، والرسول هو المبلغ الأمين، ولا يعطف عليهما الا من التزم نهجهما وسار على طريق الهدى والاسلام حذو القذة بالقذة، والدليل الاستقرائي أثبت بما لا يقبل الشك أن هؤلاء هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) دون سواهم، اذ لا معنى أن يدعو القرآن الى اطاعة العباسيين وقبلهم الأمويين ومن بعدهم العثمانيين وهم يعصون أمر الله، ويظلمون عباد [صفحة ٩٩] الله، ويتزورون الأمة مال الله، ويسفكون الدم الحرام، لهذا اشترط الامامية العصمة للأئمة (عليهم السلام)، في ضوء اعلان القرآن لذلك في نص صريح غير قابل للتأويل، وهو قوله تعالى: (... انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [١٦١] وقد جاء هذا نتيجة منطقية للولاية الإلهية الكبرى فالحصر بانما في آية الولاية غير قابل للتجزئة أو الاضافة، والاطاعة لله وللرسول لأولى الأمر، جاء امتدادا لتطبيق مفهوم تلك الولاية على المصداق الذي لا يتعدد، وحصر آية التطهير هذه دليل ارادة العصمة والنقاء الخالص من الآثام والابتعاد عنها على الاطلاق، مما يستدل فيه على استبعاد الأمراء الفسقة والظلمة والمارقين عن ربة التشريع بالذنوب والمعاصي، وبدلالة القرآن نفسه في تنزيه عهده الله بالامامة أن لا ينال الظالمين قال تعالى: (واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال الظالمين) [١٦٢]. هذا الترابط المتشابك المذهل في موضوع الامامة في القرآن يدحض تلك المحاولات البائسة التي تقول: ان الله ورسوله تركا المسلمين هملا دون الرجوع الى القائمين بأمر الله، المؤيدين لرسالته في الأصول والفروع والفروض والحقوق والواجبات وادارة شؤون الشريعة الغراء، والالزم الغاء ثوابت الشرع المقدس في الرجوع لأولى الأمر في الطاعة، لأنهم [صفحة ١٠٠] خلفاء الله في أرضه، لا الطغاة من الحكام الذي استولوا على السلطة بالقهر والارهاب الدموي، واذا كا الأمر كذلك، فقد أخذ الله في الامامة ما أخذه في النبوة واحتج لها بما يحتج به للنبوة سواء بسواء، وقد قال الامام محمد الجواد (عليه السلام) لعلي بن أسباط: «يا علي ان الله احتج في الامامة بمثل ما احتج في النبوة، قال تعالى (وأتيناك بالحكم صيبا) [١٦٣]. وقال تعالى: (حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة) [١٦٤]. فقد يجوز أن يعطى الحكم صيبا ويجوز أن يعطى الامامة وهو ابن أربعين سنة» [١٦٥]. وبعد الاستدلال على صحة الامامة بصحة النبوة في الصبا، تسقط الخيارات في الافتراضات الباطلة جملة وتفصيلا. ان هذه الرواية التي برهن بها الامام الجواد قرآنيا على صحة امامته، ما كانت لتكون لولا ظاهرة تسنمه (عليه السلام) لمنصب الامامة الشرعية في سن الصبا، والتي كانت مثارا للدهشة والانبهار من أوليائه فضلا عن أعدائه، ويضاف اليهما السلطة القائمة المعبرة عن حيرتها كما سترى. واستغل الخلفاء العباسيون المعاصرون للامام محمد الجواد (عليه السلام) هذه الظاهرة، وجعلوا منها موضوعا غضا طريا

للسخرية حيناً، [صفحة ١٠١] والاستهزاء حيناً آخر، وللتشهير المعاكس بينهما، باعتبارها مادة جديدة في قلب المعادلات النوعية، وتفجر ذلك ضد مبدأ أهل البيت في شرائط الامامة الصعبة بكون الامام: أعلم الناس، و أفضل الناس، و أتقى الناس، و أروع الناس، و أشجعهم، و أسخاهم، و أتمهم جمعاً للفضائل، و أقدرهم حلاً للمشكلات، و أبلغهم قولاً و منطقاً و بياناً و أفقههم في الدين، و أعرفهم بمسائل الحلال و الحرام... الخ. و أثاروا التساؤلات في وجه هذا الحدث الانساني المدهش!! فما قدر ما يحسن هذا الامام الصبي؟ و هو في أول سن التعليم!! هل يستطيع هذا الامام الصبي اثبات الكفاية النادرة في المواهب؟ هل يتمتع هذا الصبي المعجزة بخصائص العلم اللدني و ملكاته؟ أين درس هذا الصبي؟ و أنى تعلم؟ و قد تركه أبوه الامام الرضا (عليه السلام) في المدينة المنورة و هو بين الرابعة أو الخامسة؟ و ما بال هؤلاء الشيوخ و العلماء و الفقهاء و أهل الرأي - من الامامية - و هم يقفون بين يدي هذا لاصبي المحير بكل خضوع و تبجيل و احترام؟؟ هل بإمكان الصدفة و الفرض الطارئ أن يخلقاً من هذا الصبي اماماً مفترض الطاعة، و كيف؟ اذن و الحالة هذه فبالامكان تسفيه نظرية أهل البيت في الامامة، ما دام الامام الجديد في السابعة من العمر، أو قد تجاوز ذلك بشهور معدودة و أيام. [صفحة ١٠٢] و جندت الطاقات لابطال هذا الفرض المستحيل في تخيلهم، و بدا لهم أن مؤشرات الاسقاط لائحة فيما يخططون له من مؤامرات!! و أزمة الطفولة هذه قد تعبر عن نجاح أى مشروع مضاد، و حشدوا لذلك سيلاً من الأسئلة و الاختبارات الوجيهة - كما ستري في موقعه من البحث - و قد ردت جميعها من قبل الامام بجدارة لا مثيل لها في تاريخ الاسلام. و لقد كلف هذا التحدى الخلافة العباسية ثمناً باهضاً هو الاقرار و الاعتراف بامامة محمد الجواد (عليه السلام) على صغر سنه و من هنا كان الخطر محدقاً بها، اذ لم تستطع البرهنة و لو جزئياً على بطلان ظاهرة الامامة المبكرة، أو زحزحتها من الأرض الصلبة التي ترسو عليها، مما أوقعها في حرج تام و فشل ذريع نظراً للتفاعل التام الذي خلفته هذه الظاهرة في المناخ الاسلامي العام، و هو يصحو من رقدته على أنباء فتح جديد لمذهب أهل البيت لم يكن في الحسبان، مما جعله يمتلك القاعدة الجماهيرية في أغلبية ساحقة، بعد أن وضح للعيان أن الامام محمد الجواد كان بحيث ينبغي أن يكون موقع الامام في الذروة في فصل الخطاب و قصب السبق في المحافل العلمية حتى لم يكن ليجارى في حلبته، و لا ليمارى في مواهبه و خصائصه، و من هنا كانت ظاهرة الصبا في الامامة، أو ظاهرة الامامة في الصبا عاملاً قوياً في انعاش مبدأ أهل البيت، و عنصراً مؤثراً في ترسيخ أصوله الثابتة، بينما كان المفروض عكسياً لو كان الأمر طبيعياً، و لكنه الاعجاز الأمامي الذي استبق مقاييس الكون في خرقه للمنطق البشري الاعتيادي. [صفحة ١٠٣] يقول الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره: «ان ظاهرة الامامة المبكرة كانت ظاهرة واقعية، و لم تكن و هما من الأوهام، لأن الامام الذي يبرز على المسرح و هو صغير فيعلن عن نفسه اماماً روحياً و فكرياً للمسلمين، و يدين له بالولاء و الامامة كل ذلك التيار الواسع، لا بد أن يكون على قدر واضح و ملحوظ، بل و كبير من العلم و المعرفة و سعة الأفق، و التمكن من الفقه و التفسير و العقائد، لأنه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنع بتلك القواعد الشعبية بامامته... و اذا افترضنا أن القواعد الشعبية لامامة أهل البيت لم يتح لها أن تكتشف واقع الأمر، فلماذا سكنت الخلافة القائمة و لم تعمل لكشف الحقيقة اذا كانت في صالحها؟ و ما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الامام الصبي صيباً في فكره و ثقافته كما هو المعهود في الصبيان!! و ما كان أنجحاً من أسلوب أن تقدم هذا الصبي الى شيعته و غير شيعته على حقيقته، و تبرهن على عدم كفاءته للامامة و الزعامة الروحية و الفكرية فلتن كان من الصعب الاقتناع بعدم كفاءة شخص في الأربعين أو الخمسين قد أحاط بقدر كبير من ثقافة عصره لتسلم الامامة، فليس هناك صعوبة في الاقتناع بعدم ثقافته صبي اعتيادي - مهما كان ذكياً و فطناً - للامامة بمعناها الذي يعرفه الشيعة الاماميون، و كان هذا أسهل و أيسر من الطرق المعقدة و أساليب القمع المجازفة التي انتهجتها السلطات و قتلذ. [صفحة ١٠٤] ان التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة عن اللعب بهذه الورقة هو أنها أدركت ان الامامة المبكرة ظاهرة حقيقية، و ليست شيئاً مصطنعاً» [١٦٦]. و لم تكن الامامة في هذا السن ظاهرة حقيقية فحسب، بل عادت بعد الامام محمد الجواد (عليه السلام) ظاهرة تاريخية امتدت قرابة أربعين عاماً، اذ شاركه فيها ولده الأمام على الهادي (عليه السلام) فأسندت اليه الامامة في سن الثامنة من العمر، و

شاركه في ذلك أيضا حفيده الامام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، فأسندت اليه الامامة و هو في سن الخامسة من العمر، مما شكل بعدا واقعيا و تاريخيا في وقت واحد، و ليس ذلك جديدا على الساحة الالهية بل شأنه شأن الرسالات السماوية في الأنبياء و المرسلين في سن مبكرة. [صفحة ١٠٥]

الامام محمد الجواد في خضم الاختبار العلمي

و كان من افرازات هذه الظاهرة الصادقة في واقعها و أطروحتها الفريدة، أن تعرض الامام محمد الجواد (عليه السلام) و هو في أول الصبا لاختبارات كثيرة من قبل الأولياء و الأعداء، كما تعرض لامتحان الباحثين عن الحقيقة مجردة، و يضاف الى هذا كله حيرة السلطة العباسية و استغرابها في أمره و الكل - الا النادر من الرساليين - بين مشكك و مضطرب، و الناس من خلال هذا و ذاك بين مصدق و مكذب بمؤهلات هذا الصبي للامامة الشرعية، حتى قام الدليل على صحة الدعوة بعد اثبات الامام نتيجة الاختبارات المكثفة أنه: أعلم الأحياء في التشريع، و أبلغ الناطقين بالقرآن، و أجمع الناس بأشتات المسائل، و أفقه الأمة بفروع الدين و أقدر البشر على استنباط الأحكام و أصدق العالمين لهجة و لسانا و أكثرهم احاطة بشؤون الدنيا و الدين بلا استثناء. و لم تأت هذه النتيجة اعتبارا أو ارتجالا و انما جاءت بعد اختبار اثر اختبار، و سؤال بعد سؤال، و استيعاب لما أفاد به الامام، و دراسة شاملة في المحاوره و المناظرة و الاستقصاء لمعارف الامام التي أذهلت كل الفرقاء المتطلعين الى النتائج سواء أكانت ايجابية أم سلبية أم بين السلب و الايجاب. فهناك فريق من الأولياء جدوا في طلب الخلف الصالح للامامة بعد وفاة الامام الرضا (عليه السلام) فتيقنوا بما لا يقبل الشك بعد التجربة الامتحانية، أن الامام محمد الجواد (عليه السلام) هو الامام المفترض الطاعة. [صفحة ١٠٦] و هنالك فريق من أعداء أهل البيت جدوا من خلال أزمة العمر فيما يزعمون في البحث عن المبررات التي يوقعون بها الامامية في التشكيك بصلاحيه هذا الصبي لمنصب الامامة. و هنالك البلاط العباسي المتربص لتغذية حملة التشكيك بامامة هذا الصبي المعجزة بشتى الأساليب و الطرق التي تتوافر لدى القصر و أعوانه و وعاظ سلاطينه. و بعد اقناع الفريق الأول تجربة و دراية و نصوصا صك الفريقان الآخران بفارس الحلبة و جواد السبق، حينما طرحت المسائل الكبرى على الامام، فانجلى في اجاباته الدقيقة أغر الجبين، طلق المحيا، فخضع حينذاك رجال الفتيا و أصحاب السلطان و فقهاء البلاط اذعانا بعظيم تفوق الامام الفقيهي، و اقرارا بأعلميته المطلقة، بعد أن بزهم بتيار معارفه المتدفق، و رفيع استدراكه المتميز، و جميل استدراجه الاقناعي، و فيض مخزونه الثقافي الذي لا ينضب. و كان الامام محمد الجواد، و قد علم سرائر القوم و استلهم مخطط العابثين و تطلع في الأفق البعيد الى تلك المحاولات اليائسة، أول من خرق تلك الحجب و - الأستار - بادئ ذي بدئ، و لدى موت أبيه مباشرة، فقد جاء الى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، صعد منبر رسول الله، و رقا منه درجة، و قال فيما يروى عنه: «أنا محمد بن علي الرضا، أنا الجواد، أنا العالم بأنساب الناس في الأصلاب، أنا أعلم بسرائرهم و ظواهرهم، و ما أنتم صائرون اليه، علم منحنا به من قبل خلق الخلق أجمعين و بعد فناء السماوات و الأرضين. [صفحة ١٠٧] و لولا تظاهر أهل الباطل و دولة أهل الضلال و وثوب أهل الشك، لقلت قولا تعجب منه الأولون و الآخرون، ثم وضع يده الشريفة على فيه، و قال: يا محمد أصمت كما صمت آباؤك من قبل» [١٦٧]. و هذه اللغة العاصفة أوضحت باصرار و وثوق: منزلة الامام العلمية من جهة، و خصائصه المميزة من جهة أخرى، و ما وهب هو و الأئمة (عليهم السلام) من منح ليست من جنس ما يحسن الناس، و لا من وصف ما يعرفون، بما فيها من ادراك الحقائق المغيبة، و رصد الظواهر الخفية، و علم السرائر في بواطنها، و قد أنحى - بعد ذلك - بالأئمة على أهل الباطل في تألهم ضد مسيرة أهل البيت الرسالية، و تمرد دولة الضلال و الريب و الشك عليهم، مما دعا أهل الحق الى السكوت، و الى صمته تلقائيا تحت هذا الضغط كما صمت آباؤه من ذي قبل. و الأمر الجدير بالتنبيه اشارته المعبرة أنه ابن الامام الرضا و سليل هذه العتره فهو - اذن - امتداد لهم، و هو الناطق باسمهم، و هو القائم مقامهم في الامامة. و لعل سبط ابن الجوزي من أبرع من أدرك هذه الخصيصة، و اعتبر الامام محمد الجواد امتدادا لمدرسة أبيه الامام الرضا. و الرضا امتداد لمدرسة آباءه و جده

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهم يصدر عن مورد واحد. قال عن الامام الجواد فأوجز: «كان على منهاج أبيه في العلم و التقى و الزهد و الجود» [١٦٨]. [صفحة ١٠٨] و ليس جديدا أن يفوق الامام محمد الجواد (عليه السلام) أبناء عصره في هذه المظاهر الأربعة التي حددها سبط ابن جوزي فقد كان اشتهاره بالعلم مثار اعجاب الدنيا و حديث المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها حتى اعتبر دون مغالاة: الامام المعجزة، و ذلك لكثرة ما ورد عليه من السؤال و دقة ما أجاب عليه من مسائل، بالنسبة لصغر سنه و حدائته فكان اجماعا كونه أعلم الأمة. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «و أما كونه أعلم الناس بالشرعية، و أفقههم بأحكام الدين في عصره، فهو الذي أدركه ذلك «الخلق الكثير» الذي قدم من سائر البلدان الى المدينة المنورة بعد وفاة الامام الرضا (عليه السلام) سائلين و باحثين عن الخلف القائم مقامه، فعلموا أنه ابنه محمد الجواد (عليه السلام) فدخلوا عليه مسلمين معزين، و وجهوا اليه أسئلتهم و استفساراتهم، و ربما كان فيها ما هو امتحاني، يريدون به اختبار امامته و كفايته، فأجابهم على ذلك كله، بما أوضح لهم جلية الأمر، و حملهم على التصديق و الازعان به بقناعة و اطمئنان» [١٦٩]. و قد روى على بن ابراهيم عن أبيه قال: «لما مات أبو الحسن الرضا (عليه السلام) حججنا فدخلنا على أبي جعفر (عليه السلام)، و قد حضر خلق من الشيعة من كل بلد لينظروا الى أبي جعفر (عليه السلام)... و خرج أبو جعفر (عليه السلام) من الحجرة... و قعد على كرسي، و نظر الناس بعضهم الى بعض تحيرا لصغر سنه... فقالوا: يا سيدنا أتأذن لنا أن نسألك؟ [صفحة ١٠٩] فقال: نعم، فسألوه عن ثلاثين ألف مسألة فأجابهم فيها و له تسع سنين» [١٧٠]. و لك أن تتساءل عن مصير أجوبة هذه المسائل المتطاولة، و التي تعدت حدود التصور في رقمها الكبير، و لعل تفاصيلها قد جرت في أماكن متعددة و أزمان متفاوتة في تناوب الشيعة على الالتقاء بالامام لاستقصاء حاله و حقيقته، و لما كان التأريخ قد ضمن على أهل البيت (عليه السلام)، بتسجيل وقائعهم فقد غمر أكثرها متلاشيا بين الضياع و عدم التدوين. و كانت مفاجأة العمر الصغير تدعو الى البحث و النظر عند الأكثرين، الا أن الامام الرضا (عليه السلام)، قد سبق الى بيان ذلك و الاستدلال عليه فقد قال له صفوان بن يحيى: «ان كان كون فالي من؟ فأشار الامام الى أبي جعفر (عليه السلام) و هو قائم بين يديه. فقلت: جعلت فداك و هو ابن ثلاث سنين، فقال الامام الرضا: و ما يضره من ذلك؟ و قد قام عيسى بالحجة، و هو ابن أقل من ثلاث سنين» [١٧١]. و كان جراء هذا الملحظ من العمر أن توافد الناس من الأقطار لمعرفة هذا الأمر الجديد، و فوجئوا بالأمر الواقع - بعد الاختبار - فأذعنوا خاضعين خاشعين لدى قيام الحجة عليهم. و قد أورد صاحب المناقب طائفة من أعيان الشيعة بأسمائهم ممن وردوا المدينة المنورة بعد وفاة الامام الرضا لاستطلاع جلية الأمر في الامام بعده، فكان الامام محمد الجواد ضالتهم فسلموا [١٧٢]. [صفحة ١١٠] و الدلالة البارزة في هذا التجمع يمثل ظاهرة استقرائية في التحرى و الاستقصاء و البحث عن الامام القائم بالأمر، اذ يتوارد هذا الخلق الكثير و هو يؤم المدينة متسائلين عن الخلف بعد السلف، و أعناقهم مشرئبة لمطالعة الامام. و لا أدل على ذلك مما أورده المجلسي عن عيون المعجزات: «لما قبض الرضا (عليه السلام) كان سن أبي جعفر (عليه السلام) نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة من الناس ببغداد و في الأمصار، و اجتمع الريان بن الصلت و صفوان بن يحيى و محمد بن حكيم، و عبدالرحمن بن الحجاج، و يونس بن عبدالرحمن، و جماعة من وجوه الشيعة و ثقافتهم في دار عبدالرحمن بن الحجاج في بركة زلول ييكون و يتوجعون من المصيبة فقال لهم يونس بن عبدالرحمن، دعوا البكاء! من لهذا الأمر و الى من نقصد بالمسائل الى أن يكبر هذا؟ يعني أبا جعفر (عليه السلام). فقام اليه الريان بن الصلت و وضع يده في حلقة و لم يزل يلطمه و يقول له: أنت تظهر الايمان لنا و تبطن الشك و الشرك، ان كان أمره من الله جل و علا فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم و فوقه، و ان لم يكن من عند الله فلو عمر ألف سنة فهو واحد من الناس، و هذا مما ينبغي أن يفكر فيه، فأقبلت العصابة عليه تعذله و توبخه. و كانت وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد و الأمصار و علمائهم ثمانون رجلا فخرجوا الى الحج، و قصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر (عليه السلام)، فلما وافوا أتوا دار جعفر الصادق (عليه السلام)، لأنها كانت فارغة و دخلوها و جلسوا على بساط كبيرة ففتح عليهم باب من صدر المجلس و دخل موق و قال: هذا أبو جعفر!! [صفحة ١١١] فقاموا اليه بأجمعهم و استقبلوه و سلموا عليه فدخل صلوات الله عليه، و عليه قميصان و عمامة بذؤابتين، و في رجليه نعلان، و جلس و أمسك الناس كلهم

فقام صاحب مسألة فسأله عن مسأله، فأجاب عنها بالحق ففرحوا و دعوا له و أثنوا عليه... [١٧٣]. و كان عمه عبدالله بن موسى قد سئل عن أشياء فأجاب عنها بغير الواجب، فورد عليهم ما حيرهم و غمهم و اضطربت الفقهاء و العلماء و قاموا و هموا بالانصراف فأنقذهم الله باجابة مسألتهم من قبل الامام. [١٧٤]. و لم يكن الامام منغلقا على نفسه بل كان منفتحا رحيب الصدر على قومه و شيعته و أمته و قد اتسع علمه و حلمه لمئات الأسئلة المحرجة لغيره، و اليسيرة عليه، حتى تعدى السؤال دائرة الانصاف الى الاعتات، و كان الامام يقابل ذلك بحكمة و أناة، و لم يكن الامام لينفى عن ذاته المقدسة معرفة أصول العلوم و جذور المعارف بشتى الاختصاصات، حتى شاع أمر ذلك بين الناس، و طار صيته في البلدان. فهذا عمر بن فرج الرخجي، و هو من أعداء أهل البيت و من المتجاهرين بالنصب لهم، حتى قال أبوالفرج الأصبهاني: «استعمل المتوكل على المدينة و مكة عمر بن الفرّج الرخجي، فمنع آل أبي طالب من التعرض المسألة الناس، و منع الناس من البر لهم، و كان لا يبلغه أن أحدا أبر أحدا منهم بشيء - و ان قل - الا أنهكه عقوبة و أنقله غرما. [صفحة ١١٢] حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين به واحدة بعد واحدة، ثم يرقعه و يجلسن على مغازلهن عواري حواسر» [١٧٥]. أراد عمر هذا احراج الامام تعنتا لا- استفهاما و ايضا حا و ذلك في سؤال انكارى أو استغرابى وجهه للامام محمد الجواد (عليه السلام)، فألقمه الامام في رده حجرا، فبهت و لم ينبس ببنت شفة. تقول عمر هذا: قلت لأبي جعفر: ان شيعتك تدعى أنك تعلم كل ماء من دجلة و وزنه؟! و في رواية (انك تعلم مثاقيل وزن ماء دجلة). و كنا على شاطى دجلة (أيام المعتصم). فقال الامام محمد الجواد لى: يقدر الله تعالى أن يفوض علم ذلك الى بعوضة من خلقه أم لا؟ قال عمر بن فرج: قلت نعم يقدر. فقال (عليه السلام): أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة و من أكثر خلقه» [١٧٦]. فالامام (عليه السلام) لم ينف عن نفسه العلم بمعرفة أوزان مثاقيل ماء دجلة و هو لا تحده حدود الأرقام، و انما استدل على معرفته بذلك بشكل قطعى باللازم و الدليل، و ذلك باستقرائه بأن الله يستطيع أن يفوض أمر ذلك الى بعوضة ماء، و لما كان الامام أكرم على الله من بعوضة و أكثر خلقه فهو يستطيع علم ذلك. [صفحة ١١٣] لقد تقبل عمر بن الفرّج هذا الافلاج مضطرا اليه، لأنه لا يستطيع دفعه بشيء اطلاقا، و مع هذا فقد استمر على نصبه و عدائه و عناده للامام، كما تصوره لنا الرواية عن سيدنا و مولانا على الهادى ولده، فقد أورد الكليني بسنده عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله، عن محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن - يعنى الامام على الهادى (عليه السلام) - فقال: يا محمد حدث بآل فرج حدث؟ فقلت مات عمر فقال: الحمد لله - حتى أحصيت له أربعاً و عشرين مرة - فقلت: يا سيد لو علمت أن هذا يسرك لجئت حافيا أعدو اليك!! قال: يا محمد أو تدرى ما قال لعنه الله، لمحمد بن على أبي؟ قال: قلت: لا. قال (عليه السلام): خاطبه فى شيء، فقال: أظنك سكران!! فقال أبى: «اللهم ان كنت تعلم أنى أمسيت لك صائما، فأذقه الحرب و ذل الأسر». «فو الله ما كان أن ذهب الأيام حتى حرب ما له، و ما كان له، ثم أخذ أسيرا و هو ذا قد مات - لا رحمه الله - و قد أدال الله عزوجل منه، و ما زال يدل أولياءه من أعدائه» [١٧٧]. قال المسعودى: «فى سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين، سخط المتوكل على عمر بن الفرّج الرخجي، و كان من عليه الكتاب، و أخذ منه مالا [صفحة ١١٤] و جواهر مائة ألف و عشرين ألف دينار، و أخذ من أخيه نحو مائة ألف دينار، و خمسين ألف دينار، ثم صالح عمر على أحد عشر ألف درهما على أن يرد عليه ضياعه. ثم غضب مرة ثانية ثم أمر أن يصنع فى كل يوم، فأحصى ما صنع فكان ستة آلاف صفة، و ألبس جبة صوف، ثم رضى عنه، ثم سخط عليه ثالثة و أحدر الى بغداد و أقام بها حتى مات» [١٧٨]. فاستجيب دعاء الامام محمد الجواد فيه، فحرب فى ماله، و أذل فى أسره و ضرب ضربا مبرحا، حتى مات. و يبدو مما تقدم أن جميع المحاولات التى قادها النظام العباسى فى مجال الاختبار للامام، قد أعطت نتائج مضادة للنظام و فقهاء القصر العباسى، كما أعطت الدلائل الايجابية لأتباع الامام و أوليائه، فقد فاق التصور فى امداداته العلمية و أفحم الخصوم فى معارفه الموسوعية، و جلى فى الميدان الفكرى بما عجز ذوو السن و شيوخ المدارس العلمية و الكلامية، بل و أضاف الامام الى ذلك استقراء الغيب المجهول كما سترى و ستمع!! [صفحة ١١٥]

هنالك حديث شريف متواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو قوله: «أنا مدينة العلم و على بابها... فمن أراد العلم فليأت الباب». هذا الحديث الشريف يروى عن مائة و ثلاثة و أربعين مصدرا من مصادر أهل السنة. و قد صححه اثنان و عشرون اماما من أئمة الحديث من علماء الجمهور فضلا عن اجماع الامامية عليه. [١٧٩]. و اذا كان الأمر كذلك، و هو كذلك، فعلم أمير المؤمنين (عليه السلام) مصدره صاحب الرسالة الغراء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، و مصدر صاحب الرسالة الوحى عن السماء، و اذا روى الجمهور فى أحاديثه الصحيحة على شرط الشيخين مسلم و البخارى عن عمر بن الخطاب و أبى سعيد الخدرى و حذيفة بن اليمان رضى الله عنهم، و سواهم من شيوخ الصحابة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قام خطيبا (فلم يدع شيئا و يكون الى قيام الساعة الا أخبرهم به) أو أنه (حدثهم بما هو كائن الى أن تقوم الساعة) [١٨٠]. [صفحة ١١٦] فهل ترى ان عليا (عليه السلام) كان يغفل عن ضبط و وعى و حفظ بل و تدوين ذلك، و هو صنو النبي و عيبه علمه و كان يلازمه ملازمة الظل للشاخص؟؟ الحق أن عليا من خلال مسؤوليته الرسالية و موقعه القريب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان معنيا بتسجيل ما يدور فى هذا المحور بل و بدون ذلك أولا- بأول كما سترى، فقد روى عن الامام الصادق (عليه السلام): «ان عندنا ما لا نحتاج معه الى الناس، و ان الناس ليحتاجون الينا، و ان عندنا كتابا باملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و خط على (عليه السلام)، صحيفة فيها كل حلال و حرام، و انكم لتأتون بالأمر فنعرف اذا أخذتم به، و نعرف اذا تركتموه» [١٨١]. و كان أمير المؤمنين على (عليه السلام) يجمع «علم ما يحتاج الناس اليه من الحلال و الحرام حتى ارش الخدش» [١٨٢]. و الامام جعفر الصادق (عليه السلام) يؤكد فى هذا الخصوص علم أمير المؤمنين يضاف اليه افادة الأئمة من بعده هذا العلم المتوارث يقول الامام (عليه السلام): «ان عليا كان عالما، و العلم يتوارث، و لن يهلك عالم الا بقى من بعده من يعلم علمه، أو ما شاء الله» [١٨٣]. و يؤكد هذا ما رواه الحاج خليفة عن الشيخ كمال الدين بن طلحة الشافعى (ت ٦٥٢ هـ) بقوله: [صفحة ١١٧] «ان الأئمة من أولاد على كانوا يعرفون (الجفر) رواية عن جدهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، و يخبرون عما جاء فيه من (أبناء الغيب) و أحكام الدين و هم يتوارثون ذلك كله» [١٨٤]. و أبناء الغيب هذه تعلم من ذى علم، و قد كان الامام على أمير المؤمنين دقيقا فى الرد على من نسب اليه علم الغيب أصالة، فقال: «ليس هو بعلم غيب، و انما هو تعلم من ذى علم و انما علم الغيب: علم الساعة و ما عدده الله بقوله: (ان الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الأرحام و ما تدرى نفس ما ذا تكسب غدا و ما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير) [١٨٥]. و ما سوى ذلك، فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه، و دعا لى بأن يعيه صدرى، و تضطم عليه جوانحى» [١٨٦]. فما تحدث عنه الامام على (عليه السلام) من أبناء الغيب، و كذلك الأئمة المعصومون من بعده ليس من علم الغيب اختصاصا، و لكنه من علم الغيب افاضة، و شتان بين الاختصاص و الافاضة، فعلم الغيب بحد ذاته مما يختص به الله وحده فهو كصفه ذاتية لله عزوجل، و غيره يعد حالة استثنائية ممكنة، يخص بها الله من يشاء من عباده. و علم الغيب بالملحظ الأول عبارة عن رصد حقائق الأشياء فى الغيب المجهول تلقائيا، و التحدث عنها بلغة قاطعة فوق المنظور [صفحة ١١٨] الاعتيادى، باعتبارها واقعة حقيقية دون شك، و هذا ما يختص به الله وحده و لكن الله عزوجل قد أخبر نبيه بجزء من علم الغيب فيما مضى و مستقبليا، كما ورد ذلك فى القرآن العظيم و أخبر بها الناس كالحديث عن خلق آدم، و سجود الملائكة له الا ابليس، و قتل قابيل هابيل، و قصة نوح و الطوفان، و حديث ابراهيم و قومه و القائه فى النار، و الأصنام، و الكواكب، و الهجرة، و بناء البيت، و ضيف ابراهيم المكرمين، و نبأ عاد و ثمود، و أهل الكهف، و ذوى القرنين، و قصص موسى و فرعون، و حياة عيسى و يحيى و سليمان و داود و أيوب و يعقوب و يوسف و الأنبياء الآخرين ممن سلفوا، و تحدث عنهم القرآن غيبيا. يضاف الى هذا كله، حديث القرآن عن غلبة الروم و غلبها، و عن فتح مكة، و عن انهزام الجمع، و عن انتصار المسلمين، كل ذلك فى زمن مستقبلى، و حدث ذلك كله. و كما كان هذا أمرا واقعا كان غيره أمرا ممكنا، فالله وحده قد خص الأنبياء و النبي محمدا بالذات، بايحاء كثير من علم الغيب، و لا استحالة عقلية من أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أفاض بذلك - جزءا أو كلا - على أمير المؤمنين (عليه السلام)، و

أمير المؤمنين قد أفاض ذلك على المعصوم من ولده وهكذا... و إذا أمكن ذلك شرعا و عقلا، فلا مانع من تحقيقه فعلا و استقراء [١٨٧]. و الدليل على ما تقدم من القول قوله عزوجل: [صفحة ١١٩] (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا - الا من ارتضى من رسول) [١٨٨]. و المعنى في الآية الأولى: ان الله وحده هو عالم كل غيب يختص به، فلا يطلع على الغيب - و هو مختص به - أحد من الناس. و المفاد في هذا هو السلب الكلي، أى لا يظهر على غيبه أحدا. و فى الآية الثانية فى قوله (الا من ارتضى من رسول) استثناء من قوله (أحدا) فى الآية الأولى. و (من رسول) بيان لقوله (من ارتضى). فيفيد أن الله تعالى يظهر رسله على ما شاء من الغيب المختص به. [١٨٩]. فهو جل جلاله يتعالى بعلم الغيب بذاته أصالة، و هو اذا شاء يعلم غيره تبعا. و اذا سلمنا بهذا، فلا مانع أن يفيض الله من هذا الغيب على النبي محمد (صلى الله عليه و اله و سلم) و النبي يفيض على الامام (عليه السلام)، لاكمال متطلبات الرسالة، بدليل قوله: (أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون) [١٩٠]. و هذا العلم عند أئمتنا (عليهم السلام)، تعلم خاص من ذى علم، للغاية التى بعث الله بها الأنبياء، باعتبار الامامة امتدادا حتميا للنبوته. [صفحة ١٢٠] و هذا ما جعل الأسئلة تتوالى على الأئمة المعصومين، لشيوع هذه الظاهرة فى أحاديثهم، فكانت الاجابات متقاربة يتم بعضها بعضا فى ضوء ما بيناه سلفا. فعن عمار الساباطي، قال: «سألت أبا عبدالله (عليه السلام)، عن الامام: يعلم الغيب؟ قال: لا، لكن اذا أراد ان يعلم الشيء أعلمه الله ذلك» [١٩١]. و هنا نقطة جديدة باللاحظ: ان الامام نفى عنهم علم الغيب ذاتيا، و لم ينه عنهم عرضيا، و أثبتة للامام اذا اقتضت الضرورة الدينية، و ينبغى الالتفات ذهنيا الى ما رواه معمر بن خلاد، قال: قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) رجل من فارس فقال له: أتعلمون الغيب؟ فقال: قال أبو جعفر (عليه السلام) يعنى الامام الباقر: «يسيطر لنا العلم فنعلم، و يقبض عنا فلا نعلم». و قال: «سر الله عزوجل أسرته الى جبرئيل، و أسرته جبرئيل الى محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)، و أسرته محمد الى من شاء» [١٩٢]. و قد استنكر الأئمة (عليهم السلام)، اضافة علم الغيب اليهم ذاتيا حتى يكون هناك غلو و افراط فى التقدير، و ثلثا يفسح المجال لقول ما يخرجهم عن كونهم عبادا لله مكرمين. فعن الامام الصادق (عليه السلام): أنه خرج الى مجلسه يوما، و هو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: [صفحة ١٢١] «يا عجا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب الا- الله عزوجل، لقد هممت أن أضرب جاريتي فلانة، فهربت منى، فما علمت فى أى بيوت الدار هى!!» [١٩٣]. و هذا التقرير يوحى صراحة أن علم الغيب خاصة الهيئة لا يشاركه فيها أحد، ما فى ذلك من شك، و لكنه تعالى قد يفيض من هذا الرافد على نبيه الصادق الأمين، و يفيض رسوله على أهل بيته، و يتحدث أهل بيته عن الأحداث المستقبلية، و عما سيكون بلغة الحتم و الجزم. و قد يقتضى الانباء بشيء من هذا العلم كشف الشبهه، و دفع الظنون، و احراج الخصم، و اقامة الحجج، بما تترتب عليه مصلحة دينية عليا، فقد ورد فى عدة مصادر: ان أبا يوسف القاضى و محمد بن الحسن الشيبانى زارا الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فى السجن و قال أحدهما للآخر: نحن على أحد أمرين؟ أما أن نساويه أو نشكله!! فجلسنا بين يديه، فجاء رجل كان موكلا بالامام من قبل السندى فقال: ان نوبتى قد انقضت، و أنا على الانصراف، فان كان لك حاجة أمرتنى حتى آتيك بها فى الوقت الذى تخلفنى النوبة، فقال الامام (عليه السلام): مالى حاجة. فلما خرج، قال الامام لأبى يوسف و صاحبه: ما أعجب هذا؟ يسألنى أن أكلفه حاجة من حوائجى ليرجع، و هو ميت فى هذه الليلة!! [صفحة ١٢٢] فقاما، و قال أحدهما للآخر انا جئنا نسأله عن الفرض و السنة، و هو الآن جاء بشيء كأنه من علم الغيب!! ثم بعثنا برجل مع الرجل فقالا: اذهب حتى تلزمه، و تنظر فى أمره هذه الليلة... فمضى الرجل فنام فى مسجد فى باب داره فلما أصبح سمع الناعية و رأى الناس يدخلون داره!! فقال: ما هذا؟ قالوا: مات فلان فى هذه الليلة... فانصرف الرجل الى أبى يوسف و محمد و أخبرهما الخبر، فأتيا أبا الحسن (عليه السلام)، فقالا: قد علمنا أنك أدركت العلم فى الحلال و الحرام، فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكل بك أنه يموت الليلة؟ قال الامام: من الباب الذى أخبر بعلمه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) على بن أبى طالب!! فلما رد عليهما بهذا بقيا لا يحيران جوابا. [١٩٤]. و هذا باب متسع لدى الأئمة المعصومين (عليه السلام)، و هو ليس من قبيل الفراسة أو الحدس أو التخمين، و انما هو تعلم من ذى علم. اذا ثبت هذا و هو ثابت دون ريب، فقد كان ما فاجأه الامام الجواد (عليه السلام) الأئمة باستقراء الغيب المجهول، و التحدث الجازم بايحاء اللوح الغيبى، و

القول الصادق بأنباء مستقبلية ليس أمراً جديداً، وإنما هو جار بسبيل من سبل الأئمة (عليهم السلام)، حتى عاد حقيقة تاريخية واقعة. هذه الحقيقة أشار إليها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: [صفحة ١٢٣] «الآ، وانا أهل البيت، من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، و من قول صادق سمعنا، فأن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحق، و من تبعها لحق، و من تأخر عنها غرق» [١٩٥]. و الامام محمد الجواد (عليه السلام) في القمة الشامخة من هذا العلم اللدني، اذ لم يتكأ في علمه على أساتيد و شيوخ و حلقات درس، و من كان علمه من علم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، فهو في غنى جميع طرائق التعليم. و الامامية لا تستكثر على أئمتها أى امداد تصاعدي في العلم الموهبي، و كذلك ذو و النظر العقلي من أهل الاسلام، بما في ذلك ما تحقق على يد الصبي الامام محمد الجواد و الذي بعث الانبهار و العجب العجاب في شتى الأصعدة و المستويات. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين: «لن يخالجننا أى احساس بعجب أو استغراب عندما نقف على المآثور عن الامام الجواد، و على ما قيل في سعة علمه و غزارة فضله، و عندما نلمس تدفق ذلك العطاء الفكري و امتداد آفاقه المترامية، على الرغم من صغر سن الامام بالقياس الى الحسابات المتداولة في أعمار الناس، و ما يمكن أن يتعلموه في مثل تلك المدة الزمنية من العمر» [١٩٦]. و كان هذا التقرير فيما يتعلق بافاضات الامام العلمية التي لا تناسب عمره الشريف في سن الصبا، فاذا أضفنا الى ذلك مشاهد الملح [صفحة ١٢٤] الغيبي في استقراء المجهول من قبل الامام و استباق الأحداث في انباء الامام القاطعة، خرجنا بحصيله جديدة تخرق العادة في استكناه الحقائق. و لهذا فان ما ورد عن الامام في هذا المجال يعتبر بحق ظاهرة من ظواهر كشف الأستار و الحجب عن الوقائق القادمة بكل دقة و أمانة بحيث لا تتخلف الأخبار عن اصابة الواقع في شىء مطلقاً، و شواهد ذلك كثيرة كما سترى. فعن ابراهيم بن محمد، قال: كان أبو جعفر محمد بن علي كتب الى كتابا، و أمرني أن لا أفكه حتى يموت يحيى بن أبي عمران. قال: فمكث الكتاب عندي سنتين فلما كان اليوم الذي مات فيه يحيى بن أبي عمران فككت الكتاب فاذا فيه: «قم بما كان يقوم به أو نحو هذا من الأمر: و كان ابراهيم يقول كنت لا أخاف الموت ما كان يحيى بن أبي عمران حياً» [١٩٧]. و في هذا الكتاب ملحظان غيبان: الأول: الانباء بأن عمر ابراهيم بن محمد أطول من عمر و كيله يحيى بن أبي عمران لهذا، أسند اليه الأمر قبل وفاة يحيى بستتين. الثاني: القطع بأن ابراهيم بن محمد سوف لا ينحرف عن منهج أهل البيت طيلة هذه المدة بحيث استحق وكالة الامام، أو القيام بمهمة يحيى بن أبي عمران من بعده. [صفحة ١٢٥] و عن أبي هاشم الجعفرى، قال: دخلت على أبي جعفر الثاني، و معي ثلاث رقاع غير معنونة و اشبهت على، و اغتممت لذلك فتناول الامام احداهن، و قال: هذه رقعة الريان بن شبيب، و تناول الثانية، و قال: هذه رقعة محمد بن أبي حمزة، و تناول الثالثة، و قال: هذه رقعة فلان. فبهت، فنظر الى و تبسم» [١٩٨]. فبماذا نعلل هذا الانباء؟ و كيف يتم هذا الاكتشاف؟ و بم تفسر هذه الظاهرة؟ لقد ملكت الدهشة الوسط المحيط بالامام، و هما فريقان، أولياؤه و أعداؤه. أما الأولياء فآمنوا بالعلم الموهبي للامام. و أما الأعداء فكانوا بين بين، بين التسليم و بين العناد. و هكذا شأن الناس، فعن محمد بن حمزة عن محمد بن علي الهاشمي، أنه دخل على الامام الجواد، و أصابه العطش، و كره أن يدعو بالماء، يقول: فنظر أبو جعفر (عليه السلام) في وجهي، و قال: أراك عطشان؟ قلت: أجل. قال: يا غلام اسقنا ماء. فقلت في نفسى: الساعة يأتونه بماء مسموم، و اغتممت لذلك. فأقبل الغلام و معه الماء، فتبسم في وجهي، ثم قال: يا غلام، ناولني الماء، فشرب منه ثم ناولني فشربت، و أطلت عنده فعضت فدعا بالماء ففعل كما فعل في المرة الأولى. فشرب ثم ناولني و تبسم. [صفحة ١٢٦] قال محمد بن حمزة: فقال لي محمد بن علي الهاشمي: و الله انى أظن أن أباجعفر يعلم ما في النفوس، كما تقول الراضة» [١٩٩]. و روى الحميرى أن أبا هاشم قال: «ان أبا جعفر أعطاني ثلاثمائة دينار في صرة و أمرني أن أحملها الى بعض بنى عمه، و قال: أما أنه سيقول لك: دلني على من أشتري بها منه متاعاً، فدلته: قال: فأتيته بالدنانير، فقال لي: يا أبا هاشم دلني على حريف يشتري بها متاعاً، ففعلت» [٢٠٠]. أترى الامام (عليه السلام) قد قرأ ما في نفس المرسل اليه فتحدث بذلك، أما أن هناك استقراء للمجهول تلوح بوادره؟ و روى عن أبي هاشم الجعفرى، قال: كلفني جمالي أن أكلم أبا جعفر (عليه السلام) ليدخله في بعض أموره، قال: فدخلت عليه لأكلمه فوجدته في جماعة فلم يمكني كلامه، فقال: يا أبا هاشم، كل، و قد وضع الطعام بين يديه، ثم قال ابتداء منه من غير مساءلة مني: يا غلام، انظر

الجمال الذي أتانا أبو هاشم فضمه اليك. [٢٠١]. [صفحة ١٢٧] ولم يكن هذا اللحم الغيبي الذي يستخدمه الامام الا لتثبيت قلوب المؤمنين، و تعميق معرفتهم بمدرجات الأئمة العلمية و أبعادها الطبيعية و الكسبية و اللدنية. و أورد في الخرائج عن صالح بن عطية الأصح، قال: حججت فشكوت الى أبي جعفر (عليه السلام) الوحده!! فقال: أما انك لا تخرج من الحرم حتى تشتري جارية ترزق منها ابنا فقلت: تسير الى؟ قال: نعم، و ركب الى النخاس و كتب الى جاريته، فقال: اشتريها فاشتريتها فولدت محمدا ابني. [٢٠٢]. و عن عمران بن محمد الأشعري، قال: دخلت على أبي جعفر الثاني (عليه السلام)، و قضيت حوائجي، و قلت له: ان أم الحسن تقرأك السلام، و تسألك ثوبا من ثيابك تجعله كفنا لها، قال: قد استغنت عن ذلك!! فخرجت، و لست أدري معنى ذلك، فأتاني الخبر بأنها قد ماتت قبل ذلك بثلاثة عشر يوما أو أربعة عشر يوما. [٢٠٣]. و نظير هذا ما رواه عمران بن محمد نفسه، قال: دفع الى أخي درعة أحملها الى أبي جعفر (عليه السلام) مع أشياء، فقدمت بها و نسيت الدرع، فلما أردت أن أودعه، قال: لي أحمل الدرع. [صفحة ١٢٨] و سألتني والدتي أن أساله قميصا من ثيابه!! فقال: ليس بمحتاج اليه!! فجائني الخبر أنها توفيت قبل عشرين يوما. [٢٠٤]. و كانت هذه الانباءات - و ما أوردناه غيضا من فيض - مما كشف حجاب الريب عن أزمة الطفولة المدعاة و ألفت بمصادر التشكيك في مزبلة التاريخ، و كان لها الأثر الكبير في ترسيخ مفهوم الامامة في النفوس، لأنها دلائل و براهين ناطقة، ما اتفق أن تخلف انبأؤها و لا مرة واحدة. [صفحة ١٢٩]

اضطراب النظام العباسي... من الامام المعجزة

و اضطرب النظام العباسي اضطرابا هائلا، حينما فوجئ بمقدرة الامام العلمية و التشريعية و الغيبية، و امتلاكه قلوب الناس، و التفاف الأمة حول قيادته المتبرعمة في سن الصبا و أول الشباب، و بدأت الجماهير تتساءل، و ما بعد الشك الا اليقين!! ما هذه المميزات و الخصائص لهذا الانسان المعجزة؟؟ عن آية قوة غيبية يتحدى السلطان فيطأطي من جبروته؟؟ فلماذا تقف السلطة بامكاناتها متصاغرة بين يديه؟؟ لماذا بهت العلماء و الفقهاء و المتكلمون أمام هذا الحدث الجديد؟ و ما بال شيوخ الشيعة و أساطينها و رجالها و تجارها و كسبتها و جمهورها و سوادها، تتلقى تعليماتها ممن لم يبلغ الحلم؟؟ فهل أصيب هذا الحشد الهائل باختلال التوازن العقلي؟ أم ماذا؟ و ما طبيعة هذه الوفود من البلدان و الأقاليم و القصابات تتجه بعد الحج و زيارة الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) شطرب بيت الامام محمد الجواد (عليه السلام)؟ تسأله فيجيب، و تستنقبه فلا ينبو، و يستفهمه فلا يحيد!! و تطلب اليه فلا يردها، و تتودد اليه فيبرها و يحنو عليها!! و تتقرب منه خطوة فخطوة، فلا تلمس الا علما و حزما، و لا تجد الا نبلا و شرفا، [صفحة ١٣٠] و لا ترى الا جودا و سخاء، و لا تنظر الا ادراكا و معرفة، و لا تكتشف الا أصالة و رفعة!! أين هم اليوم في مثل هذا العالم الجديد؟ العالم الذي لا يخضع لمعيار الفطرة و لا- نظام الكون!! و انما ينفجر - كما هو المتوقع لذوى الألباب - عن مفاهيم جديدة تطوى الزمن كلمح بالبصر عن مخزون حضارى عتيق ينبع من القرآن، و يصدر عن الشرع الحنيف، و يحكى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) تشريعه و تأصيله و تمويله لهذا الدين القيم!! و كيف تأخذ هذه الجموع المتدافعة فقه عباداتها و معاملاتهما، و أمر ثوابتها و أصولها و تعاليم معتقداتها و فروضها و ما يترتب على ذلك من ادارة شؤونها و اصلاح معاشها، و تهذيب نفوسها و ترويض صعبها و تطبيع علاقاتها الاجتماعية و الدينية على أرض صلبة؟ من هذا الصبي المعجزة الذي استولى على المشاعر و الأحاسيس حبا و اكبارا. و كيف استطاع صهر هذا الألق الحاد المتناقض بين جمهرة المشككين و المستغربين و المتحيرين؟ فاجذبهم الى حضرتهم انجذابا رفيعا، و استحوذ عليهم بالدليل و المنطق و العلم الهادر!! و هل من المتعارف عليه في نظام الأحكام السلطانية، و في حياة الفقه الدستوري أن يتصدر مذهب أهل البيت هذا اليافع الذي لم يبلغ الحلم؟ و ماذا تقول الأمة، و أبوه الامام على بن موسى الرضا يكتب اليه و هو في هذه السن المبكرة؟ و من خراسان التي وردها عام مائتين من الهجرة بالرسائل الرقيقة معظما و مبعجا و ترده أجوبة ولده شافية [صفحة ١٣١] مستوعبة، فيشير منذ ذلك الحين الى امامته من بعده علما بأن مولده في عام خمسة و تسعين بعد المائة من الهجرة اجماعا!! فعمره

الشريف اذن خمس سنوات فحسب. يقول محمد بن بي أبي عباد، و كان يكتب للرضا (عليه السلام): «ان الامام ما كان يذكر محمدا ابنه (عليه السلام) الا بكنيته، يقول: كتب الى أبو جعفر!! و كنت أكتب الى أبي جعفر و هو صبي في المدينة!! فيخاطب بالتعظيم!! و ترد كتب أبي جعفر (عليه السلام) في نهاية البلاغة و الحسن!! فسمعتة أى - الامام الرضا - يقول: «أبو جعفر وصي و خليفتي في أهلي من بعدى» [٢٠٥]. و الأ-كثر من هذا بعد أن يسأل الامام الرضا (عليه السلام): «فان كان كون فالى أين؟ فيشير بيده الى أبي جعفر (عليه السلام)، و هو قائم بين يديه».!! فقلت له: (و القائل صفوان بن يحيى) جعلت فداك و هو ابن الثلاث سنين؟ قال الامام الرضا (عليه السلام): «و ما يضره من ذلك؟ قد قام عيسى بالحجة و هو ابن أقل من ثلاث سنين» [٢٠٦]. و يكرر الرضا (عليه السلام) هذا المعنى مؤكدا عليه، فقد روى الحسن بن محمد عن الخيرانى عن أبيه، قال: [صفحة ١٣٢] «كنت واقفا بين يدي أبي الحسن الرضا (عليه السلام) بخراسان، فقال قائل: يا سيدى ان كان كون فالى من؟ قال: الى أبي جعفر ابني!! فكأن القائل استصغر سن أبي جعفر!! فقال أبو الحسن (الرضا) (عليه السلام): «ان الله سبحانه بعث عيسى بن مريم رسولا نبيا، صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذى فيه أبو جعفر (عليه السلام)» [٢٠٧]. و كان من دقة الامام الرضا (عليه السلام)، و تفكيره الموضوعى أن لم يصطحب معه ولده الامام الرضا الى مرو، بل أبقاه في المدينة المنورة حفاظا عليه من النظام الطائش الذى قد يقدم على تصفيته جسديا، لو حصل لأبيه الأمر كما هو المتوقع، و كان هذا الملحظ الدقيق مؤشرا سياسيا رقيقا في تمرس الامام الرضا (عليه السلام)، في الأحداث، و معرفته النوعية بمؤامرات البلاط العباسى الذى لا- يتورع عن شىء. هذا من وجه احترازي خالص، و من وجه آخر ايجابي كان بقاء الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و هو فى عمر الورود، يشكل منعطف تاريخيا فى حياة الامامة، فهو لم يتجاوز الخامسة من عمره الشريف، الا أن التفاف الشيعة - بعد تصريحات أبيه السابقة - كان مكثفا حوله، باعتباره ظاهرة جديدة فى حياة الامامة نظرا لصغره، و مع هذا فان الاقبال عليه كان منقطع النظير من أوليائه، و أهل بيته و الهاشميين. [صفحة ١٣٣] فقد أورد المجلسى عن أمية بن على قوله: «كنت بالمدينة، و كنت أختلف الى أبي جعفر (عليه السلام)، و أبو الحسن - الرضا - بخراسان، و كان أهل بيته و عمومته أبيه يأتونه و يسلمون عليه» [٢٠٨]. بل ذهب المسعودى الى أكثر من هذا فقال: «انه كان يدبر أمر الرضا (عليه السلام) بالمدينة» [٢٠٩]. و كذلك كان أوليائه يتحينون الفرص بالاجتماع به، انبهارا بقابلياته الفذة و هو صغير، فعن ابن أبي النضر و محمد بن سنان قالان: «كنا بمكة و أبو الحسن الرضا (عليه السلام) بها، فقلنا له: جعلنا الله فداك، نحن خارجون و أنت مقيم، فان رأيت أن تكتب لأبي جعفر (عليه السلام)، كتابا نلم به، قالان: فكتب اليه فقدمنا، و اجتمعوا بالامام الجواد (عليه السلام)، و قرأ كتاب أبيه و هو يتسم. [٢١٠]. و ما اكتفى الامام الرضا (عليه السلام) بهذا حتى أمر أصحابه و أوليائه باحداث العهد به و التسليم له فى حياته. و مما يروى فى هذا الصدد، أن الامام كان فى جماعة فلما نهضوا قال لهم أبو الحسن الرضا (عليه السلام): [صفحة ١٣٤] القوا أبا جعفر فسلموا له، و أحدثوا به عهدا. [٢١١]. و الطريف أن يحتج الامام محمد الجواد بلغة العصر اعلاميا فى اثبات امامته بما رواه الشيخ المفيد قائلا: «أخبرني أبو القاسم، جعفر بن محمد بن يعقوب عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، قال: خرج على أبو جعفر (عليه السلام) حدثان موت أبيه، فنظرت الى قده لأصف قامته لأصحابنا، ففعد ثم قال: يا معلى ان الله احتج فى الامامة بمثل ما احتج فى النبوة فقال: (و آتينا الحكم صبيا) [٢١٢] [٢١٣]. و قد كرر الامام محمد الجواد (عليه السلام) جوهر هذا الاحتجاج مع على بن أسباط بروايته، قال: «رأيت أبا جعفر (عليه السلام) قد خرج على، فأحدت النظر اليه و الى رأسه، و الى رجله، لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فخر (الامام محمد الجواد) ساجدا، و قال: ان الله احتج فى الامامة بمثل ما احتج فى النبوة. قال تعالى (و آتينا الحكم صبيا) [٢١٤]. [صفحة ١٣٥] و قال الله: (حتى اذا بلغ أشده...) [٢١٥]. (و بلغ أربعين سنة...) [٢١٦]. فقد يجوز أن يؤتى الحكمه و هو صبي و يجوز أن يؤتى و هو ابن أربعين سنة» [٢١٧]. و مهما يكن من أمر، فقد تسنم الامام محمد الجواد منصب الامامة الشرعى، و قد أقام مع أبيه سبع سنين و أربعة أشهر و يومين، و نهض من بعده بالأمر اماما ثمانى عشرة سنة الا عشرين يوما... [٢١٨]. و كان منذ صباه حتى أول شبابه، و فى جميع أدوار حياته، مضرب المثل فى العفة و الزهد و العلم و الاستقامة. و اشتهر ذكر الامام فى الآفاق و ذاع صيته فى العواصم، و تطلعت الى

أخباره الأقاليم، فلمس النظام فيه خطرا عتيدا حاضرا، و وجد فيه ظاهرة لا قبل لها بها فأرجف عليه من هنا وهناك، و ابتغى له الغوائل، و بدأ يبحث عن الوسائل التي تصد هذا التأييد الحافل به، سيما بعد وفاة المأمون و تسلم المعتصم للحكم في شعبان من سنة ثمانى عشرة و مائتين. فقد روى عن ابن أرومه أنه قال: «ان المعتصم دعا جماعة من وزرائه، فقال: اشهدوا على محمد بن على بن موسى زورا، و اكتبوا أنه أراد أن يخرج. [صفحة ١٣٦] ثم دعاه المعتصم فقال له: انك أردت أن تخرج على!! فقال: و الله ما فعلت شيئا من ذلك. قال: ان فلانا و فلانا شهدوا عليك!! فأحضروا، فقالوا: نعم هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك، قال: و كان جالسا في بهو فرجع أبو جعفر يده، و قال: اللهم ان كانوا كذبوا على فخذهم!! قال: فنظرنا الى ذلك البهو و كيف يرجف و يذهب و يجىء!! و كلما قام واحد وقع!! فقال المعتصم: يا ابن رسول الله: انى تائب مما قلت، فادع ربك أن يسكنه فقال الامام: اللهم سكنه انك تعلم أنهم أعداؤك و أعدائى، فسكن» [٢١٩]. و لم يكن الامام مع هذه الضغوط و المفارقات لينفى عن نفسه امامة الأمة، بل ثبتها لنفسه جهارا و بكل وثوق و اطمئنان، يصاحبه فيها التأييد الغيبي بما يعتبر معجزة، فقد قال له يحيى بن أكنم، قاضى القضاة: «و الله انى أريد أن أسألك مسألة واحدة، و انى لأستحى مكن ذلك!! قال الامام محمد الجواد: أنا أخبرك قبل أن تسألنى، تسألنى عن الامام!! فقلت: هو و الله هذا. فقال الامام (عليه السلام): أنا هو. [صفحة ١٣٧] فقلت: علامة، فكان فى يده عصا فنطقت و قالت: انه مولاي امام هذا الزمان و هو الحجة» [٢٢٠]. و مع هذا فقد، كان النظام يحاول الاستخفاف بالامام، و يحاول الاغراء جزافا، و هو يتصور خائبا الاستهانة بمقام الامامة من وجه، و استغفال الآخرين من وجه، و كلن الله يأبى الا أن يتم نوره، و يظهر حجته و يكتب عدوه، فقد جمع المأمون للامام (عليه السلام) المغنين!! و أهل الطرب!! و ضربوا بالعود فى حضرته!! و الامام لا يلتفت يمينا و شمالا، بل قال لمن تولى كبر ذلك، و هو مخارق المغنى: اتق الله ياذا العثون!! فسقط المضراب من يده و العود، فلم ينتفع بيده الى أن مات. فسأله المأمون عن حاله! فقال: لما صاح بى أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبدا [٢٢١]. و مع هذا فقد كان التشكيك المتعمد فى امامة الجواد قائما لدى بعضهم عنادا أو جهلا أو اصرارا أو حقدًا، بل و يلعنون القائل بامامتهم من أتباع أهل البيت!! فقد اطلع قاسم بن عبدالرحمن فى بغداد، و الناس يستشرفون لرؤية الامام محمد الجواد (عليه السلام)، فقال: و الله لأنظرن اليه، فطلع الامام على بغل، فقلت: لعن الله أصحاب الامامة حيث يقولون: ان الله افترض طاعة هذا!! [صفحة ١٣٨] فعدل الامام الجواد الى و قال: يا قاسم بن عبدالرحمن: (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال و سعر) [٢٢٢]. فقلت فى نفسى: ساحر و الله. فعدل الى، فقال: (أولقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر) [٢٢٣]. قال فانصرفت و قلت بالامامة و شهدت أنه حجة الله على خلقه و اعتقدت) [٢٢٤]. و قد شاءت السلطة الغاشمة أن تستطيل بقضائها، لمقام الامام بالتوهين و ابتداع الأباطيل، ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا فقد روى محمد بن مسعود عن المحمودى، قال: حدثنى أبى؛ أنه دخل على ابن أبى دؤاد، و هو فى مجلسه و حوله أصحابه، فقال لهم ابن أبى دؤاد: يا هؤلاء؛ ما تقولون فى شىء قاله الخليفة البارحة؟ فقالوا: و ما ذاك؟ قال: قال الخليفة: ما ترى الفلانية «الرافضة» تصنع ان أخرجنا اليهم أبا جعفر «يعنى الامام الجواد» سكران، يمضى مضمخا بالخلق؟ قالوا: اذن تبطل حجتهم و تبطل مقاتلتهم!! قلت: ان الفلانية «الرافضة» يخالطونى كثيرا و يفضون الى بسر مقاتلتهم و ليس يلزمهم هذا الذى يجرى!! [صفحة ١٣٩] قال: و من أنى قلت؟ قلت: انهم يقولون: لا بد فى كل زمان و على كل حال، لله فى أرضه من حجة يقطع العذر بينه و بين خلقه. قلت: فان كان فى زمان الحجة من هو مثله أو فوقه فى الشرف و النسب كان أدل الدلائل على الحجة قصد السلطان له من بين أهله و نوعه. قال: فعرض بى أبى دؤاد هذا الكلام على الخليفة. فقال: ليس فى هؤلاء اليوم حيلة. لا تؤذوا أبا جعفر (يعنى الامام الجواد) [٢٢٥]. و هذا النحو من التوجه فى افتعال الأكاذيب و تجربة الافتراضات المختلفة، له خطورته الاعلامية بين أعداء الامامية و أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فلا يعيرون لذلك أهمية، و لا يلقون اليه السمع لأنهم كما فى جواب أبى المحمودى [٢٢٦] فانهم يذهبون الى القول أن لا بد من حجة فى كل زمان، و حينما يعرض السلطان لمن هو فى هذا الوصف كان ذلك لهم دليلا أنه الحجة دونه سواه، لأنه لا يعرض الا له، لعلم السلطان أنه صاحب مرتبة الامامة عند أولياء أهل البيت (عليهم السلام)، و لو لم يكن كذلك لما عرض له. [صفحة ١٤٠] كما أشار الى نحو من هذا الشيخ المجلسى أعلى الله

مقامه. [٢٢٧]. و لم يكن هذا المقام الذي عليه الامام محمد الجواد (عليه السلام)، ليخفى على السلطان، أو أولياء السلطان، و هم يعلمون جيدا أن ذلك من المناصب الالهية التي لا أمر معها للبشر، ولكنه البغي و العدوان و شهوة الحكم و الاستطالة على أولياء الله. و لم يكن الامام (عليه السلام) ليقابل السلطة الا باللطف و النصيح الكريم، شأنه بهذا شأن آبائه الطاهرين، حفاظا منهم على النظام و رعايته للصالح العام. فقد جاء في بعض المرويات أن الامام محمد الجواد قال للمؤمن: لك عندي نصيحة فاقبلها. قال المؤمن بالحمد و الشكر، فما ذاك يا ابن رسول الله؟؟ قال الامام محمد الجواد (عليه السلام): أحب أن لا تخرج بالليل، فأني لا آمن عليك هذا الخلق المنكوس، و عندي عقد تحصن به نفسك، و تحترز به عن الشرور و البلايا و المكار... و ان أحببت بعثت به اليك لتتحرز من جميع ما ذكرت لك. قال: نعم؟ فاكتب ذلك بخطك و ابعثه الي. قال (عليه السلام): نعم و أنفذ له ذلك مع تعليمات في آداب استعماله. [٢٢٨]. هذه الروح الرائدة للخير و حب النظام و الألفة و معالي الأمور، بواد انسانية تتفجر بها فطرة الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و تضطم عليها جوانحه. [صفحة ١٤١] و لعل لهذا التوجه هدفا أكبر مما يبدو لأول وهلة، فهو يريد أن لا يعلق الباب بينه و بين السلطان، و يريد أيضا أن يجعل الخطوط التفاهمية بينه و بين السلطان مفتوحة، و ان كان ذلك بحدود معينة، لينفذ من خلال ذلك الى أداء تكليفه الشرعي في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. فقد كان مما اشتهر به المؤمن شرب الخمر، و أراد الامام أن يحد من هذه الظاهرة لدى المؤمن فقال له: «لك عندي نصيحة فاسمعها مني!! قال المؤمن: هاتها. قال الامام: أشير عليك بترك الشراب المسكر!! قال المؤمن: فداك ابن عمك، قد قبلت نصيحتك» [٢٢٩]. و لك أن تقدر مدى معاناة الامام من هؤلاء المستهترين بشريعة سيد المرسلين و لك أن تتصور مدى تحمله للمصاعب و المتاعب، و هو يحمل هموم أمته و دينه و عقيدته. [صفحة ١٤٥]

الامام محمد الجواد... تراثيا

علم أهل البيت في تراث الامام

ليس أمرا جديدا على سليل النبوة و وليد الامامة أن يكون أحد رموز التراث العلمي في الدنيا منذ نومه أظفاره، فأبائه أساطين العلم و منبع الحكمة، و بيوتهم مهبط الوحي و مدارج الملائكة، و محافلهم أنديء الفضل و الفيض الالهي. و كان تراث الامام محمد الجواد (عليه السلام) في الذروة في المعارف الانسانية السائرة، اذ فجر ينبوعا عليما ثرا عذب الموارد، استوعب لباب العلم و مقتطفاتها الندية، و سلط الأضواء الكاشفة على أصوله و جذوره الأولى، حتى عاد ظاهرة من ظواهر الاعجاز الحضارية، لم يخضع لمقاييس التعلم و التعليم، و لا اتبع الأسلوب التقليدي في طلب العلم، فالامام لم يحضر حلقات الدرس عند أحد، و لم يحدثنا التاريخ حتى الرسمي مه أنه أخذ عن شيوخ و أساتيد منذ صباه حتى استشهاده في الخامسة و العشرين من العمر، فقد تركه أبوه الامام علي بن موسى الرضا في المدينة المنورة خماسي الأسنان، و لم يعهد لمعلم ما أن يعلمه شيئا على الاطلاق، بل أمر أوليائه و شيعته بالاغتراف من معينه و الرجوع اليه باعتباره الوريث الشرعي لمكنون علمه و خزائنه أسراره، فعن معمر بن خلاد، قال: «سمعت الامام الرضا (عليه السلام) و ذكر شيئا، فقال: ما حاجتكم الي ذلك؟» [صفحة ١٤٦] هذا أبو جعفر قد أجلسه مجلسي و صيرته مكاني، و قال: انا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة» [٢٣٠]. بل ينسب الي الامام محمد الجواد نفسه، أنه قال - في سن الصبا - ما هو أعظم أثرا، و أوسع شمولاً: «اني و الله لأعلم ما في سرائرهم و خواطرهم، و اني و الله لأعلم الناس أجمعين بما هم اليه صائرون، أقول حقا، و أظهر صدقا، علما قد نبأه الله تعالى قبل الخلق أجمعين، و قبل بناء السماوات و الأرضين» [٢٣١]. و كأن الامام يريد أن ينبه الأمة الي حقيقة أكبر من العلم الاعتيادي، و هي حقيقة العلم اللدني الذي خص به هو و آبائه من ذى قبل، و قد أشرنا لذلك في الفصل السابق. و الحق أن العلم اللدني هو أحد مصادر علم الامام محمد الجواد، و سبق أن بحثنا ذلك مفصلا في عمل مستقل. [٢٣٢]. و هذا العلم بمواهبه الالهية هو ما يتناسب بالفعل مع الانباء بالغيب المأثور عن الامام، و هو ما ينسجم مع السيل المتدافع من الأسئلة التي أجاب عليها في

حياته في شتى العلوم الفقهية والفلسفية والعرفانية والكلامية كما سترى ذلك في موقعه من هذا الكتاب. و هو الأمر الذي تعلل به ظاهرة استقراء الغيب المجهول في سن مبكرة مما لا يتوافر رصده الا عند المرسلين و الأئمة المعصومين (عليهم السلام). [صفحة ١٤٧] وهو - أيضا - التفسير الأمثل لما تحدث به الرواة عن غزارة علم الامام و شمولية عطائه الفكرى، بما يحفظ لنا المعادلة المتوازنة لأبعاد علم الامام المترامية الأطراف في سجل تاريخه المعرفى، مما لا يحيط به الفكر التقليدى فى تصور أولى. و قد يرفضه المثقف العصرى ابتداء قبل التمحيص و التحقيق، و لكن التجربة التاريخية الصادقة قد أثبتت بما لا يقبل الشك أنه حقيقة واقعة لا فرضية جدلية، فما اتفق للامام محمد الجواد أن تلكاً فى اجابته، و لا توقف عند مسأله، و لا تسامح فى بيان جزئى أو كلى، و لا استمد معلومة لا صغيرة و لا كبيرة من راو، أو محدث أو عالم، أو تابعى، أو سوى هؤلاء من المتخصصين. و هذا العلم لطف الهى لاستكمال رسالة الامامة باعتبارها وريثا لرسالة السماء، و هو بعيد كل البعد عن الغلو على الاطلاق، و لكنه فوق مدرسة العلم الكسبى، و قد صرح به القرآن العظيم فيما اقتض من خبر موسى و صاحبه، حين التقيا العالم الذى أبهم ذكر اسمه فى القرآن، و تبين فى الروايات أنه الخضر (عليه السلام)، و ذلك فى قوله تعالى: (فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما) [٢٣٣]. و الامامية لا تستكثر امداد العلم اللدنى و مصاحبته لائمة أهل البيت (عليهم السلام)، سيما أن ذوى النظر العقلى من أهل الاسلام يشاركون الامامية فى هذا الملحظ، و ذلك لانتشار شواهد فى السيرة العطرة للائمة (عليهم السلام)، و هم يرفدون العقل البشرى بما يستجد لطالبه من الأسئلة [صفحة ١٤٨] و الاستفسارات الدقيقة، و معالم هذا المشهد أكثر من أن تحصى فى مفرداتها كثرة. و هذا العلم ليس من قبيل الوحى، و لكنه يتأتى بوسائط لخصها الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فى تقسيمه لمبلغ علم أهل البيت، و منه العلم الحادث، فعبّر عنه بقوله: «و أما الحادث فحذف فى القلوب، و نقر فى الأسماع» [٢٣٤]. و قد يكون ذلك من الالهام اليقيني الخالص، كما عن على بن يقطين قال: قلت للامام موسى (يعنى الامام الكاظم (عليه السلام)): «علم عالمكم سماع أم الهام؟ فقال: قد يكون سماعا، و يكون الهاما، و يكونان معا» [٢٣٥]. و هذا الأمر ليس حادثا، بل هو قديم يمتد الى عصر الامام على (عليه السلام)، و الأئمة من بعده، و كل امام يؤكد هذه الحقيقة بضرر قاطع، و قد قال الامام جعفر الصادق (عليه السلام) لعبد الله النجاشى: «و الله ان فينا من ينكث فى قلبه، و ينقر فى أذنه، و تصافحه الملائكة»... [٢٣٦]. و لا أدل هذا على هذا من هلع الطغاة و خوف الجبابرة من هذه الظاهرة، فهم يتحسسون منها، و ترتعد لها فرائصهم، اذ قد تتحدث عن [صفحة ١٤٩] مستقبلهم، و قد تكشف عما خبأ الدهر لهم [٢٣٧]. و كان الامام الجواد فى صباه قد أخبر فيما أخبر به فى ضوء هذا العلم، حديثه بموت أبيه الامام الرضا (عليه السلام) فى خراسان و هو فى المدينة المنورة، و البريد لا- يأتى بالخبر الا- بعد أيام و ليال، لبعد المسافة. فعن أمية بن على، قال: «كنت بالمدينة و كنت أختلف الى أبى جعفر، و أبو الحسن بخراسان، و كان أهل بيته و عموه أبيه يأتون و يسلمون عليه، فدعا يوما بجارية، فقال لها: قولى لهم يتهبأون للماتم، فلما تفرقوا، قالوا: هلا سألناه ماتم من؟ فلما كان من الغد فعل مثل ذلك، فقالوا ماتم من؟ فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): خير من على ظهرها!! فأتانا خبر أبى الحسن بعد ذلك بأيام، فاذا هو قد مات فى ذلك اليوم» [٢٣٨]. و لا- أدل على ذلك من اخبار الامام محمد الجواد بوفاته نفسه، و قد كابد المحن و المآسى العامة و الخاصة فى عصر المأمون، و هو ينتظر الفرج فيما يبدو، فعن أبى بزيع العطار: قال أبو جعفر: الفرج بعد المأمون بثلاثين شهرا. قال: فنظرنا، فمات بعد ثلاثين شهرا من وفاة المأمون. [٢٣٩]. [صفحة ١٥٠]

كان الأصل الطبيعى لعلم الامام محمد الجواد (عليه السلام) هو ذلك الموروث العلمى الذى يتوارثه كل امام عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى انتهى الأمر اليه. و هذا العلم غير قابل للرد من جهة، و غير خاضع لعملية الاجتهاد من جهة أخرى، و غير معارض فيهما معا، فهو نص، و لا اجتهاد فى قبال النص و اذا ثبت تلقى الامام له مباشرة أو بوساطة فهو السنة نفسها، و اذا أفتى به الامام فهو السنة أيضا، و ليس من شىء يصدر عن الامام محمد الجواد الا من خلال الكتاب و السنة مضافا الى علم الموهبة، فنحن - اذن - بين يدي علمه الزاخر: أمام مخزون من العلم يعتمد القرآن أولا، و السنة الشريفة ثانيا، و هذان الأثران هما المصدر الأساس للتشريع، و ما أبداه الامام محمد الجواد (عليه السلام) من خلالهما فهو التراث الخالد الذى لا يزول. يقول الأستاذ محمد حسن آل

ياسين: «وكان المنيع الأكبر لعلم الامام الجواد - بعد هذه الموارد المشار اليها من مدونات آباءه الغر الميامين، و قد رووها مسندة عن جدهم أمير المؤمنين - [٢٤٠] ما تعلمه و رواه مباشرة عن أبيه الامام الرضا (عليه السلام) خلال تلك السنوات القليلة التي عاشها في ضلاله» [٢٤١]. فاجتمع له ببركة هذين المنبعين المقدسين ما تسامى به شأنًا ومقامًا، و تعالى شرفًا و رفعةً، بما ضم من لباب علم النبوة و أسرار حقائق التنزيل [صفحة ١٥١] و ما انتهى اليه بواسطة تلك السلسلة المباركة الزاهية عن جده الأعظم (صلى الله عليه و اله و سلم) مما كان يحدث به عن لسان الوحي و بلاغ السماء، و حكم الله في أمور العباد و مصالح البلاد. و من هنا كان تراث الامامة المأثور عن الامام الجواد (عليه السلام) بهذه الدرجة العليا من التقدير بل التقديس [٢٤٢]. و ان الباحث لتأخذه الدهشة و هو يغوص في أعماق ما خلفه الامام محمد الجواد من تراث حضارى أصيل على ما كان عليه من شدة الرقابة و دقيق الرصد من قبل السلطة العباسية، فهي تحصى عليه الأنفاس، و تسجل الخطوات، و تلتقط ما يتفوه به أولاً بأول، و تنكل بالأنباع و المواليين من حملة علمه و فقه و حضارته، و مع قصر عمره الشريف، و مراوغه المأمون، و غطرسة المعتصم، و ملاحقة والى المدينة عمر بن فرج الرخجي، فقد برزت للعيان تلك المشاهد الحافلة بالافتاء، و الفقه، و المناظرة، و الاحتجاج بكتاب الله و السنة، و تبرعت تلك المعارف العليا بمفرداتها الضخمة، و هي تزحف بركبها الصاعد لتطوير حياة الانسانية جمعاء، و التي سنتناول بعض مظاهرها على سبيل النموذج في مباحث لاحقة بأذن الله تعالى. و يبدو للبحث أن الامام الجواد (عليه السلام)، كان قد استشف من وراء الغيب أن السلطان سيقضى عليه في وقت مبكر. الامام بأطروحة الصادقة في الوعي و الفكر و الشريعة قد أكذب أحدوئتهم في الدجل و الزيف و الانحراف عن الخط الاسلامي، و سفه أحلامهم في بناء الحكم [صفحة ١٥٢] على جماجم الأبرياء و الشهداء، و لقي ما أفاض به من المعارضة في حدودها دويًا هائلًا في العواصم الاسلامية. و ليس من الطبيعي أن تقف منه السلطة موقف اللامبالاة، و الأمة تنظر اليه بمنظور القداسة و الاجلال ذاتيا، و تكن له الحب في أعماقها تلقائيا، و استيقظت على ملامح النور الذي يخطف الأبصار في علمه و فضله و امكاناته المعرفية، فالتفت حوله زرافات و وحدانا بما لا مثيل له أو نظير، بحيث استطاع الامام أن يرسخ كثيرا من الثوابت التي جحدت، و أن يجدد جمهرة من العوالم التي درست، و اذا به ينهض بها شاهقة متعالية، و هي تسخر بزوبعة الأعاصير المفتعلة و تهزأ بتضليل تلك الأوهام المرجفة، معتمدا بعد الله تعالى على صلابته في المبدأ أولاً، و على التأييد الشعبي المتلاحق ثانيا، و على الأصالة و الموضوعية و الاستقلال لمدرسة أهل البيت ثالثا، و كان دوره في تعميق هذا الاستقلال عظيما لاثباته له بالبرهان و الممارسة و التجديد. «و استقلالية مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) حقيقة زمنية شاخصه، فهي لا تستمد كيانها من السلطات القائمة، و هي لا تسير بركات الحاكمين، و هي لا تستعين بالقوة لفرض سيطرتها على الأمة، و هي لا تتوسل بالمال لتعزيز نفوذها، و هي لا تلجأ الى الأساليب الشائعة في العصر للتغلغل في ضمائر الناس. بل قامت على سجيته، فطرية الأداء عفوية الارادة» [٢٤٣]. و قد أرسى الامام محمد الجواد (عليه السلام) قواعد هذه المدرسة بتراثها الكبير على أصول صلبة بما أوتى من قوة تعبيرية و ملكة بيانية، و موهبة خارقة في النقض و الابرام، و قدرة متميزة لدى تناول المسائل المعقدة، [صفحة ١٥٣] و هو يطرحها طرحا موضوعيا دقيقا، تقف مدارك القوم أمامه حائرة من جهة، و معترفة بالعجز من جهة ثانية، حتى انتشر ذكره العطر في الآفاق انتشار النار في الحطب الجزل، فأذعنت له العلماء، و تحاشاه الفقهاء، و تقاصر عن مداه أهل الكلام. و قد كثر تداول هذه الحقيقة تاريخيا، و دونتها أقلام الصدق بأحرف من نور في مختلف الأجيال، حتى برز في كل جيل في تأريخ الاسلام من يسجل مآثر الامام محمد الجواد (عليه السلام)، بقدر الطاقة التي تسمح بها الظروف السياسية. و قد عبر الأستاذ باقر شريف القرشي عن مدى اعتداده بتلك القابليات الخلاقة التي سيرها الامام محمد الجواد في هدف مركزي عميق يتبنى وسائل الحفاظ على تراث أهل البيت غضا جديدا متواصلا، يقول: «من أروع صور الفكر و العلم في الاسلام الامام أبو جعفر الثاني محمد الجواد (عليه السلام) الذي حوى فضائل الدنيا و مكارمها، و فجر ينابيع الحكمة و العلم في الأرض، فكان المعلم و الرائد للنهضة العلمية و الثقافية في عصره، و قد أقبل عليه العلماء و الفقهاء و رواة الحديث، و طلبه الحكمة، و المعارف، و هم ينتهلون من ندير علومه و آدابه، و قد روى عنه الفقهاء الشيء الكثير مما يتعلق بأحكام الشريعة الاسلامية من العبادات

و المعاملات و غير ذلك من أبواب الفقه، و قد دونت في موسوعات الفقه و الحديث. لقد كان هذا الامام العظيم أحد المؤسسين لفقه أهل البيت (عليهم السلام) الذي يمثل الابداع و الأصالة و تطور الفكر. و روى عنه العلماء ألوانا ممتعة [صفحة ١٥٤] من الحكم و الآداب التي تتعلق بمكارم الأخلاق و آداب السلوك، و هي من أئمن ما أثر عن الاسلام من غرر الحكم التي عالجت مختلف القضايا التربوية و الأخلاقية» [٢٤٤]. و هذا ما يدعو البحث الى تسليط الضوء على عملية النقل الثقافي التي مهد بها الامام محمد الجواد (عليه السلام) لتراث جده رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و أمير المؤمنين (عليه السلام) على سبيل الاستدلال في اشارات موحية و لقطات معبرة، و هو ما يحاوله المبحث الآتي. [صفحة ١٥٥]

مرويات الامام عن رسول الله و أمير المؤمنين نموذجاً

في هذا الجزء من البحث نضع أيدينا على مئات المرويات التي ظفرنا بها مسنده في روايتها عن الامام محمد الجواد (عليه السلام) و هو يرويها عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، و عن أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام)، و هي عبارة عن شذرات في الحكمة و الأدب و الأخلاق و رياضة النفس، تلتقط من هنا و هناك في مصادرنا الرئيسية، لتزين جيد الزمان و صدره بلائها الثمينه، فيتناولها العلماء و الباحثون و أهل الفضل بالدرس و التمحيص لاضاءة درب السائرين. انها كنوز تربوية و تهيئية و أخلاقية في سلسلة ذهبيه، تراصفت عقودها اللامعة في التوجيه و النصيح الكريم، حذب على اختيارها الامام الجواد (عليه السلام) في كوكبة من الأحاديث الشريفه المسنده. روى الامام محمد الجواد عن آباءه عن أمير المؤمنين أنه قال: بعثنى النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) الى اليمن، فقال لي و هو يوصيني: «يا علي ما حار (ما خاب) من استخار، و لا ندم من استشار. يا علي عليك بالدلجة فان الأرض تطوى في الليل ما لا تطوى بالنهار. يا علي اغد باسم الله، فان الله بارك لأمتي في بكورها». [صفحة ١٥٦] و قال (صلى الله عليه و آله و سلم): «من استفاد أخا في الله، فقد استفاد بيتا في الجنة» [٢٤٥]. و روى الامام محمد الجواد بسنده أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: «ان فاطمة أحصنت فرجها، فحرم ذريتها على النار» [٢٤٦]. و قد سئل (عليه السلام) عن دلالة الحديث بالتحريم على النار من الذرية، فقال: (خاص للحسن و الحسين) [٢٤٧]. و روى الامام محمد الجواد بسنده عن جده رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، أنه قال في حجة الوداع: «قد كثرت على الكذابة، و ستكثر من بعدى، فمن كذب على متعمدا، فليتبؤ مقعده من النار» [٢٤٨]. «فاذا أتاكم الحديث عنى فاعرضوه على كتاب الله عزوجل و سنتي، فما وافق كتاب الله و سنتي فخذوا به، و ما خالف كتاب الله و سنتي فلا تأخذوا به» [٢٤٩]. و هذا أصل من أصول نقد متن الحديث و تمحيصه في ضوء كتاب الله و سنة رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم). و روى الامام محمد الجواد بسنده أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: [صفحة ١٥٧] «المرء مخبوء تحت لسانه» [٢٥٠]. هذه الكوكبة من الأحاديث النبوية نموذج مما وضع البحث يده عليها، و للباحث أن يستدل بما ذكرنا على ما لم نذكر. و أما مرويات الامام محمد الجواد (عليه السلام)، عن جده أمير المؤمنين الامام علي صلوات الله عليه، فقد تجاوزت حد الحصر و الاحصاء، و يكفي أن الحافظ الضابط عبدالعزيز بن الأخضر الجنازى وحده «قد نقل أشياء رائعة و فوائد فائقة، و آدابا نافعة، و فقرا ناصعة من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) مما رواه الامام محمد الجواد بن الامام علي الرضا عن آباءه عنه (عليه السلام)» [٢٥١]. و قد بلغ ما نقل عنه في ثلاثة و ثلاثين موضعا من المرويات عددا هائلا، يشتمل بعضها على حدة فقرات و عبارات من حكم و عبر و أمثال. و قد أثبتتها الأربلي جميعها نقلا عن كتاب الجنازى فحسب. [٢٥٢]. و فيها من النوادر التي لم يشتمل عليها نهج البلاغة. فاذا كان راو واحد من الرواة ينفرد بهذا العدد الضخم من مرويات الامام محمد الجواد (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فما بالك بمئات الرواة اذن!! و سأختار لا على التعيين بعض هذه المرويات مع التعقيب على بعضها. [صفحة ١٥٨] ١- روى الامام محمد الجواد (عليه السلام) عن أمير المؤمنين قائلان: «في كتاب علي بن أبي طالب (عليه السلام): ان ابن آدم أشبه شىء بالمعيار، اما راجع بعلم - و قال مرة - أو ناقص بجهل» [٢٥٣]. و في هذا تصريح أن الامام يروي هذا الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، و هو مدون في كتاب، و ذلك

دليل وراثته هذا الكتاب، أو أنه بحوزته على الأقل، و هو يروى عنه مباشرة دون واسطة، و عليه قول ابن طلحة الشافعي، (ت ٦٥٢ هـ): «ان الأئمة من أولاد علي كانوا يعرفون الجعفر رواية عن جدهم أمير المؤمنين» [٢٥٤]. و يؤكد صحة هذا الخبر «ما هو ثابت تاريخيا من التزام علي (عليه السلام) بتسجيل أخبار الغيب التي سمعها من النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) خلال امتداد عصر النبوة، و تدوين ذلك كله في (جعفر) احتفظ به عنده. و الجعفر جلد ولد الماعز، اذ لم يكن لديهم يومذاك ما يكتبون فيه غير الجلود» [٢٥٥]. بل هو و الرق - جلد الغزال، أفضل ما يكتبون فيه. ٢- و روى الامام محمد الجواد (عليه السلام) قائلا: «قال علي (عليه السلام) لأبي ذر (رضي الله عنه): [صفحة ١٥٩] انما غضبت لله عزوجل، فارح من غضبت له، ان القوم خافوك على دنياهم، و خفتهم على دينك. و الله لو كانت السماوات و الأرضون رتقا على عبد، ثم اتقى الله، لجعل الله له منها مخرجا، و لا يؤنسك الا الحق، و لا يوحسبك الا الباطل» [٢٥٦]. ٣- روى الامام محمد الجواد (عليه السلام) عن جده أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلا: «قال الى أمير المؤمنين رجل بالبصرة، فقال أخبرنا عن الاخوان!! فقال الاخوان: صنفان: اخوان الثقة، و اخوان المكاشرة. فأما اخوان الثقة فهم كالكف و الجناح، و الأهل، و المال. فاذا كنت من أخيك على ثقة فابذل مالك و يدك، و صاف من صافه و عاد من عاداه و اكتم سره و أعنه، و أظهر منه الحسن، و اعلم أيها السائل انهم أعز من الكبريت الأحمر. و أما اخوان المكاشرة، فانك تصيب منهم لذتك، فلا تقطن ذلك منهم، و لا- تطلبن ما وراء ذلك من ضميرهم، و ابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه و حلاوة اللسان» [٢٥٧]. و في اجابه الامام تقيم موضوعي دقيق لطرفي أصناف الناس في اخائهم و صداقتهم و تحليل فريد لتراجيدية الأحوال، و دراسة تصحيحية لأولاع البشر و مكونات الضمائر و السلوك بين القسمين. [صفحة ١٦٠] فالاخوان بحسب تصنيف أمير المؤمنين نوعان: اخوان الثقة و الصدق، و اخوان تطيب الخواطر و هز المشاعر دون صفاء النفس و صدق النية، و هم هكذا دائما و أبدا. فلا- يطلبن الانسان أكثر من هذا. و الاندماج معهم بقدره مما يظهر على الوجه من طلاقه، و على اللسان من حلاوة. أما أولئك النوادر من أصدقاء الشدة فعليهم المعول في الأزمات فهم بمنزلة الكف من اليد، و الجناح من الطائر، و هم بمقام الأهل في الشفقة، و هم كحساب المال في تلبية الاحتياج، و لهم الود الخالص في المصافاة و معاداة الأعداء و كتم الأسرار، و اظهار شمائل الحسن، على عزتهم و ندرتهم. ٤- روى الامام محمد الجواد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) كوكبة من الحكم و الشوارد و الأمثال لانارة درب السالكين، و استصلاح نوازع الخلق الانساني و دفعه الى الخير المطلق. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): و من وثق بالله أراه السرور، و من توكل عليه كفاه الأمر. و الثقة بالله حصن لا يتحصن فيه الا مؤمن أمين. و التوكل على الله نجاه من كل سوء، و حرز من كل عدو. و الدين عز، و العلم كثر، و الصمت نور. و غاية الزهد الورع. و لا هدم للدين مثل البدع، و لا أفسد للرجال مثل الطمع. و بالرأعي تصلح الرعية، و بالدعاء تصرف البلية. و من ركب مركب الصبر اهتدى الى مضمار النصر. [صفحة ١٦١] و من عاب عيب، و من شتم أجيب. و من غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى. [٢٥٨]. ٥- و في استطالة النعم و قرارها و فرارها، و في عظمتها لدى احتياج الناس، و في زوالها لعدم احتمال مؤنة الآخرين، و في اصطناع المعروف حين يكون أهله أحوج اليه من أهل حاجته، نضع أيدينا على ثلاثة أحاديث يرويها الامام عن جده أمير المؤمنين: الأول، قوله (عليه السلام): ان لله عبادا يخصصهم بالنعم، و يقرها فيهم ما بذلوها، فاذا منعوها نزعها عنهم و حولها الى غيرهم. الثاني، قوله (عليه السلام): ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت عليه مؤنة الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرض النعمة للزوال. الثالث، قوله (عليه السلام): «أهل المعروف الى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة اليه، لأن لهم أجره و فخره و ذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف، فانما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع الى نفسه من غيره» [٢٥٩]. ٦- و يزف البحث الى المتعظين و المعترين و ذوى الحجى، طائفة من شوارد و أوابد كلام امام البلغاء أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) فيما رواه عنه الامام محمد الجواد (عليه السلام): قال أمير المؤمنين: «العفاف زينة الفقر، و الشكر زينة الغنى، [صفحة ١٦٢] و الصبر زينة البلاء، و التواضع زينة الحسب، و الفصاحة زينة الكلام و العدل زينة الايمان، و السكينة زينة العبادة، و الحفظ زينة الرواية، و خفض الجناح زينة العلم، و حسن الأدب زينة العقل، و بسط الوجه زينة الخلق، و الايثار زينة الزهد، و بذل المجهود زينة النفس، و كثرة البكاء زينة الخوف، و

التقليل زينة القناعة، و ترك المن زينة المعروف، و الخشوع زينة الصلاة، و ترك ما لا يعنى زينة الورع» [٢٦٠]. ٧- و للامام على (عليه السلام) في توجيه النفس الانسانية، و رفع مستواها التفكيرى و العقلى، و استلهاهم عوالم التربية المثلى، و اعداد الفرد المسلم اعدادا يتناسب مع ثقل المسؤولية، و ذلك مما رواه الامام محمد الجواد (عليه السلام) قاصدا اليه، و مؤكدا عليه، عسى أن يهتدى به الناس في السلوك، و أن يجعلوه معيارا دقيقا في رصد مظاهر العفة و الكمال. قال الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): «حسب المرء من كمال المروءة، تركه ما لا يجمل به، و من حياته: أن لا يلقى أحدا بما يكره، و من عقله حسن رفقته، و من أدبه أن لا يترك ما لا بد له منه، و من عرفانه علمه بزمانه، و من ورعه غض بصره و عفة بطنه، و من حسن خلقه كفه أذاه، و من سخائه بره بمن يجب حقه عليه، و من اخراجه حق الله من ماله، و من اسلامه تركه ما لا يعنيه، و تجنبه الجدال و المراء في دينه، و من كرمه ايثاره على نفسه، و من صبره قلة شكواه، و من عقله انصافه من نفسه، و من حلمه تركه الغضب عند مخالفته، و من انصافه قبوله الحق اذا بان له، و من نصحه [صفحة ١٦٣] نهيه عما لا- يرضاه لنفسه، و من حفظه جوارك تركه توبيخك عند اسائكك مع علمه بعيوبك، و من رفقته تركه عدلك عند غضبك بحضوره من تكره، و من حسن صحبته لك اسقاطه عنك مؤنة أذاك، و من صداقته كثرة موافقته و قلة مخالفته، و من صلاحه شدة خوفه من ذنوبه، و من شكره معرفة احسان من أحسن اليه، و من تواضعه معرفته بقدره، و من حكمته عمله بنفسه، و من سلامته قلة حفظه لعيوب غيره، و عنايته باصلاح عيوبه»... [٢٦١]. ٨- و في لغة بلاغية بارعة، يضع أمير المؤمنين طائفة من الاشارات الموحية و الدلائل اللائحة للالتزام بمصادر الشرع المقدس، و استقراء تعليمات الاسلام، في نوادر منا لحكم و الأمثال السائرة، يرويها حفيده الامام محمد الجواد عنه: أ- العامل بالظلم، و المعين له، و الراضى به: شركاء!! ب- يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم. ج- لن يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يؤثر دينه على شهوته، و لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه. د- الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها. ه- لو سكت الجاهل ما اختلف الناس. و- مقتل الرجل بين لحييه، و الرأى مع الأناة، و بئس الظهير الرأى الفطير. [صفحة ١٦٤] ز- كفر النعمة داعية للمقت، و من جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك. ح- من أمل فاجرا كان أدنى عقوبته الحرمان. [٢٦٢]. ٩- و هناك ملحمة روائية عظيمة يرويها الامام محمد الجواد (عليه السلام)، عن آبائه متسلسلا عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فيها مدخرات الحياة العقلية في توجيه الانسانية تلقائيا الى ارتقاء مدارج الخلود، و بها من بناء الهيئة الاجتماعية ترسيخ أصول الحضارة، و عليها من نفع النبوة أرج العبير، و من شذا الامامة مسك التعبير، ملئت بالحقائق الجمّة، و ازدهرت بالعظات البليغة، و اشتملت على المثل العليا، و استوعب آداب الاسلام، و استقطبت كثيرا من شؤون الدين و الدنيا، فهي مرويات عن امام البلغاء على أمير المؤمنين (عليه السلام)، و كفى بذلك شاهدا ميدانيا على ما نقول؛ فقد أورد الشيخ الصدوق «قدس سره»، بسنده عن الامام العالم الأجل الموقر الثقة الثبت السيد عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى؛ قال: «قلت لأبى جعفر محمد بن على الرضا (عليه السلام): يا ابن رسول الله، حدثنى بحديث عن آباءك (عليهم السلام). فقال: حدثنى أبى عن جدى عن آباءه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فاذا استوتوا هلكوا. [صفحة ١٦٥] قال: فقلت له زدنى يا ابن رسول الله، قال: حدثنى أبى عن جدى عن آباءه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لو تكاشفتم ما تدافتم. قال: فقلت له: زدنى يا ابن رسول الله، قال: حدثنى أبى عن جدى عن آباءه، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): انكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه و حسن اللقاء، فأنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: انكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم. قال: فقلت له: زدنى يا ابن رسول الله، قال: حدثنى أبى عن جدى عن آباءه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): من عتب على الزمان طالت معتبته. فقلت له: زدنى يا ابن رسول الله، قال: حدثنى أبى عن جدى عن آباءه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار. قال: فقلت له: زدنى يا ابن رسول الله، قال: حدثنى أبى عن جدى عن آباءه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد. قال: فقلت له: زدنى يا ابن رسول الله، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): قيمة كل امرئ ما يحسنه. [صفحة ١٦٦] قال: فقلت

له: زدني يا ابن رسول الله، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): المرء مخبوء تحت لسانه. قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما هلك امرء عرف قدره. قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، قال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه (عليهم السلام): التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم. قال: فقلت زدني يا ابن رسول الله، قال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه (عليهم السلام) فقال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): من وثق بالزمان صرع. قال: فقلت زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): خاطر بنفسه من استغنى. قال: فقلت زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): قلّ العيال أحد اليسارين. قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: [صفحة ١٦٧] حدثني أبي عن جدي عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين: من دخله العجب هلك. قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين: من أيقن بالخلف جاد بالعطية. قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: حدثني أبي عن جدي عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): من رضى بالعافية ممن دونه، رزق السلامة ممن فوّه. قال فقلت له حسبي. [٢٦٣]. و أنت ترى هذا التسلسل في الرواية من الجواد عن أبيه عن جده عن آبائه عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو أرقى درجة اسناد في علم الرواية، و أرقى درجة مضمون في علم الدراية، و هو بعد كغيره مما سبقه من المرويات النابضة بالحركة و الحياة الحرة الكريمة، سيل متدافع الأمواج يغترف من ذلك البحر المحيط لأمير المؤمنين، و ما أورده الامام محمد الجواد (عليه السلام)، في هذه المرويات بسلسلتها الذهبية في الاسناد، و قوة مدليلها في الأداء و البيان، ليعد في أعلى مراتب الصدور، و أبهى حلل المتن في الحديث، مضامين و مفاهيم و توجيهها. [صفحة ١٦٨] و في ظل مرويات الامام محمد الجواد عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، يؤخذ بعين الاعتبار ما رواه عن أبيه الامام الرضا و جده الامام الكاظم، و ما روى عن الامامين الصادق و الباقر (عليه السلام) أجمعين، و كذلك ما رواه عن بقية الأئمة الطاهرين، و كل أولئك مما يشكل ثروة حضارية متجددة، و ثورة انسانية متطورة. و هكذا تراث أئمة أهل البيت (عليهم السلام): كنز من المعارف لا- يفنى، و معين من الثقافة لا- ينضب، و جده من العلوم لا تبلى. [صفحة ١٦٩]

الدور الريادي لتلامذة الامام في نشر تراثه الخالد

و كان تلامذة الامام محمد الجواد (عليه السلام) مزيجا ثقافيا في التلقى المعرفي بينه و بين أبيه في طائفة كثيرة، و وليدا حضاريا في الافادة منه و من ولده الامام الهادي (عليه السلام) في جمهرة منهم، و قد عكفوا - بجد و اخلاص - على رواية حديثه، و تدوين مروياته بما أبقى لنا ثروة تراثية لا نظير لها في الأصالة و العمق و الابداع. و كان نصيب هؤلاء الأفاضل من وراء هذا الجهد الخلاق: التوارى عن السلطة و الحذر من الطواغيت، و الحرب التي لا- هوادة فيها على جبهتين من النضال: منع الأرزاق و قطع الأعناق، و كفى فيهما حاجزا عن التقرب لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، و لكنها التضحية المرة في سبيل المبدأ و العقيدة. و في هذا الضوء لم يكن طريق هؤلاء البررة معبدا بالورود، اذن بل هو شائك و مخيف حقا، فلا يأمل أصحاب الأئمة من الحاكمين الا الذل و المطاردة، و لم يحصدوا جراء ذلك الا الارهاب الدموي، و الألم النفسى، فالرقابة الظالمة و الارصاد الأمنى، و الملاحقة الطائشة، و التشريد و الابعاد و التغريب، مفردات اعتيادية في معجم الاضطهاد السياسى لأولياء أهل البيت (عليهم السلام) و مبادئهم الانسانية. [صفحة ١٧٠] يقول الأستاذ باقر شريف القرشى دام عزه: «و الشيء الذى يدعو الى الاعتزاز بأصحاب الأئمة (عليهم السلام) هو أنهم قد جهدوا في ملازمة الأئمة و تدوين حديثهم فى وقت كان من أخطر الأوقات و أشدها حرجة، و أعظمها ضيقا، فقد ضربت الحكومات العباسية الحصار الشديد على الأئمة، و منعت من الاتصال بهم، لئلا- تتبعهم الجماهير الاسلامية، و قد بلغ من الضيق على العلماء الرواة أنهم كانوا لا يستطيعون أن يجهروا باسم أحد الأئمة الذين أخذوا الحديث عنه، و انما كانوا يلجئون اليه ببعض أوصافه و سماته من دون التصريح

باسمه خوفا من القتل و السجن» [٢٦٤]. و الظاهرة الجديرة بالذكر أن الأئمة السابقين من آباء الامام محمد الجواد (عليهم السلام) و من عهد الامام محمد الباقر (عليه السلام) حتى عهده الزاهر، قد مهدوا لمبادئ أهل البيت تركيزا مكثفا في بلورة الفكر الامامي من خلال تلامذتهم و أصحابهم و رواه حديثهم، حيث افترشوا مساحة كبرى في آفاق الدنيا دعاء و وكلاء و مبشرين، و لما آلت الامامة الى الامام محمد الجواد تضاعف هذا الزخم المتصاعد من التلامذة و الوكلاء في مغرب الدولة الاسلامية و وسطها و مشرقها، اذ كانت امامته حدثا عالميا جديدا قد اقترن في أبعاده بظاهرة الصبا، و هي ظاهرة غريبة على العالم الاسلامي، و قد اقترنت ظاهرة الصبا هذه بظاهرة التحدي، و كان هذا التحدي صامدا أمام تلك الاشاعات و الأراجيف، و حينما أثبتت الامامة المبكرة في تجاربها المذهلة صدق الدعوى، و أظهر الاختبار المتعدد صحة [صفحة ١٧١] المنصب الالهي، كان ذلك دعما لمبدأ أهل البيت في اناطة الامامة، فقد يعهد بها للصغير في عمره كما هي للكبير في منظور واحد، لكونها منحة ربانية غير خاضعة لمقاييس الحكم البشري، انطلاقا من قوله تعالى: (و آتينا الحكم صبيا) [٢٦٥]. و لما كانت النبوة هي التي شرعت منصب الامامة، كانت الامامة امتدادا شرعيا للنبوة، و كان الاحتجاج في الاثبات و المثبت هو عين الاحتجاج للنبوة من باب اولي باعتبار النبوة منصبا أعلى من الامامة. و كان لهذا الحدث تأثيره المباشر في التفاف الشعب المسلم الرسالي حول الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و مع أن عمره الشريف لم يمتد به زمنا طويلا بل اخترم في أول الشباب، فان الاندفاع الواعي وراء الامام قد بلغ ذروته في التفاعل، مما خلق طبقه من التلامذة و الأصحاب الأقرين قد امتازوا بالضبط و الجد في نشر تراثه في الآفاق، فكان لهم السبق المجلي في هذا المضمار. يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين دام علاه: «و قد رجع اليه - يعني الامام محمد الجواد - و أفاد منه الطلاب الدارسون، و الفقهاء الراغبون في الوقوف على اللباب الديني الأصيل، قرنا بعد قرن، و جيلا بعد جيل. و كلمة حق يجب أن تقال: «ان الفضل الأكبر في وقوف الأجيال التالية لعصر الامام على تراثه العظيم، و ما حمل من فكر و عطاء، انما يعود الى أولئك الرواة عنه، [صفحة ١٧٢] و المشافهين له الذين سمعوا منه ذلك، فحدثوا به، و أبلغوه الى من جاء بعدهم، فأنعموا علينا بالافادة منه و الاطلاع عليه، و الاهتداء بأنواره الدالة على سواء السبيل، و نخص منهم بالذكر أولئك الواعين الذين بادروا الى تدوين تلك أمالي و الأحاديث في كتب و مؤلفات تحفظها من الضياع، و تحميها من النسيان، و كان فيهم من بوب تلك الروايات بحسب مطالبها و موضوعاتها، و فيهم من جمع ما سمع في مجموعات أطلق عليها في فهارس ذلك العصر اسم (النوادر) أو (كتاب المسائل)» [٢٦٦]. و لك أن تقف مبهورا أو مغتبطا بوقت أوحد عند هؤلاء الباحثين الموضوعيين في جهودهم العلمية بعامه، و الفقهية بخاصه، اذ حدبوا على التقاط الشوارد و الأوابد من آراء الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و دونوا أمهات المسائل و النوادر من فتاواه و أقواله، فأبقوا لنا تراثا ضخما ما كان ليتسنى معرفته لولا حفظهم له في التدوين، و انكبابهم عليه في التأليف، و لئن فجعتنا حوادث الزمن بأغلب هذه الكتب، و نكبتنا ظروف الفتن الطائفية خاصة في العصر السلجوقي ببغداد في القرن الخامس الهجري، فذهب أعز تلك الآثار بين النهب و السلب، و تشتت القسم الأوفر منها بين التلف و الاحراق و الاغراق المعتمد، فان الله عزوجل قد عوضنا عن بعض أعيانها بالنقول عنها في كتب أخرى قدرت لها السلامة من تلك النوازل، و خلص لنا من هذا و ذاك ما قوم به الأود و الخلل، فشمطنا نصيب و ان لم يكن الأوفى من هذا التراث، و كان عليه المعول في الاستنباط و الفتوى. [صفحة ١٧٣] و لم تكن عدة هؤلاء المؤلفين - من ذوى الفضل الكبير و الأيادي المشكورة - قليلة، بل هي كثيرة في الاحصاء بما وقع لنا، اذا تجاوز عددهم العشرة بعد المائة من المصنفين. و قد أفرد لهم الأستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين مبحثا خاصا، اشتمل على جريدة بأسمائهم و أسماء مؤلفاتهم، و كانت عدتهم لديه (١٠٧) من أصحاب الكتب و المؤلفات، مع ذكره لأسماء كتبهم و مدوناتهم و المصنفات، معتمدا على ما حققه الرجالي المتخصص الشيخ عناية الله القهبائي في القرن الحادي عشر الهجري، من جمعه لرجال الكشي و ابن الغضائري و النجاشي و الشيخ الطوسي بما أسماه (مجمع الرجال) في سبعة أجزاء. كما رجع الى ما ذكره ابن النديم في الفهرست. [٢٦٧]. و قد بلغ مجموع هذه المصنفات المروية عن الامام محمد الجواد (عليه السلام) أو المتضمنة لرأيه و رأى آباءه، مئات الكتب الفريدة في دقتها و تخصصها، و للتدليل على مدى هذه الكثرة، و استيعاب المعارف

الانسانية، نضرب أنموذجا مثاليا بما حققه و أنجزه مؤلف واحد، و هو أبو جعفر، أحمد بن محمد خالد عبدالرحمن البرقي الكوفي (ت ٢٨٠ - ٢٧٤ هـ)، و قد عده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الامام محمد الجواد و من أصحاب الامام علي الهادي (عليه السلام) و قد امتد به العمر الى عصر الغيبة الصغرى، و معنى هذا أنه أدرك أربعة من أئمة أهل البيت هم الجواد و الهادي و العسكري و الحجة المنتظر (عليهم السلام). [صفحہ ١٧٤] و يبدو أن الرجل كان موسوعيا، فصنف في شتى العلوم كتبا كثيرة، تؤكد منها ما ذكره الشيخ القهبائي [٢٤٨] و أورده ابن النديم [٢٦٩] و فهرسه محمد حسن آل ياسين. [٢٧٠]. و قد بلغ مجموع ذلك عشرة و مائة من المؤلفات هي: كتاب الابلاغ / كتاب الأجناس و الحيوان / كتاب الاحتجاج / كتاب أحكام الأنبياء و الرسل / كتاب أخبار الأمم / كتاب اختلاف الحديث / كتاب أخص الأعمال / كتاب الاخوان / كتاب آداب المعاشرة / كتاب آداب النفس / كتاب الأركان / كتاب الأزهير / كتاب الأشكال و القرائن / كتاب أفاضل الأعمال / كتاب الأفانين / كتاب الامتحان / كتاب الأمثال / كتاب الأمم / كتاب الأوائل / كتاب الأوامر و الزواجر / كتاب بدء خلق ابليس و الجن / كتاب البلدان و المساحة / كتاب بنات النبي و أزواجه / كتاب التأريخ / كتاب التأويل / كتاب التبصرة / كتاب التبيان / كتاب التجمل / كتاب التخدير / كتاب التخويف / كتاب التراحم و التعاطف / كتاب الترغيب / كتاب التسليّة / كتاب التعازي / كتاب التعويض / كتاب التفسير / كتاب تفسير الأحاديث و أحكامها / كتاب التهاني / كتاب التهذيب / كتاب الثواب / كتاب ثواب القرآن / كتاب جداول الحكمة / كتاب الجمل / كتاب الجبوة / كتاب الحقائق / كتاب الحياة - و هو كتاب النور و الرحمة / كتاب الحيل / كتاب خلق السماء و الأرض / كتاب الدعاء / كتاب الدعابة و المزاح / كتاب الدواجن و الرواجن / كتاب ذكر [صفحہ ١٧٥] الكعبة / كتاب الرؤيا / كتاب الرياضة / كتاب الزجر و الفأل / كتاب الزهد و المواعظ / كتاب الزى / كتاب الزينة / كتاب السفر / كتاب الشعر و الشعراء / كتاب الشواهد من كتاب الله عزوجل / كتاب الشوم، كتاب الصفوة، كتاب صوم الأيام / كتاب الصيانة / كتاب الطب / كتاب طبقات الرجال / كتاب الطيب / كتاب الطيرة / كتاب العجائب / كتاب العقاب / كتاب العقل / كتاب العقوبات / كتاب العيافة و القيافة / كتاب العين / كتاب الغرائب / كتاب الفراسة / كتاب الفروق / كتاب فضل القرآن / كتاب الفهم / كتاب القريب / كتاب ما خاطب الله به خلقه / كتاب المآثر و الأنساب / كتاب المأكل / كتاب الماء / كتاب المحاسن / كتاب المحبوبات و المكروهات / كتاب مذام الأخلاق / كتاب مذام الأفعال / كتاب المرآشد / كتاب المرافق / كتاب المساجد الأربعة / كتاب المستحبات / كتاب مصابيح الظلم / كتاب المصالح / كتاب المعارض / كتاب المعاني و التحريف / كتاب المعيشة / كتاب مغازي النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) / كتاب مكارم الأخلاق / كتاب المكاسب / كتاب المنافع / كتاب المواهب، و الحظوظ / كتاب النجابه / كتاب النجوم / كتاب النحو / كتاب النساء / كتاب النوادر / كتاب الهداية. و يبدو أن البر في هذا المختار من مؤلفاته الهائلة، ليس موسوعيا فحسب بل من المغرقيين في الموسوعية بحيث اشتملت قائمة مصنّفاته على مفردات أغلب العلوم الانسانية و الصرفة، يضاف اليهما العلوم التكميلية لشتى المعارف. لقد ألف البرقي في علوم القرآن و التفسير و الحديث و الرواية و الرجال و الفقه و الأحكام و الكلام و الاحتجاج و العقائد و الفلك [صفحہ ١٧٦] و النجوم و الجغرافيا و الهندسة و الموازين، و الخلق و النشأة و البلدان و الخطط، و التأريخ و التراجم و السيرة، و علم النفس و علم الاجتماع و حياة الكائنات، و التهاني و التعازي، و التراحم التعاطف، و الترغيب و الترهيب، و التسليّة و التهذيب، و الأرض و السماء و العالم، و الحكمة و الرياضة و الفلسفة، و الزهد و القناعة، و المواعظ، و الأدب و الشعر و الشواهد، و الطب و الصيدلة و الصيانة و العيافة و القيافة و الزجر و الفأل، و الفراسة و الفروق، و الأنساب و الطبقات و المآثر، و المحاسن و المساوي و الأضداد، و الأكل و الشرب و المستحبات، و التعريض و الكناية و الرمز و المعاني و المغازي، و المكاسب و المنافع، و المواهب و الحظوظ، و النساء و النوادر و غير ذلك. هذا أنموذج رفيع لعالم موسوعي كتب و ألف و ناظر و حاور و نقب و حدث، و حاول و طاول، و أراد أن يلم بأشتات عوالم الفنون الشائعة بعصره، و أن يتمحض لها جميعا، ليقدم فيها دراسات تخصصية، قل، نظيرها، و عز أن تجتمع افاضاتها في رجل واحد من تلامذة الامامين الجواد و الهادي (عليهما السلام)، و كان سوق الوراقين رائجا في بغداد، و مهمته استنساخ الكتب، فهو يقوم بدور الطباعة اليوم، و طبعي أن هذه

المؤلفات قد تناولها الوراقون بالنسخ والتجليد، و قدموها بحفاوة الى القارئ المسلم، و من هنا ينطلق انتشارها، و هنا تكمن افادتها، فله در البرقي و أمره. فاذا تركنا جانب الموسوعية المترامية الأطراف، و وقفنا عند التخصص الدقيق عند تلامذة الامام محمد الجواد (عليه السلام)، لرأينا الحسين بن [صفحة ١٧٧] سعيد بن حماد الكوفي الأهوازي، و هو ثقة، قد وقع في اسناد كثير من الروايات تبلغ خمسة آلاف و عشرين موردا، كما ذكر ذلك سيدنا الأستاذ الخوئي. [٢٧١]. و قد روى عن الامام موسى بن جعفر، و أبي الحسن الامام علي بن موسى الرضا، و أبي جعفر الامام محمد الجواد (عليهم السلام). و قد ترك لنا كنزا علميا أصيلا، كان أغلبه في علم الفقه و فروعها، و مفرداته تسجل الأحكام في العبادات و المعاملات و كبريات مسائل الشريعة الغراء، مما شكل مدرسة تخصصية لا غنى الأساطين العلم من مراجعتها و مدارستها، و استنباط الأحكام من خلال الرجوع الى رواياتها في شتى مسائل الفقه في أبرز موضوعاتها المتسلسلة ابتداء بالعبادات و مروراً بالعقود و الحدود و الديات، و انتهاء بالمواريث. و اليك بعض نماذجها مرتبة على طريقة (الألفباء) كما سبق ذلك في كتب أحمد بن محمد البرقي: كتاب الأيمان و النذور و الكفارات / كتاب التجارات و الاجارات / كتاب الحج / كتاب الحدود / كتاب الخمس / كتاب الديات / كتاب الزكاة / كتاب الشهادات / كتاب الصلاة / كتاب الصوم / كتاب الصيد و الذبائح / كتاب الطلاق / كتاب العتق و التدبير و المكاتب / كتاب الفرائض / كتاب المكاسب / كتاب النكاح / كتاب الوصايا / كتاب الوضوء. و أمثالها. [٢٧٢]. [صفحة ١٧٨] فهذه ثمانية عشر أثرا علميا في موضوع الفقه وحده. و لم يكن ليهمل جوانب أخرى من الموضوعات الدائرة في فلك التفسير و العقائد و حقوق المؤمن، و الرد على الغلاة، و الزهد، و المزار و المروءة و التجمل، و المثالب، و المناقب، و الملاحم، و كان أهمها: كتاب تفسير القرآن / كتاب التقية / كتاب حقوق المؤمنين / كتاب الدعاء / كتاب الرد على الغلاة / كتاب الزهد / كتاب المؤمن / كتاب المثالب / كتاب المروءة و التجمل / كتاب المزار / كتاب الملاحم / كتاب المناقب / و سوى ذلك. [٢٧٣]. و على هذين الباحثين يقاس جملة من المؤلفين من تلامذة الامام محمد الجواد و أصحابه: أمثال علي بن مهزيار الذي ذكر له النجاشي و حده أربعة و ثلاثين كتابا في شتى الفنون و العلوم. [٢٧٤]. أما رواة حديث الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و خريجوا مدرسته العلمية فهم جمع كثير و جمهور غفير. و قد أحصى الأستاذ باقر شريف القرشي منهم مائة و اثنين و ثلاثين نفرا، ضمت تراجمهم كتب الرجال و فهارس التحقيق من أعلام الرواية و الجرح و التعديل. [٢٧٥]. و قد أحصى الشيخ العطاردي صاحب مسند الامام محمد الجواد (عليه السلام) مائة و واحدا و عشرين راويا من رواة أحاديث الامام (عليه السلام)، [صفحة ١٧٩] بما فيهم أصحابه و وكلاءه و خواصه الذي يمثلون طائفة من كبار الفقهاء، و وجوه الطالبين و الطالبات، و شعراء الامام، و من حضى بخدمة الامام في عصر أبيه الرضا (عليه السلام). بينما أحصى السيد محمد كاظم القزويني في كتابه (الامام الجواد من المهد الى اللحد) مائتين و خمسة و سبعين راويا من الرجال و النساء و الأصحاب بعنوان: أصحاب الامام الجواد [٢٧٦]. و هكذا نجد تلامذة و رواة الامام محمد الجواد الخاصين به في هذا الكم الجيد من الأعداد، و في ذلك الكيف المقبول لدى علماء الرواية، ذلك مع ملاحظة السلطات لهم و مطاردة أجهزة الأمن و الرصد لأشخاصهم، و مراقبة نشاطهم حتى العلمى منه، و مع ذلك كله، فقد ظهر لهؤلاء من الآثار ما بقي خالدا مع الزمن. و لم يكن هؤلاء الرجال من المناكير و لا المجاهيل ولا سواد الناس، بل كانوا في أغليتهم المطلقة من أهل العلم و رجال الصناعة، و لم يكونوا مغمورين بل هم الى الشهرة و المعرفة أقرب فأقرب، و قد عرض لترجمة كل منهم الأعلام من الرواة و المؤلفين و أصحاب الفهارس و رجال المعاجم، و جمهور المحدثين من الامامية، و علماء التصنيف و البيلوغرافيا، و لم يبخسوا كل ذي حق حقه، و كان أبرزهم في ذكرهم من نذكره: البرقي في الرجال / الكشي في الرجال / النجاشي في الرجال / الطوسي في الفهرست / ابن الغضائري في الضعفاء / الصفدي في الوافي [صفحة ١٨٠] بالوفيات / ابن النديم في الفهرست / الأربلي في كشف الغمة / ابن خلكان في وفيات الأعيان / ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة / سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص / الذهبي في سير أعلام النبلاء / اليافعي في مرآة الجنان / و الصباغ في الفصول المهمة / و المامقاني في تنقيح المقال / و المجلسي في بحار الأنوار / و القهبائي في مجمع الرجال / و اغا بزرك في الذريعة / و الأستاذ الخوئي في معجم رجال الحديث و سوى هؤلاء. و من رغب في

الاطلاع على أحوالهم و طبقاتهم في الحديث الوثيقة أو التعديل فلديه المتسع من الموارد هناك. [صفحہ ١٨١]

الألفاظ الجارية مجرى الأمثال في تراث الامام

و اتماما للبحث فإن طبيعته التراثية تقتضى أن نورد جزءا مما أفاد به الامام محمد الجواد (عليه السلام)، من حكم و وصايا، و مواظ و آداب، و شوارد و نوادر تجرى مجرى الأمثال في ألفاظها السائرة، باعتبارها شريحة من تراث الامامة. و غنى عن البيان أنها في ذورة البلاغة في الأداء البياني. و دقة العبارة في ايجاز القول، و كان اختيارنا لهذه الألفاظ من مصادرها الأولى يتحرى الاختصار المركز دون الاطناب الممل، و قد رتبها على طريقة الالفباء، جريا على عادتنا في مثل هذه الموارد ليسهل تناولها و ينتشر تداولها، و ينتظم عقدها في سلك ذهبي موصول الحلقات ببلغرافيا، فيلتقى البعد الفنى بالعبد الدينى باطار موحد، و من ثم يقترن الشكل بالمضمون في صورته الأدبية. و كانت مصادر هذه الشذرات المختارة، و مراجع ثبتها كتب التراث و الأدب و التراجم و السيرة و النوادر، التي عرضت لها، و انتشرت بين طياتها، و أبرزها: ابن شعبة / تحف العقول، الأربلي / كشف الغمة، اليافعي / مرآة الجنان، الأمير ورام / مجموعة ورام، ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة، الحر العاملي / وسائل الشيعة، ابن حجر / الصواعق المحرقة، الأمين الحسيني / أعيان الشيعة، هاشم معروف الحسني / سيرة الأئمة [صفحہ ١٨٢] الاثنى عشر، باقر شريف القرشي / حياة الامام الجواد، محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / و سواها. و كان دور البحث فيها الاختيار و التنظيم، و جهده ينصب بذلك في التنقيب عنها بهذا المصادر و المراجع و سواها، و الهدف منها توعية الجيل الرسالي بأفكارها، و اصلاح المجتمع الانساني بآثارها، فهي في المكان الرحب الأوسع من النصح و الارشاد و الاضاء، و حسبها أنها صدرت من بيت وحي النبوة و مهبط الرسالة. [صفحہ ١٨٣] (أ) - اظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له. - الأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة. - اتئذ تصب أو تكدر. - اياك و مصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره و يقبح أثره. - اذا نزل القضاء ضاق الفضاء. - اعلموا ان التقوى عز، و ان العلم كنز، و ان الصمت نور. - اصبر على ما تكره فيما يلزمك الحق و اصطر بما لا تحب فيما يدعوك الى الهوى. - أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة و الغنى و العلم و التوفيق. - أفضل العبادة الاخلاص. (ت) - تأخير التوبة اغترار، و طول التسويق حيرة، و الاعتلال على الله هلكة، و الاصرار على الذنب أمن لمكر الله، و لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون. - التحفظ على قدر الخوف. [صفحہ ١٨٤] (ث) - الثقة بالله تعالى ثمن لكل غال، و سلم لكل عال. - ثلاثة يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى: كثرة الاستغفار، و لين الجانب، و كثرة الصدقة. و ثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة، و لين الجانب، و التوكل على الله عند العزم. (ج) - الجمال في اللسان، و الكمال في العقل. (ح) - الحوائج تطلب بالرجاء، و هي تنزل بالقضاء. (ر) - راکب الشهوات لا تقال عثرته. (س) - السؤدد كل السؤدد لمن اتقى ربه. (ش) - الشريف كل الشريف من شرفه علمه. (ط) - الطمع على قدر النيل. [صفحہ ١٨٥] (ع) - عز المؤمن غناه عن الناس. - العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم. - العافية أحسن عطاء. (ق) - قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعا لما تهواه. (ك) - كيف يضيع من الله كافله، و كيف ينجو من الله طالبه. - كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة. (ل) - لا تعاد أحدا حتى تعرف الذي بينه و بين الله تعالى، فان كان محسنا فانه لا يسلمه اليك و ان كان مسيئا فان علمك به يكفيه فلا تعاده. - لا تكن وليا لله في العلانية، و عدوا له في السر. - لا يضرك سخط من رضاه الجور. - لا تعجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، و لا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم، و ارحموا ضعفاءكم و اطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم. (م) - من شهد أمرا فكرهه كان كمن غاب عنه، و من غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده. [صفحہ ١٨٦] - من أصغى الى ناطق فقد عبده، فان كان الناطق عن الله فقد عبد الله، و ان كان الناطق عن ابليس فقد عبد ابليس. - المؤمن يحتاج الى ثلاث خصال: توفيق من الله، و واعظ من نفسه، و قبول ممن ينصحه. - من انقطع الى غير الله و كله الله اليه، و من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح. - من أطاع هواه أعطى عدوه مناه. - من هجر المداراة قاربه المكروه. - من لم يعرف الموارد أعيته المصادر. - من انقاد الى الطمأنينة قبل الخبرة، فقد عرض نفسه للهلكة و العاقبة المتعبة. - من عتب من غير

ارتياب أعتب من غير استعتاب. - من لم يرض من أخيه بحسن النية لم يرض بالعطية. - من وعض أخاه سرا فقد زانه، و من وعظه علانية فقد شانه. - ما هدم الدين مثل البدع، و لا أزال الوقار مثل الطمع، و بالرأعي تصلح الرعية، و بالدعاء تصرف البلية. - ما استوى رجلان في حسب و دين الا كان أفضلهما عند الله أدبهما. - من شتم أجيب، و من تهور أجيب. [صفحة ١٨٧] - من طلب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبوراً. - من عمل بغير علم كان ما أفسد أكثر مما أصلح. - مقتل الرجل بين فكيه. - من أمل فاجرا كان أدنى عقوبته الحرمان. - ما شكر الله أحد على نعمه أنعمها عليه الا استوجب بذلك المزيد قبل أن يظهر على لسانه. - موت الانسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، و حياته بالبر أكثر من حياته بالعمر. - من استحس قبيحا كان شريكا فيه. - من أخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل. - من كتم همه سقم جسده. (ن) - نعمة لا تشكر سيئه لا تغفر. - الناس أشكال، و كل يعمل على شاكلته. - الناس اخوان، فمن كانت أخوته في غير ذات الله، فانها تعود عداوة، و ذلك قول الله عزوجل: - (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) [٢٧٧]. [صفحة ١٨٨] (ي) - يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم. و بهذه الألفاظ الجارية مجرى الأمثال من أقوال سيدنا و مولانا الامام محمد الجواد (عليه السلام) يكون مسك الختام لهذا الفصل من الكتاب. [صفحة ١٩١]

الامام محمد الجواد... فقاؤه

مسائل ذات أهمية خاصة

سبق القول أن الامام محمد الجواد (عليه السلام) أعلم الأمة في أحكام الشريعة و أفقه الناس في الدين، و قد أثبتت التجارب الاختبارية صدق هذا الملحظ بما لا يقبل الشك، و عاد واضحا في المناخ العلمي أسبقية الامام الى استنباط الأحكام من ينابيعها الأولى من دون الرجوع الى أساتيد أو شيوخ، فهو نسيج وحده باعتباره الوريث الشرعي لعلم هل البيت (عليهم السلام)، حتى قال سبط ابن الجوزي عنه: «كان على منهج أبيه في العلم و التقى و الزهد و الجود» [٢٧٨]. و مصادر التشريع عند الامامية: الكتاب و السنة و الاجماع و العقل، و لا يعيننا في هذا البحث الخوض في الاستدلال على صحة هذا المنهج و رصانته، فقد سبق القول فيه بما سبق من البحوث المخصصة له في هذه الموسوعة. [٢٧٩]. و الذي نود الإشارة اليه هنا أن السنة عند الامامية تشمل قول المعصوم و فعله و تقريره، و المعصوم عندهم يتحقق حصرا، بالنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام و الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم السلام) [صفحة ١٩٢] و الامام محمد الجواد (عليه السلام) هو الامام التاسع منهم، فقلوه و فعله و تقريره هو السنة بعينها. و هذا الحقل في حياة الامام محمد الجواد (عليه السلام) - على الرغم من موقف التأريخ الرسمي تجاهه - باب واسع مثلب، حفل باجابات الامام الشرعية، و الافصاح عن مشكلات أمهات المسائل الفقهية. و كان من وصل اليها في هذا الحقل قليل جدا بالنسبة لافاضات الامام و اطروحاته الفقهية المتنوعة، و قد حكم على تضييع هذا التراث علينا عاملان: ١- الرقابة الصارمة التي أحيط بها الامام الى درجة احصاء الأنفاس، مما ضيق على صدور ذلك حيناً، و اتلافه و مصادرتة حيناً آخر. ٢- الحقبة الزمنية التي صاحبت عمر الامام فما امتد به العمر، و لا اتسعت الحياة معه لأن تلقى تلك المعارف الالهية على طبيعتها الاعتيادية، فقد اخترمت باخترام عمره. و الحق ان معالم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في عصر الامام الجواد (عليه السلام) كانت قد ظهرت لوائحها المشرقة من خلال الجهود المضنية للأئمة منذ تأسيس قاعدتها الصلبة ببركاتهم، فالامام محمد الباقر و أياديه البيضاء في التعميق للفكر الامامي، و الامام جعفر بن محمد الصادق و زعامته لمدرسة أهل البيت، و الامام موسى بن جعفر و امداده المعرفي رغم السجون و المعتقلات، و الامام علي بن موسى الرضا بما أتيح له من محافل العلم العامرة، و دواوين الاحتجاج و المناظرة الحافلة، و ما انتشر من تلامذتهم في الأقاليم و بقاع الأرض، كان قد أرسى دعائم مدرسة أهل البيت على أسس ثابتة، و كانت متابعه الامام محمد [صفحة ١٩٣] الجواد لهذا البناء الأشم متابعه رائدة استوعبت الثغرات التي أحدثتها السياسة المعاصرة ضد هذا الكيان، و كان التشيع قد ضرب بأطنابه في مشارق الأرض و

مغاربها، و اتسعت دائرته لتشمل أغلب الديار الاسلامية، و كان علماء الطائفة و محدثوهم في الرعييل الأول المتقدم لنشر مبادئ أهل البيت سرا و علنا. و كان اهتمام الامام محمد الجواد (عليه السلام) منصبا على استثمار الجهود السابقة لآبائه، و تجسيدها على الواقع العملي، و كانت اجاباته الفقهية تؤكد على الأحكام في فروع العبادات و المعاملات مما يحتاج اليه الانسان لتعود أصلا شرعيا يرجع اليه، باعتباره أحد مصادر السنة الشريفة. الا أن هنالك واقعا يجب أن لا نغفله يتمثل في الضغوط التي منعت الأئمة من التعبير عن كل ما يجول بأذهانهم من أحكام الشريعة التي صادرت السياسية الظالمة جزءا كبيرا من حقائقها، بل التهمته التهاما حثيثا بشكل و آخر، حتى أوقعت المسلمين في مأساة من شؤونهم الدينية، فعطلت جملة من الأحكام وراء تعليقات سيرها الفقهاء الرسميون حتى اخترمت جملة و تفصيلا، و من ثم طال عليها الزمن فأوشكت على الاندثار من لائحة الأحكام الا عند طبقات محددة من الامامية ممن تمسكوا بذلك تبعا لائمتهم عليهم السلام. و في طليعة هذه الأحكام (الخمس) الذي صدع به كتاب الله قائلا: (و أعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل و ان كنتم آمنتم بالله و ما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان و الله على كل شيء قدير) [٢٨٠]. [صفحة ١٩٤] و الآية تصرح بفرض نسبة مالية تخرج من الأرباح (الغنائم) بقدر خمسها، و تتوسع كتب الفقه المتخصصة بأقسامه، و وجوبه، و مصارفه، و قد عبر عن تعريفه اصطلاحا. الفقيه الأ-كبر الشيخ محمد حسن النجفي بقوله: (و هو حق مالي، فرضه الله مالك الملك بالأصالة على عباده في مال مخصوص له و لبنى هاشم... عوض اكرامه اياهم بمنع الصدقة). و لا يعيننا الخوض في معنى (الغنائم) في دلالتها بقدر ما يعيننا أنها تخص الأرباح حربية و تجارية و سواهما كما عليه التحقيق. و الذي تؤكد عليه أن هذه الفريضة قد عطلت تماما في استخراجها من الأرباح، و في دفعها لبنى هاشم، كما جرت على ذلك السياسة المعاصرة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام). و قد مرت هذه الفريضة بأدوار حرجة نتيجة الفرض القاطع من الحكام لظاهرتها باعتبارها عاملا فاعلا كبيرا في دعم مرجعية أهل البيت و استمرار عملهم القيادي، فالخمس سهمان عند الامامية: سهم الامام و هو المتصرف فيه أو من ينيبه، و يقبضه المرجع الأعلى أو الفقيه الجامع للشرائط لصرفه على الفقراء و مصالح المؤمنين، و سهم السادة، و يصرف على فقراء بنى هاشم و أيتامهم و عوائلهم و تدبير شؤونهم. و لكن الأئمة لم يستطيعوا مواجهة هذا الرفض الصارم من كل الجهات، فسكنوا حقهم حيناً، و ألزموه أصحابهم سرا، متشددين على ذلك ما استطاعوا اليه سبيلا و قد بدأت المعركة في هذا المضمار منذ وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم)، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): [صفحة ١٩٥] «ان الله تعالى قبض نبيه (صلى الله عليه و آله و سلم)، و أنا يوم قبضه أولى بالناس منى بقميصي... و ان أول ما انتقصناه بعده ابطال حقنا في الخمس» [٢٨١]. و لكن أمير المؤمنين آثر ظلامته شخصيا و ظلامته بنى هاشم من أجل تلافى الفتن و الناس حديثو عهد بالاسلام، فأغضض عن حقه و آله صابرا و محتسبا، و قد منع أبوبكر بنى هاشم الخمس. [٢٨٢]. «و كان أبوبكر يقسم الخمس... غير أنه لم يكن يعطى قربي رسول الله ما كان النبي يعطيهم» [٢٨٣]. و قد أبى عمر بن الخطاب أن يعطى الخمس لبنى هاشم. [٢٨٤]. و حينما تولى أمير المؤمنين (عليه السلام)، الخلافة أبقى ما كان، و لم يغير شيئا كراهية الخلاف للشيخين، فقد روى أبو يوسف القاضي (ت ١٨٢ هـ) ما قاله محمد بن اسحاق لأبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام): «قال: قلت له: ما كان رأى على كرم الله وجهه في الخمس؟ قال: كان رأيه فيه رأى أهل بيته و لكنه كره أن يخالف أبابكر و عمر» [٢٨٥]. [صفحة ١٩٦] و عن محمد بن اسحاق أيضا، قال: «سألت أبا جعفر محمد بن علي، فقلت: على بن أبي طالب حيث ولى من أمر الناس ما ولى، كيف صنع في سهم ذوى القربى؟ قال: سلك به سبيل أبى بكر و عمر. قلت: و كيف و أنتم تقولون ما تقولون؟ فقال: ما كان أهله يصدرون الا عن رأيه!! قلت: فما منعه؟ قال: كره - و الله - أن يدعى عليه خلاف أبى بكر و عمر...» [٢٨٦]. و كانت نظرة أمير المؤمنين موضوعية في أبعادها كافة، «ليتأكد - الباحث - ان منعا مدروسا و صدا مدبرا كان وراء كف الامام على (عليه السلام) عن بحث مسألة الخمس ميدانيا سواء من خلال المطالبة، أو اظهار القبول و أخذه، و لا سيما أن الحالة آخذة بالتفاقم و الحدة، الأمر الذي يحتم ضرورة اللجوء الى الصبر و المسالمة ريثما تحين الفرصة للمطالبة بالحقوق» [٢٨٧]. و استمر منع الخمس على أشده في العصر الأموي، و سمح عمر بن عبدالعزيز باعطائه لبنى هاشم في

خلافته عام مائة من الهجرة فقد روى ابن سعد في الطبقات عن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: «أول ما قسمه عمر بن عبدالعزيز لمال بعث به اليها أهل [صفحة ١٩٧] البيت... فأصابنا أهل البيت ثلاثة آلاف دينار، و كتب لنا: انى ان بقيت لكم أعطيتكم جميع حقوقكم» [٢٨٨]. و فى الدولة العباسية منع ذلك جملة و تفصيلا الا فيما روى عن المأمون مع تشكيكنا فى صحته. و لكن الامام محمد الباقر (عليه السلام)، قد أفاض فى ذلك تمثالا- لرأى أمير المؤمنين، و تلقى ذلك الامامية و ساروا عليه سرا، و ذلك لتصريحه، جهارا «ان لنا الخمس فى كتاب الله» [٢٨٩]. و كذلك صنع الامام جعفر الصادق (عليه السلام)، فكان الخمس يعطى له مباشرة سرا أو بيد أحد من أصحابه الثقات، و لكن الحركة بالعمل بهذه الفريضة قد بدأ و لو من وراء حجاب كثيف. و هكذا الحال فى عصر الامام الكاظم (عليه السلام)، حيث كانت الرقابة صارمة و ان تنفست جزئيا فى عهد الامام الرضا نسيبا. حتى اذا تسلم الامام محمد الجواد (عليه السلام)، منصب الامامة الشرعية رأينا له دورا خاصا فى التأكيد على الخمس، و المطالبة به، و أبدى بذلك أطروحة لشيعته بما أوصاهم به، بما يعتبر به محررا لهذا الحكم من الاستثثار و الابتلاع و التعطيل، قال (عليه السلام): «و انما أوجبت عليهم الخمس فى سنتى هذه فى الذهب و الفضة التى قد حال عليهما الحول، و لم أوجب ذلك عليهم فى متاع، و لا آتية، و لا دواب، و لا خدم، و لا ربح ربوحه فى تجارة و لا ضيعة، الا فى ضيعة» [صفحة ١٩٨] سأفسر لك أمرها، تخفيفا منى عن موالى و منا منى عليهم لما يغتال السلطان من أموالهم، و لما ينبهم فى ذاتهم، فأما الغنائم و الفوائد فهى واجبة عليهم فى كل عام، قال تعالى: (و أعلموا أنما غنمتم من شىء فإن لله خمس و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله و ما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان و الله على كل شىء قدير) [٢٩٠]. فالغنائم و الفوائد يرحمك الله فهى الغنيمة يغنمها المرء، و الفائدة يفيدها، و الجائزة من الانسان للانسان التى لها خطر، و الميراث الذى لا يحتسب من غير أب أو ابن، و مثل عدو يصطلم فيؤخذ ماله، و مثل مال يؤخذ و لا- يعرف له صاحب، و ما صار الى موالى من أموال الخرمية الفسقة، فقد علمت أن أموالا عظاما صارت الى قوم من موالى، فمن كان عنده شىء من ذلك فليوصله الى وكيلى، و من كان نائبا بعيد الشقة فليعمد لايصاله بعد حين فان نية المرء خير من عمله...» [٢٩١]. و النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و أهل بيته (عليهم السلام) يفسرون الغنم: بالربح التجارى فى المعاملات و المتاجرة و أمثالها، و النقد، و الكنز، و المعادن، و ما يستخرج من الأرض و البحر، و المال المختلط حلاله بحرامه دون تمييز، و الزائد عن المؤنة السنوية. و سواء أحصل الربح فى حرب أو فى سلم، و المراد بالحرب هنا غنائم الحرب، أم فى الغنائم الأخرى أعلاه، و المبحث محرر فى كتاب الأحكام فتاوى و استدلاليا. [٢٩٢]. [صفحة ١٩٩] و فى زمن الغيبة تنحصر الأصناف فى الآية الى سهمين عند الامامية هما: سهم الامام و سهم السادة من بنى هاشم، يقول السيد السيستانى دام ظلله الشريف: «يقسم الخمس فى زماننا - زمان الغيبة - الى نصفين: نصف لامام العصر الحجة المنتظر - عجل الله تعالى فرجه و جعل أرواحنا فداءه - و نصف لبنى هاشم: أيتامهم، و مساكينهم و أبناء سبيلهم، و يشترط فى هذه الأصناف جميعا الايمان كما يعتبر الفقر فى الأيتام، و يكفى فى ابن السبيل الفقر فى بلد التسليم» [٢٩٣]. و يستخرج الخمس لدى تحقق الربح، و للمستخرج تأجيله الى رأس السنة التى جعلها بداية لأرباحه، فيستخرج ما زاد على مؤنته السنوية، و يستثنى احتياجاته الضرورية بحسب طبيعة منزلته فى المصارف الواجبة و الحقوق المستحبات كل بحسبه. و قد تحدث الفقهاء عن أهمية الخمس، و عرضوا للروايات التى تجعل مانعه فى عداد الظالمين و الغاصبين، و التشدد فى اعطائه، فما أيسر ما يدخل العبد النار بمنعه. جاء فى المستمسك: «و هو من الفرائض، و قد جعلها الله تعالى لمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم) و ذريته عوضا عن الزكاة اكراما لهم، و من منع منه درهما أو أقل كان مندرجا فى الظالمين لهم، و الغاصبين لحقهم، بل من كان مستحلا لذلك كان من الكافرين. ففى الخبر عن أبى بصير قال: قلت: لأبى جعفر (عليه السلام): ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ [صفحة ٢٠٠] قال (عليه السلام): من أكل من مال اليتيم درهما، و نحن اليتيم. و عن الامام الصادق (عليه السلام) ان الله لا اله الا هو حيث حرم علينا الصدقة، أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام، و الخمس لنا فريضة، و الكرامة لنا حلال. و عن أبى جعفر (عليه السلام): لا يحل لأحد أن يشتري من الخمس شيئا حتى يصل الينا حقنا. و عن أبى عبدالله (عليه السلام): لا يعذر عبد اشتري من

الخمس شيئاً أن يقول: يا رب اشترته بمالي!! حتى يأذن له أهل الخمس» [٢٩٤]. والذي نشير إليه هنا أن دفع الخمس كما مترزلاً بين المنع والخوف والحذر، فهو فريضة معطلة الا عند الواعين من أتباع أهل البيت (عليه السلام)، يؤدونها سرا بحسب الطاقة البشرية في التحمل والرقابة والتصفية. ومن خلال هذا الأفق الضيق في الشدة والرصد نجد دور الامام محمد الجواد (عليه السلام)، بارزا في ارساء هذا الأمر. فبادئ ذي بدء أباح لأولياته التصرف في أموالهم، والترفيه على أنفسهم ومن ثم يكون استخراج الخمس. كتب الامام محمد الجواد (عليه السلام) بخطه الى بعض أصحابه: (الخمس عبد المؤمنة) [٢٩٥]. ويرى البحث أن للامام محمد الجواد (عليه السلام) منه في ترسيخ هذا الأمر سواه في عنق كل امامي الى يوم القيامة، اذ ثبت مرتكزات التشيع على [صفحة ٢٠١] أساس رصين في كل مجال من مجالات الحياة، سيما في احياء هذه الفريضة المعطلة، لقد اعتقد أحمد بن محمد بن عيسى أن الامام في موجدة على زكريا بن آدم فدفع ذلك الامام قائلا- له: «يا أبا علي ليس علي مثل أبي يحيى يعجل!! و كان من خدمته لأبي (عليه السلام) و منزلته عنده و عندي من بعده، غير أني احتجت الى المال فلم يبعث. فقلت: جعلت فداك هو باعث اليك بالمال، و قال لي: ان وصلت اليه فأعلمه ان الذي يمنعي من بعث المال: اختلاف ميمون و مسافر. فقال: احمل كتابي اليه، و مره أن يبعث الي بالمال. فحملت كتابه الي زكريا فوجه اليه بالمال» [٢٩٦]. و دلالة هذا الحدث، أن الامام محمد الجواد (عليه السلام) كان يطالب أولياه ببعث الخمس اليه و يؤكد عليه، و قد يمتنع بعض أولياه من بعث المال اليه لأسباب خارجيه، فاذا زالت تلك الأسباب جرى الأمر على طبيعته. و كان الامام (عليه السلام) حينما يقبض الخمس قد يرسل صاحب المال بتسلمه للمال، كما عن ابراهيم بن محمد، قال عن الامام الجواد بعد دفع حسابه: «كتب الي قد وصل الحساب، تقبل الله منك، و رضى عنهم، و جعلهم معنا في الدنيا و الآخرة، و قد بعثت اليك من الدنانير بكذا، و من الكسوة بكذا، فبارك لك فيه و في جميع نعم الله اليك» [٢٩٧]. [صفحة ٢٠٢] فمضافا الى اشعاره بوصول الحساب، فقد دعا له و لأصحابه ممن دفعوا حق الله، و بعث اليه بدنانير و كسوة تكريما و كرما. و قد يستغل بعض أصحابه كرمه و سخاءه فيتجاوز بذلك حدود الأمانة، و يتعدى ما ينبغي له، فيتناول شيئاً من الحقوق المفروضة، و يستأذن بعضهم الامام أن يكون في حل منها فيكون الموقف محرجا، فالامام لا- يغتفر التجاوز، و لكنه لا يترك كرمه و طيبة النفس. فعن علي بن ابراهيم عن أبيه، قال: «كنت عند أبي جعفر الثاني (عليه السلام)، اذ دخل اليه صالح بن محمد بن سهل الهمداني، و كان يتولى له. فقال للامام: جعلت فداك؟ اجعلني من عشرة آلاف درهم في حل!! فاني أنفقتها!! فقال له أبو جعفر (عليه السلام): أنت في حل، فلما خرج صالح من عنده، قال أبو جعفر (عليه السلام): أحدهم يثب على مال آل محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) و فقرائهم و مساكينهم و أبناء سبيلهم فيأخذ ثم يقول: اجعلني في حل!! أتراه ظن بي أني أقول له لا- أفعل؟ و الله ليسألنهم يوم القيامة عن ذلك سؤالا حثيثا» [٢٩٨]. و قد جاهد الامام محمد الجواد (عليه السلام) في سبيل تعميق الوعي ازاء هذه الفريضة الملغاة (الخمس) من قبل الطواغيت و حكام الجور بحيث أغلقوا على آل رسول الله منافذ العيش الكريم بل الكفاف منه، و قد قام الامام (عليه السلام) بدوره الايجابي تجاه استخراج الخمس حتى آخر حياته. [صفحة ٢٠٣] فقد قال محمد بن الفرج: «كتب الي أبو جعفر (عليه السلام): احملوا الي الخمس فاني لست آخذه منكم سوى عامي هذا، فقبض (عليه السلام) في تلك السنة» [٢٩٩]. و كان من المحمودين عند الامام، عبدالعزيز بن المهتدي القمي الأشعري، و يبدو أنه أرسل حقا شرعيا في تفصيل في الموضوع. فكتب اليه الامام (عليه السلام): «قبضت و الحمد لله، و قد عرفت الوجوه التي صارت اليك منها، غفر لك و لهم الذنوب، و رحمتنا و اياكم» [٣٠٠]. و كانت خطوة الامام محمد الجواد (عليه السلام)، في هذا الملحظ جريئة جدا نظرا للرصد المطبق من جهة، و للضياع الشامل لأحكام الدين من جهة أخرى، و للتعثر في اعطائه هذا الحق من الموالين أحيانا، و لهذا حذب الامام مشفقا على انتشار هذه الفريضة من التعطيل و الجمود، و وهبها الحياة و الحركة، حتى روى أنه قال - بين التقرير للحقيقة و العتاب الجميل -: «ان موالى - أسأل الله صلاحهم - أو بعضهم قد قصرُوا فيما يجب عليهم، فعلمت ذلك، فأحببت أن أظهرهم و أزكيهم بما فعلت من أمر الخمس في عامي هذا»... [٣٠١]. و ينبغي أن يدرك جيدا أن الخمس من حقوق المنصب الالهى للامام، في حقه المفترض، و هذا ما يفسر لنا التأكيد على اخراجه، [صفحة ٢٠٤] و

السعي الحثيث على تحصيله، والاعتداد بمورده موضوعيا، فالمنصب في حاجة الى المال الانجاز مشاريع الامام في انعاش الفقراء و اعالة المحرومين و تيسير المصالح في هدف مزدوج. و هؤلاء الذين حرّموا من الصدقات و هم بنوهاشم لابد لهم من بديل، و لا بد لقائم على شؤون ذلك، و كان الخمس هو الحل المنطقي لاشكالية منع الزكاة عنهم، بايجاب الخمس لهم، و ذلك مقتضى العدل الالهى في ضمان حياة المسلمين أجمعين. هذه التداعيات المتشابكة و ضرورتها الملحة هي التي تفسر لنا حالة التشدد و الاصرار على استخراج الخمس و التأكيد عليه من قبل الامام محمد الجواد (عليه السلام) تبعا لآبائه (عليهم السلام)، حتى أصبح اغتصابه علة لكثير من الظواهر المحرمة في الاسلام، ففي صحيحة ضريس الكناسي: قال أبو عبدالله (عليه السلام): «أتدرى من أين دخل على الناس الزنا؟ فقلت: لا- أدرى!! فقال: من قبل خمسننا أهل البيت، الا لشيعتنا الأتبيين، فانهم محلل لهم و لميلادهم» [٣٠٢]. و التحليل هنا محمول على الجوارى اللاتي استولى عليها السلطان، و هو ليس من الخلافة الشرعية في شىء، فشاء الامام أن يتنازل عن حقه ذاك في هذا الجانب من أجل الطيبين من شيعة لا أنه اسقط الخمس عنهم، لما رأينا من تشددهم في هذا الملحظ كما تشير الى ذلك الروايات. [٣٠٣]. [صفحة ٢٠٥] و لم يكن نشاط الامام محمد الجواد الفقهي مقتصر على هذا الوجه، بل تعداه الى جملة من الفروع و الأحكام فيما يتلى به المؤمنون، و من ذلك أحكام الصلاة، و الحج، و النذر، و الكفارات، و الوقف مشكلاته، الشفعة، و الزواج، و الميراث، و سواها. [٣٠٤]. [صفحة ٢٠٧]

يحيى بن أكنم في مسألة الامام

و حياة أئمة أهل البيت مع الفقهاء الرسميين ذات أبعاد تاريخية شائكة، تمتد جذورها الى بعد عصر الرسالة مباشرة، فقد تصدر للافتاء و الرواية و الحديث نفر ممن ادعى الصحبة، فكثر الكذب على رسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و تمادى الانتحال، و ظهرت على الأفق أحاديث مفتعلة تتعارض مع صريح القرآن، فكان هذا المناخ الجديد بديلا عن مرجعية أهل البيت (عليهم السلام)، و الامام على قد يشاور حيناً، و لكنه لا يستفتى أحيانا كثيرة، و قد يقرب فترة، و لكنه يستبعد فترات أخرى، و كانت الاسرائيليات تغزو المجتمع المدني شاء ذلك أو أبأ، و تصدر جيل من اليهود ممن أظهروا الاسلام لقضايا المسلمين التشريعية، فكان كعب الأخبار، و وهب بن منبه، و أمثالهما ممن أدخلوا على الاسلام ما ليس منه. حتى اذا استولى الأمويون على الحكم اتخذوا بطانة من وعاظ السلاطين يبرمجون التشريع و علم الكلام وفق رغبات النظام الحاكم، و استبعد الأئمة (عليهم السلام) استبعادا تاما على المستوى الرسمي و ان تغلغل نفوذهم الجماهيري في المستوى الشعبي، و لكنه بسرية و كتمان شديدتين، و مع هذا فقد ذهب الكثير ضحايا لمجرد انتسابهم للتشيع، و حرف كثير من مفاهيم الاسلام نتيجة الزيغ عن مرجعية أهل البيت، و قرب الموضوعون فدست أحاديث لم ينطق بها النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و رويت أخبار ما أنزل الله بها من سلطان، و وضعت فضائل و مناقب للأمويين = [صفحة ٢٠٨] بألسنة هؤلاء الكذبة، حتى اذا جاء الحكم العباسي كان الانحراف عن الصراط واضحا، و نفوذ فقهاء البلاط قويا، و الدولة تنعم عليهم بالأعطيات و الجرايات، و الجوائز و الهبات، حتى استفحل الداء العياء، و عمت البلوى، و اتسعت الاشكالات المعقدة بما فاض به الاناء و تمادت السياسة بغيها و انحرافها عن النهج الاسلامي، فقيدت الأفكار و الآراء، و دعت الى تعطيل الأحكام و تجميد النظر الشرعي، فألغت عملية الاستنباط من أدلتها التفصيلية و أغلقت باب الاجتهاد. و لم يقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من هذا الاعتداء السافر موقف المتفرج و اللامبالاة، و لكنهم جدوا و شمروا عن ساعد النضال العلمي في أطاريح جديدة شملت الدعاة و المبلغين و التلامذة و الأصحاب، و هم يمدونهم بالعلم الخالص المستند الى الكتاب و السنة، و أمروا بتقييد العلم، و تدوين الحديث، و ضبط الرواية، و أسسوا عملية الاجتهاد بالرجوع الى الأصول التي شرعوها، و القواعد التي ثبتوها و عملوا جاهدين الى برمجة التعدد في التخصص، فكان الرواة و المحدثون، و أهل الكلام، و مفسرو القرآن، و رجال الفقه، و علماء التشريع، عدا مجالات العلوم الانسانية بعامه، فكانت الحركة الفكرية دائبة في الحياة، تواكب الزمن، و تستقطب الأجيال، و كان الدور التأسيسي للامامين محمد الباقر و ولده جعفر

الصادق (عليه السلام) ذا عمق أصيل في ترسيخ دعائم هذا المنهج، و تسلم ذلك من بعدهم الامام الكاظم و الامام الرضا و الامام الجواد (عليهم السلام)، فكانت الجهود العلمية المركزة حائلا دون مبادرات الحاكمين في شل التوجه التشريعي، و الغاء العقل الانساني، و سيادة [صفحہ ٢٠٩] الهوى و الرأى الاستحسانى دون مستند دينى أو رسالى، و بذلك بدأ الصراع على أشده بين دعاة الجمود لأغراض سياسية، و بين قادة الوعى المعرفى على أساس دينى لا-ريب فيه. و فى ظل هذه المفارقات و تحت الضغوط السياسية الحرجة، تسلم الامام محمد الجواد (عليه السلام) منصب الامامة الشرعية - بما أوضحنا آنفا - ما عرض له من الاستفزاز و التشكيك و الاختبار الميدانى، و لكن الامام محمد الجواد بما أوتى من التسديد الالهى، و بما امتلك من خصائص و مواهب و قابليات، شق طريقه بثبات و صلابة و إيمان. و حينما عزم المأمون على تزويجه من ابنته أم الفضل كبر ذلك على بنى العباس، و طلبوا للمأمون أن يمهل الامام حتى يتفقه فى الدين على حد زعمهم، فقال لهم: «و يحكم أنا اعرف بهذا الفتى منكم، و ان هذا من أهل بيت علمهم من الله، و مواده و الهامه، لم يزل آباؤه أغنياء فى علم الدين و الأدب عن الرعايات الناقصة عن حد الكمال!! فان شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله!! قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين و لأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا و بينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شىء من فقه الشريعة!! فان أصاب الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض فى أمره، و ظهر للخاصة و العامة سديد رأى أمير المؤمنين، و ان عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب فى معناه، فقال لهم المأمون: شأنكم ذلك و متى أردتم. [صفحہ ٢١٠] فخرجوا من عنده، و اجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكنم، و هو قاضى الزمان أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، و وعدوه بأموال نفسية على ذلك!! و عادوا الى المأمون، فسألوه أن يختار لهم يوما للاجتماع، فأجابهم الى ذلك، فاجتمعوا فى اليوم الذى اتفقوا عليه و حضر معهم يحيى بن أكنم فأمر المأمون أن يفرش لأبى جعفر (عليه السلام) دست و يجعل فيه مسورتان ففعل ذلك، و خرج أبو جعفر (عليه السلام) و هو يومئذ ابن تسع سنين و أشهر فجلس بين المسورتين، و جلس يحيى بن أكنم بين يديه، و قام الناس فى مراتبهم، و المأمون جالس فى دست متصل بدست أبى جعفر (عليه السلام). فقال له المأمون: استأذنه فى ذلك. فأقبل عليه يحيى بن أكنم فقال: أتأذن لى جعلت فداك فى مسألة؟ فقال له أبو جعفر (عليه السلام): سل ان شئت. قال يحيى: ما تقول - جعلنى الله فداك - فى محرم قتل صيدا؟ فقال له أبو جعفر (عليه السلام): قتله فى حل أو حرم؟ عالما كان المحرم أم جاهلا؟ قتله عمدا أو خطأ؟ حرا كان المحرم أم عبدا؟ صغيرا كان أم كبيرا؟ [صفحہ ٢١١] مبتدئا بالقتل أم معيدا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم من كبارها؟ مصرا عيل ما فعل أم نادما؟ فى الليل كان قتله للصيد أم نهارا؟ محرما كان بالعمرة اذ قتله أو بالحج كان محرما؟ فتحير يحيى بن أكنم و بان فى وجه العجز و الانقطاع، و لجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة و التوفيق لى فى الرأى. ثم نظر الى أهل بيته و قال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ فلما تفرق الناس و بقى من الخاصة من بقى، قال المأمون لأبى جعفر (عليه السلام): ان رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد؟ لنعلمه و نستفيده. فقال أبو جعفر (عليه السلام): نعم. ان المحرم اذا قتل صيدا فى الحل و كان الصيد من ذوات الطير، و كان من كبارها فعليه شاة، فان أصابه فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفا، فاذا قتل فرخا فى الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، و اذا قتله فى الحرم فعليه الحمل [صفحہ ٢١٢] و قيمة الفرخ، فان كان من الوحش، و كان حمار وحش فعليه بقرة و ان كان نعامه فعليه بدنة، و ان كان ظيبا فعليه شاة، فان قتل شيئا من ذلك فى الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبه، و اذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه، و كان احرامه بالحج نحره بمنى، و ان كان احرامه بالعمرة نحره بمكة، و جزاء الصيد على العالم و الجاهل سواء، و فى العمدة له المأثم، و هو موضوع عنه فى الخطأ، و الكفارة على الحر فى نفسه، و على السيد فى عبده، و الصغير لا كفارة عليه، و هى على الكبير واجبة، و النادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، و المصر يجب عليه العقاب فى الآخرة. فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله اليك، فان رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام) ليحيى: أسألك؟ قال يحيى: ذلك اليك جعلت فداك، فان عرفت جواب ما تسألنى عنه و الا استفدته منك!! فقال له أبو جعفر (عليه السلام): أخبرنى عن رجل نظر الى امرأة فى أول النهار، فكان نظره

اليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه فما طلع الفجر حلت له. ما حال هذه المرأة؟ وماذا حلت له و حرمت عليه؟ [صفحة ٢١٣] فقال له يحيى بن أكنم: والله ما اهتدى الى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فان رأيت أن تفيدناه؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): هذه أمة لرجل من الناس نظر اليها أجنبي في أول النهار فكان نظره اليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهر فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له. قال: فأقبل المأمون على من حضرت من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن المسألة بمثل هذا الجواب؟ أو يطرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله ان أمير المؤمنين أعلم بما رأى. فقال لهم المأمون: ويحكم ان أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل و ان صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) و هو ابن عشر سنين؟ و قبل منه الاسلام و حكم له به، و لم يدع أحدا في سنه غيره؟ و بايع الحسن و الحسين (عليهما السلام)، و هما ابنا ست سنين؟ و لم يبايع صبيا غيرهما. أفلا تعلمون الآن ما اختص به هؤلاء القوم؟ [صفحة ٢١٤] و انهم ذرية طيبة بعضها من بعض، يجرى لآخرهم ما يجرى لأولهم؟ قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم. [٣٠٥]. و أنت ترى الامام محمد الجواد (عليه السلام) كيف فرع هذه المسألة و كيف صنفها؟ و كيف بوبها؟ بما أذهل السائل!! ثم كيف أجاب عنها جوابا تفصيليا حافلا بالجزئيات الضرورية التي تغطي الموضوع من جوانبه كلها. و كذلك صنع الامام (عليه السلام) حينما سأل ابن أكنم سؤال محيرا لم يصل الى جوابه، بل و لم يستوعب أبعاده، مما كشف عن قصوره بين يدي المأمون، و من ثم تولى الامام الجواب، فلم يدع فيه قولا لقاتل. و هكذا نجد فقاؤه الامام منفتحة على المبتكر الأصيل من الفروع الفقهية تتحرى الأهم، و تستوحى الأفضل. [صفحة ٢١٥]

الامام و فقهاء عصره في بلاط المعتصم

و لم يكن الامام بمنأى عن حياة البلاط الفعلية، فقد يرسل عليه في حالات معينة، و قد يسأل في لحظات حرجه، و قد يطلب اليه الرأي و لايت حين مناص، فيكون له القول الفصل. و في أغلب أن منشأ هذا التوجه ليس الاعتزاز بالامام، و لا الحرص على اشاعة علمه، و لكنه الادراك بأن للامام الافتاء بما يوافق الكتاب و السنة شاءوا أم أبوا، رضوا أم سخطوا، لأن البلاط في رجاله و على رأسهم الخلفية يعلمون علما يقينا بأن الامام يغترف من ذلك البحر الذي لا ينضب الصادر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فكانت الضرورة التي تغطي على فشلهم أن يستجدوا بالامام لدى المهمات الصعبة، و لعل من الطريف حقا أن كل مسألة مهما كانت يسيرة الفهم و الجواب تجد صعوبة في تداركها و حلها في بلاط العباسيين، لأنهم لن يخلقوا لهذا، و لم يستضيئوا بنور العلم و الايمان. و من الشواهد على هذا الملحظ ما أورد العياشي عن زرقان، و هو أبو جعفر الزيات، صاحب ابن أبي دؤاد القاضي، قال: «رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم، و هو مغتم!! فقلت له في ذلك فقال: و ددت اليوم أنى قدم منذ عشرين سنة!! قلت له: و لم ذاك؟ [صفحة ٢١٦] قال: لما كان من هذا الأسود أبي جعفر محمد بن علي موسى اليوم بين يدي المعتصم!! قلت له: و كيف ذلك؟ قال: ان سارقا أقرأ على نفسه بالسرقة، و سأل الخليفة تطهيره باقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه و قد أحضر محمد بن علي، فسألنا عن القطع!! في أي موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت من الكرسوع!! قال: و ما الحجته في ذلك؟ قلت: لأن اليد هي الأصابع و الكف الى الكرسوع، لقوله في التيمم: (فامسحوا بوجوهكم و أيديكم) [٣٠٦]. و اتفق معي في ذلك قوم. و قال آخرون: بل يجب القطع من المرفق!! قال: و ما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لما قال: (و أيديكم الى المرافق) [٣٠٧]. في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق. قال: فالتفت الى محمد بن علي فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين. [

صفحة ٢١٧] قال: دعني مما تكلموا به!! أى شىء عندك؟ قال: اعفني من هذا يا أمير المؤمنين. قال: أقسم عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه. فقال: أما إذا أقسمت على بالله؛ انى أقول انهم أخطأوا فى السنه، فان القطع يجب أن يكون من مفصل أصابع فيترك الكف. قال: و ما الحجبه فى ذلك؟ قال: قول رسول الله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين. فاذا قطعت يده الى الكر سوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، و قال تبارك و تعالى: (و أن المساجد لله...) [٣٠٨]. يعنى به هذه الأعضاء السبعة التى يسجد عليها: (فلا تدعوا مع الله أحدا) [٣٠٩]. و ما كان لله لم يقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك، و أمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف. قال أبى دؤاد، فقامت قيامتى و تمنيت أنى لم أك حيا!! قال زرقان: قال ابن أبى دؤاد: [صفحة ٢١٨] صرت الى المعتصم بعد ثلاثة، فقلت: ان نصيحة أمير المؤمنين على واجبه، و أنا أكلمه بما أعلم أنى أدخل به النار!! قال: و ما هو؟ قلت اذا جمع أمير المؤمنين فى مجلسه فقهاء رعيتيه و علماءهم لأمر واقع فى أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم فى ذلك، و قد حضرت مجلسه أهل بيته و قواده، و كتابه. و قد تسمع الناس بذلك من وراء و بابه!! ثم يترك أقاويلهم كلهم لرجل يقول شطر هذه الأمه بامامته، و يدعون أنه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟ قال: فتغير لونه، و انتبه لما نبهته له، و قال: جزاك الله على نصيحتك خيرا!! قال: فأمر اليوم الرابع فلانا من كتاب وزرائه بأن يدعوه الى منزله فدعاه فأبى أن يجيبه. فقال: انما أدعوك الى طعام، و أحب أن تطأ ثيابى، و تدخل منزلى، فأترك بذلك، فقد أحب فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاء ك فصار اليه، فلما طعم فيها أحسن السم فدعا بدابته، فسأله رب المنزل أن يقيم، فقال: خروجى من دارك خير لك!! [٣١٠]. [صفحة ٢١٩] ان ما استند اليه الامام محمد الجواد (عليه السلام) فى حدود قطع اليد كان نابعا من القرآن الكريم و السنه النبويه، و بذلك أفحم الخصم، و أقام الدليل و الحجبه. و أعجب ذلك المعتصم مضطرا، و ان جر هذا الأمر على الامام البلاء من قبل القاضى أبو دؤاد، و هو أمر متوقع بين فقهاء البلاط العباسى، و لك أن تعجب من نصيحتته للمعتصم بأمر يدخل به النار كما يقرر نفسه ذلك. [صفحة ٢٢١]

علل الأحكام عند الامام

و ولج الامام محمد الجواد باب بيان علل الأحكام، و فيه الحكم الفقهي و علته ذلك الحكم، و كان الامام قاصدا الى ذلك لتبديد تلك السحب الكثيفه التى تلبدت فى الأفق السياسى من قبل الحكم العباسى و وعاظ السلاطين، و شرائح كبيره من الموالين للنظام على حد سواء. لقد أثيرت فى طريق الامام عدّه شبهات مضلله كان أقربها الى أذهان السذج و البسطاء من الناس هى مسأله حداثه السن و صغر العمر، و قد شاء الحكم اللعب بهذه الورقه فما استطاع الى ذلك سبيلا. و على الرغم من أن الامام قد برهن ميدانيا على امامته فى تلك السن المبكره من خلال اجاباته العلميه، و الفقيهيه. و العقائديه. و التفسيريه. و الفلسفيه، فأن هذه الشبهه تثار فى الوسط الرسمى بين الآونه و الأخرى، لسبب و آخر. قال الراوى: قلت لأبى جعفر (عليه السلام): انهم يقولون فى حداثه سنك!! فقال: «أن الله تعالى أوحى الى دواد أن يستخلف سليمان و هو صبى يرعى الغنم، فأنكر ذلك عباد بنى اسرائيل و علماءهم!! فأوحى الله الى داود (عليه السلام): أن خذ عصى المتكلمين و عصا سليمان، و اجعلها فى بيت و اختم عليها بخواتيم القوم، فاذا كان من الغد، فمن كانت عصاه [صفحة ٢٢٢] قد أورقت و أثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داود (عليه السلام)، فقالوا: قد رضينا و سلمنا. [٣١١]. و فى نص آخر، قال الراوى للامام محمد الجواد (عليه السلام): يا سيدى ان الناس ينكرون عليك حداثه سنك!! فقال: و ما ينكرون من ذلك، قول الله عزوجل؟ لقد قال عزوجل لنبيه: (قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيره أنا و من اتبعنى...) [٣١٢]. فو الله ما تبعه الا على (عليه السلام)، و له تسع سنين، و أنا ابن تسع سنين» [٣١٣]. و أنت تجد الامام (عليه السلام) فى هاتين الروايتين ينطلق تكوينيا و تشريعا بوقت واحد لرد هذه الشبهه باستخلاف سليمان من قبل داود بأمر الله تعالى، و سليمان صبى يرعى الغنم، فأقام له الحجبه حتى رضوا و سلموا. و من ثم يعطف الامام على هذا اتباع على (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و عمره تسع سنين، و قبل منه

ذلك الاتباع، و عمر الجواد آنذاك تسع سنين أيضا، فهذه كتلك. هذا كله فضلا عن الاختبار الدقيق الذي أسفر عن تقدم الامام العلمى فى الأسئلة المعمقة من قبل أوليائه و أعدائه، فانجلى عنها ألق الجبين بما سخره من براهين و أدلة و حجج و افاضات لا تتأتى الا لعلماء الأمة الأفاضل. [صفحہ ٢٢٣] و فى هذا المجال نجد الامام (عليه السلام) مفيضا بجملة من علل الأحكام الشرعية على قدر بما يرفع فيه هذه الشبهة على الأقل من جهة، و بما يعزز الملحظ التشريعى القائم على أساس من الحكمة و مصلحة البشر. و قد يسأل الامام سؤالاً - فقهيًا و لا يراد منه الا الافتاء به، و لكنه - (عليه السلام) - يفتى به، و يعلل فى الموضوع، فبيّن علّة الحكم و سببه، لعلمه أن ما يفتى به سوف ينتشر بين الناس، و الناس يختلفون فى مدى استيعابهم للإجابة، فبعضهم يغنيه التلميح عن التصريح، و بعضهم يكتفى بالايجاز و الاختصار، و بعضهم يريد الا طالة و الاسهاب. و لم يكن الامام ليخل بالعتاء فيفيض من علمه ما يليى رغبات الجميع، كما شاهدنا هذا فى اجاباته ليحيى بن أكرم و سواه. و الامام فى عطائه الثر هذا ينظر الى عدة توجهات أساسية، فقد جرد العباسيون من فقهاء العصر أداء يراد منها تعجيز الامام، فما أفلحوا بذلك قط، بل كان الأمر عكسيا اذا انقلب السحر على الساحر، ففلقوا بالحجة و المنطق. و فشلت مسألة العمر، و كانت اجاباته العلمية دليلا على امامته، و ادعوا فيما زعموا أن لا خبرة للامام فقهيًا و كان الرد حاسما، و التطلعات المولوية فى افاداته الفقهية عتيده حاضرة، ذلك كله بما أصابهم جراء تواتره و توافره بالهلع حينًا، و بالحسد حينًا آخر.

«قال المأمون ليحيى بن أكرم: اطرح على أبى جعفر محمد بن على الرضا (عليه السلام) مسألة تقطعه فيها!!» [صفحہ ٢٢٤] فقال يحيى بن أكرم للامام: يا أباجعفر: ما تقول فى رجل نكح امرأة على زنا؟ أيحل أن يتزوجها؟ فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): يدعها حتى يتسبرئها من نطفته و نطفة غيره، اذ لا يؤمن منها أن تكون قد أحدثت مع غيره حدثا كما أحدثت معه، ثم يتزوج بها ان أراد، فانما مثلها مثل النخلة أكل رجل منها حراما ثم اشتراها، فأكل منها حلالا». فانقطع يحيى. [٣١٤]. و كانت هذه الاجابات ضرورية لاثارة الوعى و تمكين السائل من استيعاب فلسفة الحكم الشرعى، و نشر رأى أهل البيت. و للامام (عليه السلام) فى هذا الجانب مجالات عديدة. روى أن محمد بن سليمان سأله عن العلة فى جعل عدة المطلقة ثلاثة قروء، بينما عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر و عشرة أيام، فأجاب الامام: أما عدة المطلقة ثلاثة قروء، فلاستبراء الرحم من الولد، و أما عدة المتوفى عنها زوجها، فان الله تعالى شرط للنساء شرطا، و شرط عليهن شرطا، فلم يحابهن فيما شرط لهن، و لم يجر فيما اشترط عليهن. [صفحہ ٢٢٥] أما ما شرط لهن فى الايلاء... أربعة أشهر، اذ يقول الله عزوجل: (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر...) [٣١٥]. فلم يجوز لأحد أكثر من أربعة أشهر فى الايلاء، لعلمه تبارك اسمه أنه غاية صبر المرأة عن الرجل. و أما ما شرط عليهن فانه أمرها أن تعتد اذا مات زوجها أربعة أشهر و عشرا، فأخذ منها له عند موته ما أخذ لها منه فى حياته عند الايلاء، قال الله عزوجل: (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر و عشرا)... [٣١٦]. و لم يذكر العشرة أيام فى العدة الا مع الأربعة أشهر فى ترك الجماع، فمن ثم أوجبه عليه و لها. [٣١٧]. و كان هذا التفصيل حكيمًا فى نظر الشارع الأقدس لغاية صبر المرأة عن الزوج، و ما جاء من التعليل واضح لا يحتاج الى بيان. و مرة أخرى يسأل محمد بن سليمان الامام محمد الجواد (عليه السلام) عن العلة فيما اذا قذف الرجل امرأته بجريمة الزنا كون شهادته أربع شهادات بالله، و اذا قذفها غيره سواء أكان قريبا لها أم بعيدا جلد الحد، أو يقيم البينة على ما قال!! فأجابه الامام محمد الجواد قائلا: «قد سئل أبو جعفر - يعنى الامام محمد الباقر (عليه السلام) - عن ذلك فقال: ان الزوج اذا قذف امرأته فقال: رأيت ذلك بعينى، كانت شهادته [صفحہ ٢٢٦] أربع شهادات بالله. و اذا قال: انه لم يره، قيل له، أقم البينة على ما قلت: و الا كان منزلة غيره. و ذلك ان الله تعالى جعل للزوج مدخلا لا يدخله غيره، والد و لا ولد يدخله بالليل و النهار، فجاز أن يقول: رأيت، و لو قال غيره: رأيت، قيل له: و ما أدخلك الذى ترى هذا فيه وحدك؟ أنت متهم، فلا بد أن يقيم عليك الحد الذى أوجبه الله عليك» [٣١٨]. و قد تروى هذه المسألة بصورة أخرى و النتيجة واحدة فى الجواب. [٣١٩]. [صفحہ ٢٢٩]

بيئة الفكر الكلامي في عصر الامام

ازدهرت الحياة العقلية في عصر الامام محمد الجواد (عليه السلام)، و كانت النهضة الحضارية قد بلغت قمته في عهده. فقد أولاها الامام جهاده و جهوده، و ربي جيلا- متحفزا من العلماء النابهين، و تزعم جمهرة من الفقهاء الأكابر، و ثقف طائفة من المتكلمين و علماء الاحتجاج، و درب ناشئة من المتلهفين على تلقي المعرفة، و من هنا انطلقت الثقافة في فنونها المعقدة تغزو الميدان الاجتماعي، ابتعادا عن المناخ السياسي المتعثر بالدماء و الحروب و الفتن و المؤامرات. و كان لهذا الانقلاب المفاجئ في حياة الأمة المسلمة أسبابه و مسوغاته و مؤثراته في كثير من الأبعاد و لعل الأستاذ نيكلسون من أبرع من صور ذلك تصويرا مقاربا للواقع من الناحية الاجتماعية فقال: «و كان لانبساط رقعة الدولة العباسية، و وفرة ثروتها، و رواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل، حتى لقد بدا أن الناس جميعا... غدوا فجأة طلابا للعلم، أو على الأقل أنصارا للأدب، و في عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا الى موارد العلم و العرفان، ليعودوا الى بلادهم كالنحل يحملون الشهد الى جموع التلاميذ المتلهفين، ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنفات التي هي أشبه شيء [صفحة ٢٣٠] بدوائر المعارف، و التي كان لها أكبر الفضل في ايصال هذه العلوم الحديثة الينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل» [٣٢٠]. و كانت حواضر العالم الاسلامي تعج بالعلماء و المتعلمين في كل من: مكة المكرمة، و المدينة المنورة، و الكوفة الغراء، و البصرة الفيحاء، و بغداد دارالسلام التي تميزت بكونها مقر الدولة، و ملتقى العلماء، و قبلة المهاجرين و الدارسين. يقول الدكتور غوستاف لوبون: «كان العلماء و رجال الفن و الأدباء من جميع الملل و النحل من يونان، و فرس، و أقباط، و كلدان، يتقاطرون الى بغداد، و يجعلون منها مركزا للثقافة في الدنيا» [٣٢١]. و كانت مدارس الافادة و الاضاعة غزيرة العطاء عند الفرق الاسلامية الثلاث: الامامية، و المعتزلة، و الأشاعرة. الا أن مدرسة الامامية كانت أعمقها أصولا، و أرسخها جذورا، لأنها تستمد أصالتها من روافد جامعة أهل البيت عليهم السلام، بما عرفت به من العمق و دقة الآراء التي فجرها الأئمة المعصومون متصلين برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم). فكانت علوم القرآن. و الحديث الشريف، و التفسير، و الفقه، و الأصول، و الفلسفة، و علم الكلام، و النحو، و اللغة، مضافا الى جزء كبير من العلوم الصرفة كالطب و الكيمياء و الفيزياء، و الهندسة، و الفلك، و الرياضيات من أبرز مظاهر التنوع الثقافي الذي حفل به عصر الامام محمد الجواد (عليه السلام). [صفحة ٢٣١] و كانت الأمة الاسلامية بأغليتها الساحقة تمثل التأييد الصامت لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، و تستمد معارفها مها رغم الرصد و كثافة الرقابة و تحسسن الدولة. و كان المكر السياسي للسلطة العباسية يشجع الخوض بمتاهات علم الكلام، فهو يريد اشغال الأمة بنفسها عن نفسها، و يجعلها فيما بينها عن مشاكلها، و بتحزبها الكلامي عن تجمعها السياسي. و يبدو للبحث أن الهدف من وراء علم الكلام قد انحرف عن الخط الأساسي الذي يجب أن يسير عليه، فبدلا من أن تتركس الجهود لرد الزنادقة و الملحدين و المشككين، تحولت الى صراع غبي مقيت بين المعتزلة و الأشاعرة الى الحد الذي كفر بعضهم بعضا، و ليست تلك مهمة علم الكلام في أي حال من الأحوال. بينما وقفت الامامية موقف الحذر المتيقظ من هذا المناخ، فأعرض صفحا عن كثير من المهارات، و اتجه اتجاها ايجابيا في نقض شبهات المنحرفين، و رد مزاعم الزندقة و الالحاد، و حمل على المشككين ليعود بالمناخ الفعلي الى جذره التاريخي في الدفاع عن حوزة الاسلام. و مهما يكن من أمر، فإن الحياة الكلامية بايجابياتها و سلبياتها و تناقضاتها قد أبقث لنا ثروة حافلة بالابداع و عصاره الآراء، مما قد يعد خلاصة التجربة الاسلامية في الجدل و المناظرة و الاحتجاج. و كان الخط الهادئ المتزن يمثل في أولياء أهل البيت عليهم السلام، فكان علم الكلام لديهم وسيلة الى دحض الشبهات، و ابطال [صفحة ٢٣٢] آراء المنحرفين، و قد برز من أساطينهم في هذا الفن جمع مشهود و له بالاستقامة و حسن التأنى على طول الخط الممتد من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي الأول. و هي حقبة امتدت قرنين من الزمان في حضرة الأئمة و قيامهم بالأمر الالهي سبق لنا الاشارة اليه في كتبنا السابقة من هذه الموسوعة. «و الذي يراه البحث أن الحياة الجديدة لم تكن هادئة أو مستقرة، بل هي الى الصخب و الضجيج أقرب، و هي تمثل مدى الانشطار الاسلامي الى فرق و جماعات و تكتلات... و كانت حتمية تجربة السماء الفطرية تقتضي أن ينتصر الاتجاه العقلي الرصين على تلك التهاويل

الغريبة التي اجتاحت العالم الاسلامي في سرعه مذهله، و هي تتضخم ضمن مخطط سياسي صاعق، أبرم بنوده سلاطين الجور و أدياء الفكر الوافد» [٣٢٢] فانجر كثير من النزاع الى مداخلات غير بريئة. بيد أن الامام محمد الجواد (عليه السلام) قد ابتعد بثقله الرسالي عن هذه المظاهر، و اتجه الى اصلاح ما فسد من عقائد المسلمين، و اثناء الشعلة الوهاجة في درب الموحدين كما ستري. [صفحة ٢٣٣]

قضايا التوحيد الالهي

من أبرز ملامح عصر الامام (عليه السلام) في مسائل علم الكلام، ما يتعلق بقضايا التوحيد، و ما يدور في فلك معرفة الله تعالى، و ما يثار حول أسماء الباري و صفاته، و ما يراد من معاني الألفاظ في الذات و الرؤية و التشبيه و التجسيم، و ما يجري هذا المجرى من مصطلحات كلامية ولدتها حركة الترجمة للفلسفة الاغريقية لدى المسلمين، و أوجدتها موجات الامتزاج بين الشعوب المختلفة في ظل الاسلام نتيجة اتساع الدولة الاسلامية بالفتوح لبلاد المشرق و قسبات المغرب، و ما أثارته مدارس الشك و الارتياب لدى الوافدين على الديار الاسلامية من أشتاب الجنس البشري، و ما زرعه أولئك الحاقدون على مبادئ الشريعة الغراء، فسيروا الشبه و المقالات، و أوردوا الأسئلة الاعتراضية أو الاحتجاجية لكل ما هو جديد على الساحة أو غريب عنها أحيانا. و لما كانت مهمة الامام محمد الجواد (عليه السلام) مهمة رسالية، فقد شمر عن ساعديه جدا و نشاطا و حيوية، فرد الشبهات، و صد الهجمات، و فسر ما يدور في معجم القوم من مصطلحات و اشارات، و فند ما جاء فيها من نزغات جارحة و اعتداءات صارخة، و أعاد الحق الى نصابه، و ذلك من خلال اجاباته و استدراكاته في الوصول الى حقائق الأشياء، باعتباره الامام المفترض الطاعة على المسلمين، و هو المعنى الأول و الأخير في عصره للذب عن أصالة الاسلام حيناً، و الكشف عن قيمة و مثله العليا [صفحة ٢٣٤] حيناً آخر، لهذا كان النضال في الميدان الكلامي أصلاً من أصول جهاده العلمي الذي طبق الخافقين، و هو يؤكد هذا الملحظ، و يخلص الى الاشارة الصريحة لذاته في أولوية النصره و الدفاع فيقول: «ان الله خلق الاسلام فجعل له عرصه، و جعل له نورا، و جعل له حصنا، و جعل له ناصرا، فأما عرصته فالقرآن، و أما نوره فالحكمة، و أما حصنه فالمعروف، و أما أنصاره فأنا و أهل بيتي...» [٣٢٣]. و الامام في هذا الحصر يصدر عن واقعية لا مبالغة معها، و يؤكد على جانب امامته فيه و في أهل بيته على عادة الأئمة عليهم السلام في اعلان ذلك و التصريح به في أحلك الظروف رغم كل المخاطر التي تحيط بهذا التصريح الجريء، لأنه بمثابة الثورة المضادة لكل ولاية ظالمة و خلافة مدعاة. و فيما نحن فيه من حياة المناظرة و الحوار الكلامي نجد الامام محمد الجواد (عليه السلام) فارس هذه الحلبة في عصره، و خريت هذه الصناعة في تمرسه. روى أبوهاشم الجعفرى قائلا: كنت عند أبي جعفر الثاني (عليه السلام)، فسأله رجل - و يبدو أنه كان على جانب من الفلسفة الالهية - فقال: «أخبرني عن الرب تبارك و تعالى، له أسماء و صفات في كتابه؟ فأسمأوه و صفاته هي هو؟ فانبري له الامام محمد الجواد (عليه السلام) محللا و مبرمجا و مقسما، فقال: «أن لهذا الكلام وجهين، ان كنت تقول: هو هي، أي أنه ذو عدد و كثرة!! فتعالى الله عن ذلك. [صفحة ٢٣٥] و ان كنت تقول: لم تزل هذه الصفات و الأسماء، فان (لم تزل) يحتمل معنيين: فان قلت: لم تزل عنده فعلمه، و هو مستحقها، فنعم. و ان كنت تقول: لم يزل تصويرها، و هجاؤها، و تقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله و لا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه و بين خلقه، يتضرعون بها اليه، و يعبدونه، و هي ذكره، و كان الله و لا ذكر، و المذكور بالذكر هو الله القديم، الذي لم يزل و الأسماء و الصفات مخلوقات المعاني، و المعنى بها هو الله الذي لا- يليق به الاختلاف و الائتلاف، و انما يختلف و يأتلف المتجزئ، فلا- يقال: الله مؤتلف، و لا الله كثير، و لا قليل، و لكنه القديم في ذاته، لأن ما سوى الواحد متجزئ، و الله واحد لا متجزئ، و لا متوهم بالقله و الكثرة، و كل متجزئ متوهم بالقله و الكثرة فهو مخلوق دال على خالق له. فقولك: ان الله قدير، خبرت انه لا- يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز، و جعلت العجز سواه، و كذلك قولك: عالم، انما نفيت بالكلمة الجهل، و جعلت الجهل سواه، فاذا أفنى الله الأشياء أفنى الصور و الهجاء، و لا ينقطع و لا يزال من لم يزل عالما. فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سميعا؟ فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): «انه لا يخفى عليك ما يدرك بالأسماع!! و لم نصفه بالسمع المعقول بالرأس، و كذلك

سمينه بصيرا، لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون و شخص و غير ذلك، و لم نصفه بنظر لحظ العين. و كذلك سميناه [صفحة ٢٣٦] لطيفا لعلمه بالشئ اللطيف مثل البعوضة و أخفى، و موضوع النشوء منها، و العقل و الشهوة للسفاد و الحذب على نسلها، و افهام بعضها عن بعض، و نقلها الطعام و الشراب الى أولادها في الجبال و المفاوز و الأودية و القفار، فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف، و انما الكيفية للمخلوق المكيف. و كذلك سمى ربنا قويا لا بقوة البطش المعروف من المخلوق، و لو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق، لوقع التشبيه و لاحتمل الزيادة، و ما احتمل الزيادة احتمل النقصان، و ما كان ناقصا كان غير قديم، و ما كان غير قديم كان عاجزا. فربنا تبارك و تعالى لا شبه له و لا ضد، و لا اند، و لا كيف، و لا نهاية، و لا تبصار بصر، و محرم على القلوب أن تمثله، و على الأوهام أن تحده، و على الضمائر أن تكونه، جل و عز عن أداة خلقه، و سمات بريته، و تعالى عن ذلك علوا كبيرا» [٣٢٤]. و ينظر الى افادة الامام محمد الجواد (عليه السلام) في هذا العرض الفلسفي من خلال مستويين: المستوى الأول: كون الامام (عليه السلام) منظرا على سوية عالمية بحيث استطاع من خلال اجابته الدقيقة المنظمة، و من خلال استدراك حيثيات الموضوع أن يستوعب قضايا التوحيد في جزئياتها المتشعبة، فلم يغادر صغيرة و لا كبيرة الا استقطبها شرحا و تفصيلا ملك على المسائل سمعه و بصره. [صفحة ٢٣٧] المستوى الثاني: ان الامام (عليه السلام) بحث ما يسمى في علم الكلام بالصفات الثبوتية و السلبية، و استدل على مفاهيمها بالدليل البديهي تارة، و بالاستقراء المنطقي تارة أخرى، فالله سميع بصير لطيف، بمعنى لا- يشمل الحواس المتداولة و المعروفة فيما تعارفنا عليه، فهو سميع بمعنى أنه لا- يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، و هو بصير بمعنى أنه لا- يخفى عليه ما يرى بالأبصار، و هو لطيف بمعنى علمه باللطيف الدقيق من حقائق الأشياء و أجناس المخلوقات و خفيات الأمور، و ما جرى هذا المجرى. و من هذا الباب سأله أحدهم: هل يجوز أن يقال الله تعالى: انه شئ؟ فقال (عليه السلام): نعم، و يخرج عن حد التعطيل وحد التشبيه [٣٢٥]. و من هذا القبيل ما سأله به محمد بن عيسى قائلا: اني أتوهم شيئا!! فأجاب الامام (عليه السلام): «نعم، غير معقول، لا محدود، فما وقع و همك عليه من شئ فهو خلافه، لا يشبه شئ، و لا تدركه الأوهام، و هو خلاف ما يتصور في الأوهام، انما يتصور شئ غير معقول و لا محدود» [٣٢٦]. و الامام (عليه السلام) يعالج المناظرة في صيغة كلامية واضحة بحيث يستوعبها السائل بحسب ثقافته و ادراكه، فتبدو له الاجابة يسيرة الفهم، واضحة البعد، دقيقة التشخيص، لا لبس فيها و لا ايهام. [صفحة ٢٣٨] سأله أبوهاشم الجعفرى عن قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار) [٣٢٧]. فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): «يا أباهاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند و الهند و البلدان التي لم تدخلها، لم تدركها ببصرك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون؟» [٣٢٨]. و روى أن أحد أصحابه سأله عن معنى الواحد، فقال (عليه السلام): اجماع الألسن عليه بالوحدانية كقوله تعالى: (و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله...) [٣٢٩] [٣٣٠]. و في هذا السياق يسأله داود بن القاسم عن معنى الصمد في قوله تعالى: (الله الصمد) [٣٣١]. فيقول الامام: «يعنى المصمود اليه فى القليل و الكثير» أى المقصود [٣٣٢]. هذه الاجابات السريعة الموجزة لم تكن مرتجلة و لا اعتباطية ولكنها صادرة عن فكر تنظيرى عميق ذى تجربة احتجاجية نادرة. [صفحة ٢٣٩]

الامام يناظر فى السنة

و كما ناظر الامام محمد الجواد (عليه السلام) فى القرآن و شؤونه فى ضوء قضايا التوحيد القائمة فى مضمار التنظير الكلامي، فانه - (عليه السلام) - ناظر فى السنة الشريفة، ورد الأحاديث الموضوعية، و فند الكاذب من الروايات، بأدلة عقلية و نقلية و استقراء لعوالم الحديث الشريف. فقد أورد فريق من المؤرخين أن المأمون بعد ما زوج الامام من ابنته أم الفضل، كان فى احدى مجالسه، و عنده الامام (عليه السلام)، و يحيى بن أكنم قاضى القضاة، و جماعة آخرون من الوجوه و الأعيان و القادة. فقال يحيى بن أكنم للامام محمد الجواد (عليه السلام): ما تقول يا ابن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): فى الخبر الذى روى أنه نزل جبرائيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قال: يا محمد، ان الله عزوجل يقرؤك السلام و يقول لك: سل أبابكر، هل هو عنى

راض؟ فاني عنه راض!! فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): لست بمنكر فضل أبي بكر، و لكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) في حجة الوداع: «قد كثرت على الكذابة، و ستكثر فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، فاذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله و سنتي، [صفحة ٢٤٠] فما وافق كتاب الله و سنتي فخذوا به، و ما خالف كتاب الله و سنتي فلا تأخذوا به». و ليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال تعالى: (و لقد خلقنا الانسان و نعلم ما توسوس به نفسه و نحن أقرب اليه من جبل الوريد) [٣٣٣] فالله عزوجل خفى عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل من مكنون سره؟ هذا مستحيل في العقول. ثم قال يحيى بن أكثم: و قد روى أن مثل أبي بكر و عمر كمثل جبرائيل و ميكائيل في السماء!! فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): و هذا أيضا يجب أن ينظر فيه، لأن جبرائيل و ميكائيل ملكان لله مقرران لم يعصيا الله قط، و لم يفارقا طاعته لحظة واحدة، و هما قد أشركا بالله عزوجل، و ان أسلما بعد الشرك، و كان أكثر أيامهما في الشرك بالله، فمحال أن يشبههما بهما. قال يحيى: و قد روى أنهما سيذا كهول أهل الجنة!! فما تقول فيه؟ فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): و هذا الخبر محال أيضا، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شبابا، و لا يكون فيهم كهول، و هذا الخبر وضعه بنوا أمية لمضادة الخبر الذي قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) في الحسن و الحسين بأنهما: سيذا شباب أهل الجنة. فقال يحيى بن أكثم: و روى أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة!! [صفحة ٢٤١] فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): و هذا أيضا محال، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين، و آدم و محمد و جميع الأنبياء و المرسلين لا تضىء بأنوارهم حتى تضىء بنور عمر؟. فقال يحيى بن أكثم: و قد روى ان السكينة تنطق على لسان عمر!! فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): لست بمنكر فضائل عمر، و لكن أبا بكر أفضل من عمر، فقال على رأس المنبر: ان لى شيطانا يعتريني، فاذا ملت فسد دوني!! فقال يحيى: قد روى أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: لو لم أبعث لبعث عمر!! فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: (و اذا أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقا غليظا) [٣٣٤] فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، و كان الأنبياء عليهم السلام، لم يشركوا طرفه عين، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك، و كان أكثر أيامه مع الشرك بالله؟ و قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): نبئت و آدم بين الروح و الجسد. فقال يحيى بن أكثم: و قد روى ان النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: ما احتبس الوحي عنى قط الا ظننته قد نزل على آل الخطاب!! فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): [صفحة ٢٤٢] و هذا محال أيضا، لأنه لا يجوز أن يشك النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و في نبوته، قال تعالى: (الله يصطفى من الملائكة رسلا و من الناس...) [٣٣٥] فكيف يمكن أن تنقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى الى من أشرك به؟. قال يحيى بن أكثم: روى أن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) قال: لو نزل العذاب لما نجا منه الا عمر!! فقال الامام محمد الجواد (عليه السلام): و هذا محال أيضا، أن الله تعالى يقول: (ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون) [٣٣٦]. فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحدا ما دام فيهم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ما داموا يستغفرون الله تعالى. [٣٣٧]. و هذه المناظرة التي فرضت على الامام فرضا بقصد اثاره الصراع الانساني، أجاب الامام عن مفرداتها بالدليل العقلي تارة، و بالدليل النصي تارة أخرى، دون أن تمس بأحد مسا عنيقا، و لكن أجوبته كانت مسكته بحيث لم يتجرأ السائل أن يجد فيها مطعنا فيرد عليها، و انما أفحم افحاما لا متنفس معه. [صفحة ٢٤٥]

الامام محمد الجواد... شهيدا

الامام يتوقع الشهادة

حينما استدعى الامام محمد الجواد (عليه السلام) الى بغداد من قبل المعتصم بن هارون الرشيد، وصل اليها بعد أدائه مناسك الحج لليلتين بقيتا من المحرم عام عشرين و مائتين من الهجرة. [٣٣٨]. و احتفلت بغداد بالامام احتفالا عارما، و التف حولته العلماء و الفقهاء

و رجال الحديث وقادة الفكر الكلامي، و احتفى به المعتصم - ظاهرا - احتفاء عظيمًا، و فزع اليه طلاب العلم و رواد المعرفة، فكانت تلك الأيام مشرقة بهذا السراج الهادي الى النهج النبوي، و توجت بالعطاء العلمي الزاخر و الوعي المستفيض، و اشرأت الأعناق الى هذا الشاب المعجزة تستلهم هدايه، و تستوحى تعبيره النابض بشتى المعارف الاسلاميه، و استبشر أتباع أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الفتح المبين، و هم يرون ذلك الانبهار المتصاعد بشخصية الامام، و يستعمون لذلك الثناء العاطر على امكاناته الهائلة، و لم يكن ليدور بخلد هم أن الزمان سيجهز عليه بسرعه قياسية، الا أن الالتفات الشعبي حول الامام، و نفوذه الواعي في ضمير الأمة مما أعاظ البلاط العباسي، فبدأ يدبر المؤامرة النكراء لاغتياله. و قد كان الامام محمد الجواد (عليه السلام) قد استشعر بلمح غيبي دنو أجله في هذه السفره، و توقع استشهاده بهذه الرحلة توقعا يعتد به تاريخيا، فقد روى عن اسماعيل بن مهران قال: «لما أخرج أبو [صفحة ٢٤٦] جعفر (عليه السلام) من المدينة الى بغداد في الدفعة الأولى من خرجته، قلت له عند خروجه: جعلت فداك، انى أخاف عليك من هذا الوجه، فالى من الأمر من بعدك؟ قال: فكر بوجه الى ضاحكا و قال: ليس حيث ظننت في هذه السنة!! فلما استدعى به الى المعتصم صرت اليه، فقلت له: جعلت فداك، أنت خارج، فالى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم التفت الى، فقال: عند هذه يخاف على!! الأمر من بعدى الى ابني على» [٣٣٩]. و هذا تنبؤ من الامام على نحو غيبي استقاه - دون شك - من آباءه (عليهم السلام). و المعروف أن الامام (عليه السلام) كان في عنفوان شبابه فهو في الخامسة و العشرين من عمره، و لم يحدثنا التاريخ أنه كان يشكو من أى مرض أو عارض صحى قد أصابه، فهو سليم من الناحية الصحية، و ليس هناك أى سبب لموته المفاجئ الا ما دبره المعتصم له من الاغتيال. و الطريف جدا أن الامام (عليه السلام) قد حدد موعد وفاته و هو في عصر المأمون قبل عهد المعتصم، فعن ابن بزيع قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): الفرج بعد المأمون بثلاثين شهرا. قال: فنظرنا، فمات بعد ثلاثين شهرا. [٣٤٠]. [صفحة ٢٤٧] و في سنة وفاته (عليه السلام)، قال محمد بن الفرج: كتب الى أبو جعفر (عليه السلام): «احملوا الى الخمس فانى لست آخذة منكم سوى عامى هذا» فقبض في تلك السنة. [٣٤١]. و الأهم من جميع ما تقدم، ما صدر عنه (عليه السلام) ليلة وفاته مخبرا بها بما روى عن أبى مسافر، عن الامام (عليه السلام)، أنه قال في العشي التي توفى فيها: انى ميت الليلة، ثم قال: نحن معشر اذ لم يرض الله لأحدنا الدنيا نقلنا اليه. [٣٤٢]. و هذا من غرائب الأمور في اطارها الاعتيادي، الا أننا اذا نظرنا اليها من ذلك الباب الذى علمه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لأئمة المؤمنين (عليه السلام)، و علمه أمير المؤمنين لأبنائه المعصومين، ترفع الغرابة لأنه علم من ذى علم، استوعبه الأئمة عن جددهم (صلى الله عليه و آله و سلم). و حينما استشعر الامام (عليه السلام) بدنو أجله، كان لا بد أن يتخذ الاجراءات الكفيلة بمواصله مسيرة أهل البيت في مبدأ الامامة، فعهد الى ولده الامام على الهادي (عليه السلام)، بما روه الخيرانى عن أبيه: ان الامام الجواد بعث اليه رسولا قال له: «ان مولاك يقرأ عليك السلام، و يقول لك: انى ماض، و الأمر صائر الى ابني على، و له عليكم بعدى ما كان لى عليكم بعد أبى» [٣٤٣]. [صفحة ٢٤٨] و كان الشيخ الصدوق قد روى عن الصقر قوله: «و سمعت أبا جعفر محمد بن على الرضا (عليه السلام)، يقول: ان الامام بعدى ابني على، أمره أمرى، و قوله قولى، و طاعته طاعتي» [٣٤٤]. و ما روى فى هذين النصين و سواهما، يعتبر أصلا فى النص على امامة ولده الامام على الهادي (عليه السلام)، يضاف اليها الاخبار السابقة و الأصول المدونة الأخرى، و هو أى الامامية أجمع. [صفحة ٢٤٩]

كيفية اغتيال الامام

و الأمر المقطوع به الذى توصل اليه البحث أن الامام أبا جعفر محمد بن على الجواد (عليه السلام) لم يمت حتف أنفه، و انما مات مسموما على يد المعتصم العباسي. و قد اختلفت الرواية فى كيفية سمه و طريق ذلك على أقوال: ١- أجمل ابن بابويه الأمر فقال: سم المعتصم محمد بن على (عليه السلام) [٣٤٥]. ٢- ان المعتصم أنفذ اليه شرب حماض الأترج تحت ختمه على يدي أشناس، فقال للامام: ان أمير المؤمنين ذاقه قبل أحمد بن أبى داؤد سعد بن الخصيب، و جماعة من المعروفين، و يأمرك أن تشرب منها بماء الثلج، و

صنع في الحال، و قال: اشربها... و أصر على ذلك، فشربها عالما بفعلهم. [٣٤٦]. ٣- ان المعتصم، أمر أحد وزرائه بأن يدعو الامام الى منزله على وليمة فدعاه... فلما صار اليه طعم منها، فلما طعم أحسن السم، فدعا بدابته و ذهب الى داره، فلم يزل يومه ذلك و ليله، في خلفه (الهيضة و انطلاق البطن) حتى قبض (عليه السلام) [٣٤٧]. [صفحة ٢٥٠] ٤- ان المعتصم جل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر الجواد (عليه السلام)، فأشار على ابنه المأمون زوجته بأن تسمه، لأنه وقف على انحرافها عنه... فأجابته الى ذلك، و جعلت سما في عنب رازفي، و وضعت بين يديه، فلما أكل منه ندمت و جعلت تبكى... و مات الامام سميما. [٣٤٨]. ٥- و روى المسعودي: أن جعفر بن المأمون قد حرض و أغرى زوجة الامام أم الفضل - و كانت أخته لأمه و أبيه - على أن تدس السم الى الامام ففعلت ما طلب منها. [٣٤٩]. و مهما يكن من أمر فقد استشهد الامام محمد الجواد (عليه السلام) مسموما، و فاضت روحه المقدسة، و التحق بالشهداء و الصالحين و الصديقين و حسن أو لئك رفيقا. و كانت وفاته يوم الثلاثاء باتفاق المؤرخين [٣٥٠] و الأشهر و الذي عليه العمل و ترتيب الآثار أنه توفي في آخر ذي القعدة الحرام عام عشرين و مائتين. [٣٥١]. و قيل أنه توفي في الحادي عشر من ذي القعدة. [٣٥٢]. و قيل أنه توفي في الخامس أو السادس من ذي الحجة [٣٥٣]. [صفحة ٢٥١] و أنى كان يوم الوفاة، فقد ذهب الامام أبو جعفر محمد بن علي الجواد (صلوات الله عليه) شهيد صلابته و قيادته الفذة، و صريع مواهبه و كفايته النادرة، و له من العمر خمس و عشرون سنة. قال محمد بن سنان: قبض أبو جعفر محمد بن علي، و هو ابن خمس و عشرون سنة، و ثلاثة أشهر، و اثني عشر يوما، سنة عشرين و مائتين، عاش بعد أبيه تسع عشرة سنة الا خمسة و عشرين يوما. [٣٥٤]. و كونه عاش بعد أبيه تسع عشرة سنة يعني أنه تولى منصب الخلافة و عمره ست سنوات. بينما ذهب آخرون أن مدة امامته سبع عشر سنة. أو ثمانى عشرة سنة الا عشرين يوما. [٣٥٥]. [صفحة ٢٥٣]

دوافع اغتيال الامام

منى الحكم العباسي بهزيمة كبرى بين يدي الامام محمد الجواد (عليه السلام)، في الوقت الذي أراد به النظام تصيير الامامة في نظر الشعب المسلم أضحوكة، و ولاية أهل البيت في نظر أتباعهم ألعوبة، و ذلك للقول بامامة هذا الياغ الدارج في سنواته السبع!! و اذا بهم يفاجتون بسيل متحدر من الأعلى يغمر التلاع و التلال و الأباطح بالعلم و المعرفة و الافاضة الانسانية المترامية الأطراف، و اذا بهذا الصبي الامام يصبح أعجوبة الزمن و حديث الجيل المعاصر، و اذا بشيوخ الاسلام تنحنى أمام عظمتة الكبرى، و اذا بأساطين العلم شاخصة الأبصار و هي ترنو اليه خاشعة و اذا بقيادة الفكر و أرباب الكلام يتطلعون الى مزيد من الأفكار الجديدة، و الامام يتحدث الى هذا الجمع الحاشد من العلماء بنظر ثاقب و قلب ثابت، تتفجر الحكمة بيانه، و ينطلق صوت الحق مدويا بلسانه، صلبا لا يتزلزل، و شامخا لا يتداني، حتى انهزم الجمع و ولو الدبر!! و لو أردنا استقراء الحوادث المحيطة بحضرة الامام (عليه السلام)، لوجدناها تنبئ جميعا بمخطط القضاء عليه مبكرا، و ذلك مما يمثل دوافع اغتياله و أسباب قتله المفجع. و بإمكان البحث تشخيص جملة من هذه الدوافع و الأسباب، في نقاط قد تستوعب الجزء الأكبر منها في تلخيص مركز: ١- كان الامام محمد الجواد (عليه السلام) لدى تبرعم شبابه قبله القاصد و الوارد من طلاب العلم و رواد المعرفة الحقّة المسائل الشريعة و أحكام [صفحة ٢٥٤] الدين، و هم يتوافدون زرافات و وحدانا شطر سدته المنيعه بالتأييد الالهي، و كان هذا التلاحم في التوافد، و الاندفاع في القصد اليه بأعداد كبيرة مما يثير غضب الحاكمين و سخط المتنفذين، فتألبت عليه السلطات الجائرة و أجهزتها الأمنية، و أسرع بحبك المؤامرة الكبرى لاغتياله. و علاقة تفوق الامام العلمي باستشهاده علاقة وثيقة الصلة، لأن من أوليات المتصدي للخلافة الالهية الشرعية، و قيادة جماهير الشعب المسلم في ذلك الاتساع الجغرافي و الامتداد على طول البلاد الاسلامية و عرضها، لابد أن يتسلح - بادئ ذي بدء - بالعلم النابض المتحرك مع متطلبات الزمن و الحضارة، و لابد له من الكفاية العالية في الأداء و البيان لتلبية متطلبات الشعوب الاسلامية في معرفة فروع الأحكام و مسائل الشريعة، و هذا هو المتوافر بغزارة معمقة بأكثر من المتصور لدى الامام الجواد (عليه السلام)، و هو المتوقع من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في الشعور العام، فاذا دعم ذلك الشعور بالتطبيق الخارجي كانت النظرية متكاملة الأبعاد، بينما مركز

الخلافة الرسمية المتمثل بسُلطان الزمان قد ثبت خسارته في هذا المجال، فهو صفر الكفين من أبسط مقومات هذا الجانب. ٢- كانت ردة الفعل الشعبية على هذا الاكتشاف السريع الذي لا يحتاج الى الصبر والاطالة. ان تعلق الشعب المسلم بالامام محمد الجواد في الاضواء والانارة لمعالم الطريق السوي في الهدى والرشد، فحينما استدعى الى بغداد من قبل المعتصم كان التفاف الفقهاء والعلماء و حملة الفكر الانساني المجرد من التعصب منقطع النظير حوله، و كانت الفروق المميزة بين المناخ العقلي الذي يحمله الامام، و بين الأفكار العشوائية التي [صفحة ٢٥٥] منى بها قادة النظام تحتم اضطلاع الصفوة المثقفة بعبء التمييز بين المؤشرين: الصاعد المتطلع في الرؤية، و الهابط المتخبط في الانحراف، و النظام يعي ما في هذا من الخطر المحقق الذي يدفع بالأمة الى تزلزل عقيدتها بصلاحيه رجال الدولة، و هم يتربعون على عروشها باسم الاسلام، و لا يحيطون بأدنى الضروريات معرفة منه، فما على السلطان بعد هذا الا أن يتخلص من الامام عاجلا و بالقضاء عليه. ٣- و في ضوء ما تقدم فان الاشكاليات ازدادت ضراوة ضد الامام من قبل السلطان، كما ازدادت القواعد الشعبية التصاقا بالامام (عليه السلام)، فالسلطان يكيده و يمكر به، و الشعب المسلم يتمسك به أساسا راسخا قد تمكن من القلوب و استولى على المشاعر و الأحاسيس. هذه المفارقة في كل تبعاتها المحزنة و المفرحة، و لدت جوا من الحساسية الملتهبة في المناخ السياسي و الشعبي، فالموازن في الأحكام السلطانية و النظم الاسلامية لها موقفها الصريح في الحكم للامام، اذ الولاية الالهية لا- تنطبق الا- عليه من خلال ضروريات الدين، و هو ما توصل اليه الواعون من الوسط الشعبي المستقل، و التفكير السياسي يرى في هذا التقرير الخطر كل على مراكز الدولة و ذات السلطان، و في مثل هذه المعادلة يكون التخلص من حياة الامام محمد الجواد (عليه السلام) قضية مركزية للحكم. ٤- كان للوشايات و تقارير الأجهزة المسؤولة عن الأمن أثرها الفاعل في تأليب النظام الحاكم على الامام، فهي تفتعل و تتقول و تفتري تقريبا للنظام بما لا أصل له، و هذا جار في كل زمان و مكان لدى الأنظمة [صفحة ٢٥٦] الدكتاتورية التي تتراءى لها أشباح الهزيمة في كل بادرة، فالامام لا يحاول حكما، و لم يسع الى سلطان، و المعنيون بحفظ النظام يحاولون تأكيد التهم ضد الامام، و يكاد المريب أن يقول خذوني، و من هذه المقولة كان التخوف جاثما على صدور الحاكمين، يضاف الى ذلك الأحقاد المتأصلة و الكراهية لأهل هذا البيت في مسلكهم الداعي الى العدل الاجتماعي، و حقوق الانسانية، و المساواة بين أبناء الشعب الواحد، و هذا ما يطوح بأحلام حكام الزمان الذين اتخذوا عباد الله خولا، و دينهم دخلا، و مال المسلمين دولا، فاجتمع هذا و ذاك في لا تفكير جديا بالقضاء على الامام و هو في أول شبابه، و أوج نشاطه القيادي، و هو ما حصل على يد المعتصم بن هارون الرشيد!! ٥- كان الأثر الاجتماعي الفريد لسلوك الامام في حياته المتواضعة، و زهده الواقعي في فطرته الذاتية، و خلقه الرفيع في مثله العليا، مثار جدل كبير ازاء غطرسة السلطة، و كبريائها، و جبروتها، و اسرافها، و تبذيرها، و كان هذا الجدل يصب في رافد الامام عائدية، و كأنه التصويت الصامت على أحقية الامام بادرارة الدولة الاسلامية، فالامام يعيش حياة المسلم الاعتيادي في كل مظاهرها البسيطة، في البيت و المسجد و المحافل العامة، و في الممارسات السكنية و الغذائية و الألبسة و الأثاث و متطلبات الحياة، و الحكام يتراوحن في ذلك البرج العاجي بين لهو و عبث و مجون، يرتكبون المحرمات و يسعون الى اللذائذ، و يتحينون الفرص للاقتناص الشهوة المحرمة و اللذة المشبوهة، و الارتماء بأحضان الجوارى و القيان، و احياء [صفحة ٢٥٧] حفلات الرقص و الغناء، و اعمار موائد الخمر و الفجور، عدا الظلم الفاحش و الطغيان المستيطر. و يبقى الشعب المسلم في فصائله الواعية و شرائحه المختلفة مبهوتا تجاه هذه الفوارق الفعجة في كل شيء!! و هذه مشاهدات ميدانية لها وزنها الوثائقي لدى من ألقى السمع و هو شهيد، و هو مما ازدادت معه شعبية الامام، و تلاشت به هيبة السلطان. و شعر الحكم العباسي بهذه المسألة الخطيرة، و عليه أن يتأهب بجهد حثيث يصور الحاكم بأنه خليفة الله في أرضه و ان ظلم العباد و مزق البلاد، و تقف ثقافة الامام الرائدة ضد هذا الاتجاه الجبري، و يعود الحكم الى حل لمشكلته المتفاقمة، و لا حل لديه سوى القضاء على الامام و هكذا كان. و اخترم عمر الامام و هو في ريعان شبابه، و سلامة من صحته و بدنه، و باستشهاده تطوى تلك الصفحة المشرقة التي أنارت الدنيا بشعاعها الهادي. و سيظل الامام محمد الجواد (عليه السلام) شعلة و ضياء تذكى حرارة النضال العلمي، و جذوة متوهجة تهدي الى الله تعالى. و العاقبة للمتقين. [صفحة ٢٥٩]

تشيع جثمان الامام و دفنه

جهز بدن الامام، و غسل طبقا للموازين الشرعية واجبها و مستحبها، و أدرج في أكفانه الطاهرة، و قد تناهى خبر استشهاده الى أحياء بغداد و القصبات المجاورة، فحف لتشييعه الناس علماء و فقهاء و جماهير، و حمل الى مئواه الأخير - و الجثمان على أعناق الرجال - الى مقابر قريش في الكاظمية المقدسة، و دفن في جوار جده الامام موسى جعفر (عليهما السلام)، و هي مسألة اجماعية نص عليها جميع من ترجم للامام محمد الجواد فكانا جنبا الى جنب في مضجع طاهر تجللها السكينة، و تباركهما الطمأنينة بعناية الهية «حيث مئواهما الزاهر و مرقدهما المقدس الذي أصبح محجة لزيارة الناس من كل حدب و صوب، و معلما يزهى حتى اليوم بصرحه الشامخ و قبتيه الذهبيتين، [و مئوره الأربع] و بنائه الحاوي لبدائع الفن و الرياسة و الزركشة، و روائع ضروب التطعيم الفضى و الزجاجى البالغ أسمى مراتب الجمال المدهش و الحسن الأخاذ» [٣٥٦]. يقول الامام الشيخ راضى آل ياسين قدس سره: «اذا وقفت داخل حرمه المقدس صرت في روضة كبيرة، طولها من القبلة الى الجوف أربعة و عشرون مترا، و عرضها من شرق الى غرب عشرة أمتار، و في وسط هذه الروضة الضريح الفضى يغشى العيون و ميضا و نورا، و هو [صفحة ٢٦٠] يشغل من هذه الساحة سبعة أمتار من القبلة الى الجوف طولاً، و خمسة أمتار عرضاً، و يرتفع عن الأرض أربعة أمتار تقريبا، و بابه في وسط جهته الشرقية... و داخله صندوقان مفروش عليهما الفضة... و الصندوق الذى فى جهة القبلة منهما هو مرقد الامام موسى بن جعفر و الآخر مرقد الامام محمد الجواد عليهم السلام» [٣٥٧]. و فى المبحث الآتى عرض تفصيلى مكثف عن المشهد. [صفحة ٢٦١]

مشهد الامام محمد الجواد فى الكاظمية المقدسة

الكاظمية المقدسة روضة غناء تحيط بها أزاهير الرياحين، و تتخللها حدائق الورد، و لتعمرها البساتين الفارعة فى أشجارها و نخيلها، و يكاد أن يحيط أراضيها نهر دجلة من ثلاث جهات تستدير عليها، ينعش من هوائها، و يطيب مناخ أجوائها، حتى عادت مصطفافا و مرتعا، و فيها البناء التراثى فى عمارتها القديمة، و فيها البناء الجديد فى طوابقه و مدارجه، و من حولها البيوت الفارسة و القصور المعتدلة فى تنظيمها و اصطفافها، و قد اتسعت فى العمارة و البناء حتى كادت تبلغ العطيفية شرقا، و التاجى جنوبا، و سواهما شمالا و غربا، و فى وسطها يربض مشهد الامامين موسى بن جعفر (عليه السلام) و حفيده الامام محمد الجواد (عليه السلام) و هو من الخارج حتى الداخل عبارة عن صحن كبير بين الاستطالة و التريع، ذى جدار ضخم و سور عال على أساس متين من الآجر و الطابوق الأثرى القديم، بنيت من داخله غرف من جهاته الأربع يأوى اليها الزائرون عند الحاجة، و فيها المكتبات و مقرات بعض العلماء و رجال الدين، و عادة ما يدفن فيها العلماء و أهل الدين و الأشراف و أعيان الشيعة، و أمام كل غرفة ايوان بمساحة أربعة عشر مترا تقريبا بلطت باحته بالرخام، و غلفت جدرانه بالكاشانى المقرنص و المزركش و المزجج، و يحتوى الصحن على عشرة أبواب للداخل اليه و الخارج منه. و قد وصف الشيخ راضى آل ياسين الصحن بقوله: «و هو محل متسع الساحة ذرعه من شرق الى غرب ١٣٠ مترا، و طوله من جنوب الى شمال [صفحة ٢٦٢] ١٣٥ مترا، و قد أحيط بسور بنيت فى وجهه الغرف و الايوانات، فأشغلت من سعته مستديرا عرضه سبعة أمتار، و أرضه المحفوفة بالايوانات و الغرف مفروشة كلها بالمرمر، و فى باطنها سرايب محكمة البناء... طولاً و عرضاً و عمقا، و هى مرتبة بأشكال لطيفة و نقوش طريفة، و فى جبهة هذا السور كتية فائقة الحسن، و بقلم ثلثى تقرؤ بعض سور القرآن المجيد، و تنتهى بالزاوية التى بالشمال الغربى لصحن المراد... و تشق فى هذا السور الايوانات التى فى وسطها الغرفات، فتراها مرتبة منظمة تروق العيون، و هى (٨٦) ايوانا و (٧٥) غرفة و ذلك لأن بعض مواقع الايوانات اتفقت مداخل للصحن، ففى الجبهة القبلية ثلاثة و عشرون ايوانا، منها ايوانان صغيران فى الزاويتين، و اثنتان و عشرون غرفة لمكان الباب الكبير أواسط هذه الجهة. و فى الجهة الشرقية ثلاثة و عشرون ايوانا، منها أربعة صغار فى الزاويتين و فى جانبى الباب الكبير، و تسع عشرة غرفة لمكان البابين الصغير و الكبير... و فى الجهة

الغربية ثلاث و عشرون ايوانا، منها أربعة صغار كما في الصحن الشرقي، و احدى و عشرون غرفةً لمكان البابين الكبير و الصغير في هذه الجهة. و في الجهة الشمالية أربعة عشر ايوانا و اثنتا عشرة غرفةً لمكان البابين الشماليين» [٣٥٨]. و يفضى الصحن الشريف الى طارمات ثلاث مسقفة ببناء ضخم، و قد زينت بالنقوش الثمينة بالذهب و الفضة و الازورد و (العينة كاري) و هي قطع المرايا الصغيرة المصنوعة بأشكال هندسية عاكسة ثلاثية و رباعية و خماسية و سداسية. و هذه الطوارم الثلاث هي: [صفحة ٢٦٣] ١- طارمة باب المراد، و هي الطارمة الشرقية. ٢- طارمة قريش، و هي الطارمة الغربية. ٣- طارمة القبلة، و هي الطارمة الجنوبية. و قد وصفها جميعا بأحجامها و أشكالها و كتابات جدرانها الشيخ آل ياسين. [٣٥٩]. و يتخلل كل طارمة ايوان ذهبي أو زجاجي على نمط فريد من الأحكام و الهندسية المعمارية، و تفصل هذه الطوارم بجدار أروقة الحرم الشريف، عن طريق الأبواب الذهبية التي توصل ايوان الطارمة بالرواق المفضى الى الحرم المطهر، و أكبرها طارمة (باب المراد) المسماة تبركا بلقب الامام محمد الجواد (عليه السلام). و هذه الأروقة جميعها يفضى بعضها الى بعض من جهات الحرم الشريف الأربع، و كلها مبلطة بالرخام الثمين المرمرى، و جدرانها مزينة بالرخام النفيس الى ارتفاع أكثر من مترين، ثم تبدو الجدران و السقوف كلها مزينة و منقوشة بالمرايا و الزجاج المقرنص و المقطع بأشكال هندسية خاصة تسمى بالعرف (العينة كاري) و هذه الأروقة ثلاثة سميت بأسماء الجهات التي تتجه اليها و هي الرواق الشمالي، و الرواق الغربي و الرواق الشرقي، و هي تتصل بالروضة المقدسة للامامين الكاظم و الجواد (عليهما السلام) من خلال عدة أبواب، أهمها أبواب الرواق الشرقي، و بينه و بين الحرم بابان، و يتصل من جهته الشرقية بطارمة باب المراد عدة أبواب هي: الباب الشمالي، و الباب الجنوبي، و الباب الأوسط. [صفحة ٢٦٤] و ليس بالامكان عزل الامام الكاظم عن حفيده الامام الجواد في حديثنا عن الحرم الكاظمي الشريف، فقد اضطم على جثمانيهما الطاهرين، و هي فرصة نتحدث بها عن الضريحين المباركين و توابعهما بحسب الاجمال باذن الله تعالى. و الروضة المقدسة قد وصفها وصفا ميدانيا دقيقا سماحة الأخ الشيخ محمد آل ياسين بقوله: «و نعى بها (الروضة) [٣٦٠] ذلك الفضاء المحيط بالضريح داخل المشهد مما اصطلح الناس على تسميته ب (الروضة) و هي تنقسم الى قسمين أو روضتين: جنوبية، و تدعى روضة الامام الكاظم (عليه السلام). و شمالية، تدعى روضة الامام الجواد (عليه السلام). و يصل بينهما من الشرق الغرب طريقان ضيقان، و يقع الضريح المطهر في الوسط بين الروضتين. ان طول الضريح الفضي (٦. ٧٤ م) و عرضه (٥. ١٧ م) و ترتفع أعلى نقطة فيه قرابة ثلاثة أمتار و نصف المتر عن الأرض، و هو مشبك و منقوش على نحو جميل جدا... و قد أقيم على الضريح على قاعدة من الطابوق و الاسمنت مغلفة من خارجها بالرخام، تعلو عن أرض الروضة ٢٢ سم، و يعلو فوقها [صفحة ٢٦٥] المشبك، بارتفاع ١٤٢ سم، و بعرض ١٠٧ سم لكل نافذة منه، و يفصل بين كل نافذة و أخرى فاصل أو عمود مطلى بالفضة بعرض ٢٠ سم. و في سنة ١٣٨٥ هـ وضعت كتيبة قرآنية بعرض ٢٤ سم فوق الشبايك متصله بها، و قد صنعت قاعدتها من الميناء، و كتبت عليها بالذهب سورتا الدهر و الفجر. ثم تأتي فوق هذه الكتيبة نقوش ذهبية تدور حول الضريح كله بارتفاع حوالي ١٣٠ سم، و قد تم صنعها عام ١٣٧٨ هـ و كانت قبل ذلك من الفضة. و يقع باب الضريح في وسط جهته الشرقية، و بداخل الضريح (الصندوقان الخشبيان) الموضوعان على القبرين الشريفين، و هما صندوقان كبيران متساويان في الهيئة و الحجم، مسطحا أشكال، من الخشب الجيد المتين، طول كل منهما نحو ثلاثة أمتار و نصف المتر، و عرض كل منهما نحو مترين، و كذلك ارتفاعهما، و هذه الأبعاد تقريبية. و كل صندوق منهما يتكون من أربعة ألواح كبيرة، و ثمانية ألواح صغيرة، متصله بأطراف الألواح الكبيرة، أى أن كل جهة من جهات الصندوق الأربعة تتكون من ثلاثة ألواح، أحدها كبير في الوسط، و في كل طرف منه لوح صغير تعلوه الأفاريز المزخرفة و المزينة بالنقوش و الكتابات، و كل لوح من هذه الألواح الصغيرة و الكبيرة مكون من عدد كبير من قطع صغيرة صنعت بأشكال هندسية مختلفة و متنوعة، تتصل مع بضعها فتداخل و ترتبط بمتانة و احكام حتى يتكون منها لوح واحد منسق يحيط بأطرافه الأربعة اطار مزخرف ينتهي بالأفاريز، يعلوها الغطاء، و هو محاط بافريز بارز، و كل قطعة من تلك القطع الهندسية الصغيرة زخرف و زينت بنقوش هندسية و زهرية، و نقوش أخرى مختلفة بالحفر و التطعيم و التلوين. [صفحة ٢٦٦] و تكاد تكون زخرفة كل لوح تختلف عن اللوح

الآخر، وقد عرف هذا النقش بنقش (الخاتم) وهو أدق وأجمل نقش معروف. وقد استعمل للزخرفة والتطعيم خشب الأبنوس، و العناب، والليمون، والصاج، وعظم العاج، والجمل، والحصان، والأصداق، وسبائك البرونز، والمعادن الملونة، من مذهبة ومفضضة، والأصباغ المعنوية الملونة البراقعة، ودهن الصندلوس، و مواد دهنية أخرى، الى غير ذلك مما لا يمكن استيفاء وصفه، كما تزين بعض الألواح كتابات نسخية مركبة متداخلة بأحرف بارزة واضحة جميلة، وقد كتب بعض الكلمات بالخط الكوفي على طريقة النقش للترزين... [٣٦١]. وليس فيما تقدم وصفه مبالغ أو اضافة، بل هو واقع مشاهد ميدانيا أدركناه بأنفسنا، ولو سمح للخيال أن يتأق باختيار ألفاظ الوصف لما فيه من الابداع وحسن الصنعة، لفاق الوصف هذا القدر من الاضاءة والتنوير. «و الصندوقان مغلفان بالزجاج السميكة حماية لهما من الغبار، وقد شارك في نفقة هذا الزجاج كل من الحاج عبدالهادي الجلبى الكاظمي والحاج محمد على أبو الصمون. وسقف الضريح من الداخل من الخشب الساج الجيد المصنوع على شكل نقوش هندسية وزهريه... ان طول كل روضة عشرة أمتار و اثنان وستون سنتمترا، بعرض سبعة أمتار وخمسة وخمسين سنتمترا، وطول كل من الطريقين الموصولين بين الروضتين ٦.٧٤ م بعرض ١.١٧ م. [صفحة ٢٦٧] والروضة بقسميها وطريقيها مبلطة بالرخام الجيد، وتزين جدرانها من الأرض الى ارتفاع ١٤٠ سم قطع الرخام أيضا، وقد تم عمل هذا الرخام في ٢٥ محرم الحرام سنة ١٣٧٠ هـ. لم يلى الرخام كتابة قرآنية بعرض ٧٥ سم، وتبدأ بعدها النقوش الزجاجية الرائعة المسماة ب (العينه كارى) مرتفعة على الجدران الى باطن القبتين المنقوش بنفس بالكاشاني الجميل، وفي أعلى الروضتين نوافذ للتهوية والنور تنفذ الى سطح الحرم، ويرتفع كل واحد منها حوالي مترين، وفوق هذه النوافذ من الخارج كتيبة قرآنية من الطابوق الكاشاني بعرض ٦٠ سم، تدور حول سطح الروضتين، وقد جدت سنة ١٣٨٧ هـ. والقبتان والمآذن الأربعة الصغيرة مغلفة - بأجمعها - بالذهب، وكذلك المآذن الأربعة الكبيرة في قسميها العلوي من مكان وقوف المؤذن فيها الى قمتها. وعلى الرغم من عدم استطاعتنا تحديد ارتفاع القبتين والمآذن وضبط قطر كل منها، فقد علمنا من بعض المطلعين أن عدد الطابوق الذهبي في كل قبة سبعة آلاف طابوقه بامتداد ٢٠ سم ضربدر ٢٠ سم لكل واحدة» [٣٦٢]. هذه قسبات لامعة - قد تكون مفيدة - من تاريخ المشهد الكاظمي ضمت بين دفتيها أبعادا وصفية ميدانية لضريحى الامامين العظيمين موسى بن جعفر ومحمد الجواد (عليهما السلام) وهى تسجل جزءا من التطور التاريخي الجارى على المشهد فى نظرات سريعة. وهنا ينبغى أن نشير أن سيدنا الأستاذ الامام السيد أبو القاسم الخوئى «قدس سره»، قد أوعز قبل ربع قرن من الزمان باقامة ضريح [صفحة ٢٦٨] جديد نفيس للروضة الكاظمية المقدسة، وتصميم ذلك وفق أحدث المواصفات الفنية التى تتوافق ومعالم التطور الحضارى فى صنع الضرائح جده وهندسة وبراعة ومادة مزيجة بين الذهب الخالص والفضة المنتقاء، ولوائح الزجاج المرمرى النفيس، و صفائح الساج الثمين، وقد حالت الحكومة البائدة والحرب العراقية الايرانية عن وصوله الى الكاظمية، وقد علمت - اجمالا - بأنه صنع بأمانة واتقان على أيدي أمهر الصناع والعملة والمهندسين المتخصصين فى العالم. وفى عام ٢٠٠٤ م قدمت لجنة من العلماء والتجار وأرباب الصناعة ورجال الفن، وكان من بينها صديقنا العلامة الجليل الشيخ محمد رضا الروحانى - كما أخبرنى بذلك وهو أحد تلامذة سيدنا الأستاذ الخوئى «طاب ثراه»، وهم يحملون الضريح المطهر بصناديق وخزائن محكمة لغرض القيام بنصبه. وقد تم نصبه فى موقعه من الروضة الكاظمية المباركة على القبرين الشريفين منذ عام على ما حدثنى به ولدنا المفضل الشيخ حسين آل ياسين «دام مجده»، ولم أستطع الوقوف على ذلك بنفسى، فقد حالت برامج الارهاب الدموى، وجرائم القتل السياسى والطائفى عن سفرنا الى بغداد والكاظمية منذ سقوط النظام وحتى اليوم: الجمعة ١١ / شوال / ١٤٢٧ هـ مساوى ٣ / ١١ / ٢٠٠٦ م. والله المستعان، وهو حسبنا ونعم النصير. [صفحة ٢٦٩]

قصيدتان للمؤلف فى الامام

نظم المؤلف قصيدتين في مدح الامام محمد الجواد (عليه السلام) كانت الأولى بتاريخ نيسان عام ١٩٧٦ م، و كانت الثانية بتاريخ ٤ / ٥ / عام ١٩٩٩ اثر شفائه من عملية جراحية كبرى تعرض بعدها لمضاعفات أشرفت به على الموت فنذر الله تعالى ان هو شافاه أن يحيى الامام محمد بن علي الجواد بقصيدة فكان ذلك. القصيدة الأولى، و عنوانها: [صفحة ٢٧٠]

الامام محمد الجواد

سموت... و أنت سر في اعتقادي بمنزلة الشغاف من الفؤاد و رمز للأصالة و التسامي و فيض للاحاطة و السداد و كنز من كنوز العلم أضفى على الآفاق باب الاجتهاد و ركب من فتوة هاشمي حيث الخطو... صلب الانقياد ركينا... لم تزلزه الرزايا و قد لاقى صنوف الاضطهاد و تعرکه الصروف فيحتويها حديد الطرف... ممتنع الرقاد يدير الحق في عزم و حزم و يمضى الأمر في أى اعتداد لقد نفست بك الدنيا فريدا فحزت المجد فيها بانفراد تعج بك المآثر و المعالي و تفتخر الحواضر و البوادي رأى التاريخ فيك عميد دين رفيع الشأن... منتصب العماد فقلدك الخلود... و كنت فذا بعيد الغور... رحب الامتداد تجلى نورك الألق اتقادا فغطى كل نور و اتقاد فأنت لكل مكرمة فتاها و أنت الصوت فيها و المنادى سليل محمد... و فتى على و صنو طريف مجدك و التلاد فما «سقراط» الا مستمد لحكمتك المنوطة بالرشاد و «رستاليس» قد قصرت يدها و «افلاطون» دونك في العداد [صفحة ٢٧١] و كل فضيلة رسمت... تنادى بفضلك... و الشمائل... و الأيادي أراد الله رفعك سرمديا فأنى تستطيل يد العباد؟ و أنى يستعيد الشعر معنى؟؟ و أنت بكل معنى مستعاد اذا العلماء قد منعوا حديثا فقد نشرت فضائلك الأعدى و ان حبس اللسان القول عيا فمجدك ناطق في كل ناد و ان عصفت بمغناك الرزايا فذكرك سائر بين البلاد تؤم ضريحك الأرج المندى و فود الله من حضر و باد فيعمر بالصلاة و بالتناجي و يزهر بالدعاء و بالسهاد كأن المسك ضمخ جانبه بأشذاء الروائح و الغوادي يباكره الندى غضا ذكيا و يسقى روضه صوب العهد (أبا الهادي) سلام الله يسرى على تاريخك النضر المعاد و عمر بالصلاح قضى شبابا ذخيرته المزيد من الجهاد كأن الخمسة العشرين عاما حياة معمر صلب القيادة كشف بها عن الأمد المجلى و طلت بها الجياد من الطراد سديد الرأى... لم تهدأ عصوفا يحيل رؤى الطغاة الى رماد و يعتصر النضال يحف عودا ليوريه بأى شبا زناد و يدفع بالضمير... و قد تهادى: الى لقيا مراح مستراد الى كنف الرجولة و المعالى و أروقة المروءة و النجاد فكان النبيل مندفعاً سيولا و كان الفضل يزخر بازدياد [صفحة ٢٧٢] و سار العلم فى ركب وقور صليب العود... مخضر المداد فلتاريخ ما أبقي جهاد و للأجيال أصداء الجلال لقد ضمدت جرح الدين فيه و هل تؤسى الجروح بلا ضماد فأنت (العروة الوثقى) بحق و حصن الله فى الكرب الشداد و (باب للحوائج) جئت أسعى اليه... فطاب لى نيل المراد و سرت على خطاه بلا انحراف و صرت على هداه بلا ارتداد على باب الجواد أنخت ركبى فكان الفتح فى (باب الجواد) و لا عجب... فقد قالوا قديما: (و فدت على الكريم بغير زاد) [صفحة ٢٧٣]

فتى الرضا

أما القصيدة الثانية للمؤلف فى الامام محمد الجواد (عليه السلام)، فعنوانها: فتى الرضا... لآحرنا منك مكتسبا و أنت فى الله ما أعطى و ما وهبا تستلهم النعمة الكبرى... فتمنحها قلبا جريحا... و فكرا و اجما و صبا تشيع فيه حياة الخير فارهة و تسترد عليه كل ما سلبا تهدى الى الحق فى عليائه غدقا و تحمل الصدق... اما حالفوا الكذبا سيرتها حكما فى الكون غامرة من شئت مهتديا أو شئت محتسبا تلود فيك الليالى من جرائرها و تستجير بك الأيام منقلبا أنت الامام الذى ترجى شفاعته يوم القيامة... أما برء و أبا زورا (الجواد) و أموا قدس ساحته فكل فخر الى أمجاده انتسبا تجاوز الدهر تاريخا و فلسفة و راح ينشد هذا العالم الرحبا كالفجر تستقطب الدنيا أشعته و البحر يرسل فى أمواجه السحبا فكر (الأئمة) نور يستضاء به يضم مقربا منا و مقتربا محلقا فى الذرى... لم يلف شائبة و لا ثقلت فى الميزان و اضطربا و فيضه كشعاع الشمس فى فلكك على سرادق (أهل البيت) قد ضربا فى الأرض منه ترانيم و هيمنة و فى السماء دوى

يخرق الحجاب [صفحہ ٢٧٤] وفي (الجواد) تراءى الغيب ملحمة تستمطر الغيث أو تستنزل الشهاب فتى من (الخمس والعشرين) في لجب طوى بخبرته الأجيال و الحقبا قديس مجتمع... عملاق فلسفه ربان عائمه تجرى بها خببا الحلم و العلم و الأعداد طائفه من الخصائص... لاعيا و لا نصبا و قبه الوحي في أسمى مدارجها تغذو العقول و تزجى المرتع الخصبا القائد الفذ... لم تفتت عزائمه و الرائد الأمر... رأسا يسحق الذنبا شبيه (يحيى) و (عيسى) في امامته من يقرؤ الذكر يبصر آيه عجا ردا الألوفا على الأعقاب، يحشدها (المؤمن)... لا منطقا تبدى و لا ذربا ما كان غير (أبى الهادى) بحجته ليستطيل عليها منعه و ابا تلك الأراجيف قد نآت فما وجدت غير (الجواد) اماما يكشف الريا ترخى الامامه أثقالا... فيحملها رساله... و يعيها مشفقا حدبا يا من رأى الشاطى الميمون طائرته يهدى السلامة من أسرى و من ركبا و يا نزيلا على بغداد محتضنا فى (الكاظميه) جدا خاشعا رهبا (موسى بن جعفر) من جلت مواقفه و من تحدى من الطغيان مؤتسبا حلف السجون... بحيث الدهر ذو غير و الملك يهتز فى أعطافه طربا حسب الطواغيت أياما مزلزله أما (الأئمة)... فالناجون منقلبها ها... بعد لم تنقض الدنيا... و مجدهم يعلو النياشين و الألقاب و الرتبا أما (على) فقد أبقت فضائله فى الخافقين سجلا حافلا رحبا [صفحہ ٢٧٥] و قد سما (الحسن الزاكي) بحكمته ظلا و حاز (الحسين) السبق و القصبا حسب (الصحيفه) زين العابدين هدى و (باقر العلم) أبقى منها عذبا و (صادق القول). عملاق بأوديه من العلوم تريك الدر مخشلبا و (كاظم الغيظ) فى بر و فى دعه يهدى الرضا حكمه و الحلم و الغضبا حتى اذا زخر الوادى بمائج من (الجواد) رأيت الخصب و العشب غذى المعارف أجيالا بما وهبا و قد أفاض عليها النوز منسكبا رساله بقم التوحيد هادفه توحد الفكر و الاسلام و العربا يا سيدى ان بعض الشعر منطلق من الضمير نداء صارخا لجبنا شربت حبكم طفلا... و خامرنى فتى... و ذا الشيب فى رأسى قد التهبأ أرجوا الممات عليه فى ولايتكم من يأمن البدء فيكم... يأمن العقبا ما كنت اسأل اذ أبدى ولايتكم أجرا... سوى آيه القربى لمن نسبا فأنتم الآيه العظمى التى نطقت بالمعجزات... و كل الكائنات هبا و أتم الحجبه الكبرى... و عندكم علم الكتاب... و ما قد خط أو كتبا الواقفون على (الأعراف) تكرمته و الحاملون لواء الحمد منتصبا غدا شفاعتكم ترجى... و رحمتكم تجرى... لتنقذ هذا المذنب الثربا فكم له وقفه فى الدهر فجرها مجاهدا فى سبيل الله محتسبا و اليوم يأمل أن يشفى على يدكم و من أتى البحر حاز اللؤلؤ الرطبا تنازعته من الأمراض جمهره فعاش ما عاش منهوكا و محتربا [صفحہ ٢٧٦] باب (السلطين) لم يعرف أزقتها و (باب حطه) يسعى منه مقتربا يابى له الفكر خطا طائشا نزقا و رب ثورة فكر أعقت لعبا صبيرا على الحق... لا يبغى به بدلا فما تنكب يوما نهجه الصعبا ٢٥ / ١٢ / ١٩٩٩ - ٢٧ / شعبان / ١٤٢٠ هـ. [صفحہ ٢٧٧]

خاتمة المطاف و نتائج البحث

بعد هذه المسيره الممتعه الحافله بسيره الامام التاسع من أئمه أهل البيت الاثنى عشر (عليهم السلام)، الامام محمد الجواد (عليه السلام) الذى كان بحق (معجزة السماء فى الأرض) فى الخصائص و المميزات و الادراك الرسالى منذ صباه حتى شبابه المحترم بالاغتيال، حتى عاد و حيد عصره فى المآثر و المفآخر و علوم العتره الطاهره، بما تحدثت عنه فصول هذه الرساله بتكثيف مركز، و ايجاز معمق، ربما أمكننا القاء بعض الضوء على أهم ما توصلنا اليه من حقائق صادعه تجمل بشكل نقاط رئيسه، اكمالا لمتطلبات البحث العلمى الموضوعى. ١- توصلنا فى الفصل الأول الى صيغه ذات عمق تاريخى شملت ترجمه الامام و نشأته المثاليه و خصائصه الانسانيه، و رعايته لأتباعه و أوليائه، و ابراز تلك النعمات العرفانيه فى سلوكه (عليه السلام)، و من ثم عرضنا لطائفه من آراء علماء الأئمه و فقهاها و كتابها فى شخصيه الامام من جهات متعدده، بما نعهه بحثا تاريخيا و ذاتيا فى اطار مزدوج. ٢- بحثنا فى الفصل الثانى حياة الامام و موقفه الصلب فى عصر السلطين الذى عاش به، و كان ذلك البحث خارجا عن حدود المنهج التقليدى فى العرض و الأسلوب و النتائج، اذ خضع لفلسفه (النقد التاريخى) و استيحاء (البعد الاستقرائى) لظواهر عصر السلطين فى مفارقاتها و افرازاتها، و مدى قلق الحاكمين من تصاعد شعبيه الامام، [صفحہ ٢٧٨] و موقفه الصارم فى حياة المؤمن من الأحداث و التحديات، و تألق نجمه المعرفى

في شتى الحقول بما ثار الاعجاب من جهة، و الحقد من جهة أخرى، و رصد سياسة المأمون الدبلوماسية تجاه الامام، و عرض سيل المخالفات الصريحة للشريعة الغراء المتمثلة باندفاع النظام العباسي في عصر المأمون خليفة و ولاة و عمالا وراء الشهوات و الاسراف و العبث و المجون، بما ثبت فيه عدم صلاحية القائمين في النظام على الحكم باسم الاسلام. و أبان البحث مدى تخطيط المعتصم بن هارون الرشيد على تصفية الامام حسدا حينما ظهر الزخم القيادي للامام مشربا في التفاف القاعدة الجماهيرية حول سيادته المطلقة في التشريع و أداء الأحكام، و تفرده الخالص بالحب و المودة من قبل الشعب المسلم، بما فضحت به أعبوة الحكم و أكذوبة الدعوى بأولويته بالخلافه مع وجود الامام، مما جعل المعتصم حاقدا غاشما يعجل باغتيال الامام من وجه، و مما جعل أتباع الامام و أوليائه يعتقدون بأنه الامام القائم بالأمر فيملاً الأرض قسطا و عدلا بعد أن ملئت ظلما و جورا من وجه آخر، ذلك ما حدا بالامام أن يبين حقيقة الموضوع بكل وضوح، فكل امام قائم بأمر الله تعالى، و لكنه ليس الامام الذي يقوم بالسيف لتأسيس الدولة الاسلامية العالمية، فذلك هو الثالث من ولده، و هو الحجّة ابن الحسن العسكري عجل الله فرجه. ٣- و عرضنا في الفصل الثالث من البحث أخطر قضية في تاريخ الامامة، و اعتبرناها ظاهرة اعجازية خرقت نواميس الكون و مقاييس [صفحة ٢٧٩] العادة، و هي مسألة (الامامة في سن مبكرة) و أوضحنا من خلالها أن الله تعالى قد احتج للامامة في مرحلة الصبا بالنبوة في مرحلة الصبا حدو القذة بالقذة، فكما أرسل عيسى (عليه السلام) نيا في اليوم الأول من ولادته، و يحيى نيا صبيا، فكذلك كان الامام الجواد (عليه السلام) اماما مفترض الطاعة في السابعة من عمره الشريف، مؤيدا بالعناية الالهية، و مسددا باللمح الغيبي الذي اخترق حجب الثابت من الأنظمة الكونية الى المتحول من الارادة الاعجازية، فسار شيوخ الشيعة و أعلام الامامية و جمهرة الشعب المسلم وراء القول بامامة محمد الجواد (عليه السلام) بكل وقوف و اطمئنان، في حين عمد النظام الى استغلال هذه الظاهرة للطعن بالقائلين بامامة أهل البيت أجمعين، و لكنهم صدموا بأنها ورقة خاسرة، و فوجئوا بالامكانيات الهائلة لتي يتمتع بها الامام بعد تعرضه للاختبار العلمي من قبل أعدائه و أوليائه بالشكل الذي أثبت فيه بما لا يتقبل الشك صدق أمانته و خارق مؤهلاته و استيعابه لعلوم الدين و الدنيا و هو في عمر الصبا، فانقلب الأمر و بالا على السلطة أولا، و تثبتا لقلوب المؤمنين ثانيا، و كلا الأمرين قد أوجد حالة قصوى في اضطراب النظام العباسي من الامام المعجزة، و كان استقراء الغيب المجهول لدى الامام، و التحدث بما سيكون فكان من أبرز دلائل امامته المبكرة. ٤- و خصصنا الفصل الرابع من هذا الكتاب لاستقطاب المعالم التراثية للشريعة الاسلامية و المعارف الانسانية التي نهى بها الامام و عمل على نشرها في الآفاق من خلال التحدث عن علم أهل البيت و دوره الفاعل في تراث الامام العلمي، و اخترنا مروياته عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) [صفحة ٢٨٠] و مروياته عن جده أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) أنموذجا أرقى لذلك التراث الذي طبق الخافقين ذكره، و انتشر في العالم عطره، و أكدنا على الدور الريادي لتلامذة الامام من الرواة و المؤلفين خاصة في نشرهم لتراث الامام الخالد، و أعطينا لذلك فهرسةً بيلغرافية احصائية دقيقة، شملت عشرات العلوم الأساسية و عشرات العلوم التكميلية و عشرات العلوم الاضافية التي كتب بها المؤلفون، أو رواها المحذون، أو أثبتها المصنفون، بما يؤكد نظرية علم الامام الخارق للعادة و السنن الكونية الطبيعية، فكان ذلك من حسنات الدهر الكبرى في عطائه العلمي الثرى، و من مفاخر الدنيا في أصالته و موضوعيته. و من ثم أثبتنا على طريقة (الألقباء) معجما تراثيا حافلا بالألفاظ الجارية مجرى الأمثال لدى الامام، استوعبت معالم الآداب النفسية للانسان، و أكدت على التحلى بالشمائل و الفضائل و كرم النفس و الأخلاق و الصبر و المواساة و التوكل على الله، و الايثار و البر و الاحسان، مما ينبغي أن يتصف به الشعب المسلم، و لم نشرح ذلك و لم نعلق عليه بسبب بديهي، هو أن هذه الحكم الناطقة من (السهل الممتنع) فهي واضحة في التعبير، سليمة في الأداء، مفهومة لدى المتلقى، فقد روعى فيها من قبل الامام - فيما يبدو لى - أن تكون بالشكل الذي يعرفه كل واحد، و يفيد منه كل أحد، و ذلك احدى دلائل تفرس الامام في أساليب البيان العربي. ٥- و بحثنا في الفصل الخامس ذلك الأثر الضخم في فقاها الامام على سبيل النموذج لا الاحصاء فتناولنا قضية (الخمس) لأهميتها [صفحة ٢٨١] الخاصة، باعتبارها فريضة معطلة، و قد نص عليها القرآن العظيم، و أجرتها السنة النبوية، و منعت في العهد الراشدى الا في غنائم الحرب، و كان هنالك عرض موجز لتاريخ هذه المشكلة و

هي تخبو حيناً و تتوقد حيناً آخر، حتى اذا تسلّم الامام محمد الجواد القيادة الشرعية للأمة، أحيأ هذه الفريضة بشرائطها و أكد عليها في خطاباتة و مراسلاته، و شدد النكير على منعها و اختطافها، و ألزم أوليائه بدفعها، و كان بهذا و ذاك ممن ثبت مشروعية الخمس بعد ابتلاعه، و عبر من أثره في بناء هيكلية، مبدأ الامامة و المرجعية الدينية، فهو حق الله و رسوله و أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) يصرف في مواقعه المنصوص عليها في فروع الأحكام. و في ضوء حملات الاختبار للامام كان ليحيى بن أكرم قاضي القضاة في عصر المأمون خط استراتيجي في مسائله الامام عن أبرز ما يدور في ذهنه من مسائل يطرحها بسيطة غير معقدة، فينقض الامام كالصقر مفرعا و مفصلا و مشقا و مجزئا و مبرمجا لتعود المسألة الواحدة ذات أبعاد مكثفة ترعب ابن أكرم و تسقط في يده، فيعود متلمسا الجواب حريصا على الاستماع طالبا للمزيد من الايضاح، و قد اختلس اختلاسا حتى بان عجزه و ظهرت فهاهته في أكثر من مورد و مورد. و كان لفقهاء عصر الامام (عليه السلام) من وعاظ السلاطين في بلاط المعتصم العباسي شأن في انتزاع الرأي الصريح للامام في مسائل أكبرها قطع يد السارق، في حدود من الكف، و شروطه في الانطاق، و تفصيلاته الأخرى، و حينما يتحدثون بما يمليه الهوى و الاستحسان يكون الامام متحدثا بالدليل من القرآن و السنة النبوية، فيأخذ المعتصم بما قرر الامام [صفحة ٢٨٢] و يفتي به، فيمتلئ قلب ابن أبي دؤاد بالحق و الغيظ و الحسد، فيخطط للانتقام من الامام بما يشهد به على نفسه بأنه يدخل النار جراء و شايته بالامام و شحن صدر المعتصم عليه. و كان لعل الأحكام و بواعثها ملحظ موجز لدى الامام أشرنا اليه، اذ غطي على تراثه فما وصل الينا منه الا القليل، و كان هذا القليل مصدرا أساسيا لهذا الكتاب. ٦- و وجدنا الامام محمد الجواد منظرا احتجاجيا في بيئة علم الكلام و تنامي حركتها و اتساعها في عصر الامام، فأعطى الفصل السادس ملخصا معمقا لمناخ الحياة العقلية و الأفكار الكلامية في ذلك الأفق الذي رانت عليه سحب الانشقاق الداخلي في صفوف المسلمين، و الكشف عن موقع الامام و أثره في توحيد الكلمة و جمع شمل الأمة. و تناول الفصل فضلا عما تقدم قضايا التوحيد الالهى التي نهى الامام بالتنظير المنطقي لأعقد مسائلها مستدلا على ذلك بالقرآن الكريم في آياته المخصصة لتلك الأطاريح التي شغلت بال المتكلمين و الاحتجاجيين، فكان له قصب السبق في تنزيه البارى عن التجسيم و التشبيه و الرؤية، و تحليل الألفاظ في الذات و الصفات و الأسماء، و أمثال ذلك مما جاء نتيجة امتزاج المسلمين بالشعوب، و نشاط حركة الترجمة في الفلسفة و ثقافة الاغريق. و من ثم وجدنا الامام منظرا قديرا فيما ابتليت به السنة النبوية من الدس و الوضع و الافتراء و الاسرائيليات و ما أصلته مظاهر التعصب الأعمى و الفتن المذهبية... فكان الامام يرد الحديث المنسوب للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) [صفحة ٢٨٣] و هو مفترى عليه بما يستدل فيه عقلا- و نقلا- و رواية و دراية، و كان لحسن التأني و آداب المجاملة و لطيف التخلص دور فاعل في اسكات الخصم، و رد الحق الى نصابه، بعيدا عن الاثارة و الاستفزاز. ٧- و نهى الفصل السابع بأجواء استشهاد الامام (عليه السلام)، و كما مفصلا ناهضا بتوقع الامام الشهادة من خلال اخباره بها من جهة، و من خلال التوجه الطاغوتي للنظام باختطاف حياته الغضة في ريعان الشباب لما أخرج به ذلك النظام في كفاية القيادة و أبعاد شعبيته الجماهيرية و امتلاكه القاعدة الضخمة في ضمير الشعب المسلم، فاستدعى الى بغداد في عصر المعتصم و غادر مدينة جده (صلى الله عليه و آله و سلم) و أدى مناسك الحج و توجه الى مقر العاصمة للدولة العباسية. و تحدث الفصل عن كيفية اغتيال الامام مسموما بما ذكر من الروايات في ذلك، و اختار البحث منها الوجه الرابع بحسب القرائن التاريخية المؤيدة بشواهد الأحوال. و عرضنا الى دوافع اغتيال الامام بالقضاء الضوء على هزيمة الحكم العباسي على يد الامام، حينما أراد النظام أن يجعل من امامته المبكرة أضحوكة، و اذا بالصبي الامام يصبح أعجوبة في عمله الفياض، فتخشع له الأبصار و تمتد الأعناق مما شجع الى تسريع عملية التخلص منه و تصفيته جسديا، فقد تمسك الشعب المسلم بالامام في انارة معالم الطريق المستقيم، و ذلك ما يتقاطع عادة مع الخط العباسي في ادعائه الخلافة و قيادة الأمور، و اعتبروا توهج سمعة الامام تمثل الخطر الأقصى على مراكز الدولة و سلطة الحاكم باسم الاسلام، فعجلوا بالقضاء عليه في أول شبابه، و ذكر الفصل بايجاز تشييع جثمان الامام و دفنه الى جنب [صفحة ٢٨٤] جده الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) في مقابر قريش و هي الكاظمية اليوم. و تحدث الفصل بتكثيف معمق عن مشهد الامام الجواد (عليه السلام) في الكاظمية المقدسة في ضوء الكشف

الميداني و المشاهد الشخصية مفيدا كما كتبه الامام المجاهد الشيخ راضي آل ياسين في (تاريخ الكاظمية). و مما حبرته يد الفقيد السعيد العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه الله [٣٦٣] في كتابه (تاريخ المشهد الكاظمي). و قد جاء هذا الجزء من الفصل غنيا بالوصف الدقيق و الدراسة الميدانية التي تعطي الصورة الصادقة عن واقع المشهد المقدس في أبعاد قياسية و هندسية و رياضية و ذلك فضل من الله تعالى على عبده الذليل العاصي: محمد حسين على الصغير النجف الأشرف

باورقي

- [١] سورة التكوير، ٢٩.
- [٢] ظ، الكليني / الكافي ١ / ٤٩٢ به اضافته المفيد / الارشاد / ٣٣٩، الطوسي / تهذيب الأحكام ٦ / ٩٠، المجلسي / البحار ١ / ١ - ٢ - ١١، جواهر الكلام ٢٠ / ٩٩.
- [٣] ظ: المسعودي / اثبات الوصية / ١٨١، ابن شهر آشوب / وفيات الأعيان ٣ / ٣١٥، المجلسي / البحار ٥٠ / ١ - ٢ - ٧ - ١١ - ١٣ و سواها.
- [٤] ابن شهر آشوب / المناقب ٢ / ٤٢٦، ابن طعمة / مطالب السؤول ٢ / ٧٤، البحار ١٣ - ١١ - ٥٠، حيدر الحسنی / عمدة الزائر ٣٢٣ / ٣٢٣.
- [٥] المجلسي / بحار الأنوار ٥٠ / ١٤.
- [٦] ابن شهر آشوب / المناقب ٤ / ٣٩٤، المجلسي / بحار الأنوار ٥٠ / ١٠.
- [٧] المسعودي / اثبات الوصية / ٨١، المجلسي / البحار ٥٠ / ١٥.
- [٨] المجلسي / بحار الأنوار ٥٠ / ١٥ و انظر مصدره.
- [٩] المصدر نفسه ٥٠ / ٢٠.]
- [١٠] الكليني / الكافي ١ / ٣٢١.
- [١١] الصفار / بصائر الدرجات / ١٣٨، الطوسي / التهذيب ٦ / ٩٠، الداوودي / عمدة الطالب / ١٨٧، ابن العماد و شذرات الذهب / ٤٨، القندوزي / الينابيع / ٣٨٥.
- [١٢] الصدوق / عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٥٠.
- [١٣] الخطيب / تاريخ بغداد / ١٣٨، الطوسي / التهذيب ٦ / ٩٠، الداوودي / عمدة الطالب / ١٨٧، ابن العماد و شذرات الذهب / ٤٨، القندوزي / الينابيع / ٣٨٥.
- [١٤] الصدوق / معاني الأخبار / ٦٥.
- [١٥] باقر شريف القرشي / حياة الامام الجواد / ٢٦.
- [١٦] ظ: الكليني / الكافي / ٤٩٢، المسعودي / اثبات الوصية / ١٨١، المفيد / الارشاد / ٣٥٦، المجلسي / البحار ٥٠ / ١٣ - ٧ - ٢ - ١.
- [١٧] ظ، الكافي ١ / ٤٩٢، الطوسي / التهذيب.
- [١٨] ظ: الكليني / الكافي ١ / ٤٩٢، الطوسي / التهذيب ٦ / ٩٠.
- [١٩] ظ: المجلسي / البحار ٥٠ / ٧.
- [٢٠] ظ: المصدر السابق ٥٠ / ١١ - ٧، حيدر الحسنی / عمدة الزائر / ٣٢٤.
- [٢١] المسعودي / اثبات الوصية / ١٨١.
- [٢٢] الكليني / الكافي / ٤٩٢، المجلسي / البحار.

- [٢٣] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٥٠ / ١٥، و انظر مصدره.
- [٢٤] المصدر نفسه، ٥٠ / ٨.
- [٢٥] ظ: باقر القرشي / حياة الامام الجواد م ٢٧ عن مصباح الفقاهة.
- [٢٦] ظ: ابن شهر آشوب / المناقب ٤ / ٣٨٧، المجلسي / البحار ٥٠ / ٥٥.
- [٢٧] الطبري / دلائل الامامة / ٢٠٩.
- [٢٨] ظ: المجلسي / بحار الأنوار / ٢٠٩.
- [٢٩] ظ: باقر القرشي / حياة الامام محمد الجواد / ٢٧ عن مكارم الأخلاق / ٩٢.
- [٣٠] سورة ابراهيم، ٢٤.
- [٣١] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٢١.
- [٣٢] الصدوق / الكافي ١ / ٣٢٠، المفيد / الارشاد / ٣٥٧.
- [٣٣] الكليني / الكافي ١ / ٣٢٠، المفيد / الارشاد / ٣٥٧.
- [٣٤] ظ: الصدوق / عيون أخبار الرضا ٢ / ٢١٦.
- [٣٥] ظ: المصدر نفسه ٢ / ٢١٦.
- [٣٦] الكليني / الكافي ١ / ٣٢٢، البحار ٥٠ / ٣٦.
- [٣٧] ابن شهر آشوب / المناقب ٣ / ٤٩٤، البحار ٥٠ / ٥.
- [٣٨] ابن تيمية / منهاج السنة ٢ / ١٢٧، الصفدي / الوافي بالوفيات ٤ / ١٠٥.
- [٣٩] الكليني / الكافي ٤ / ٣٤، الصدوق / عيون أخبار الرضا ٢ / ٨.
- [٤٠] سورة البقرة. ٢٤٥.
- [٤١] سورة الطلاق، ٧.
- [٤٢] العياشي / تفسير العياشي ١ / ١٣١، المجلسي / البحار ٥٠ / ١٠٣.
- [٤٣] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٥٠ / ٤٤، و انظر مصدره.
- [٤٤] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٥٠ / ٥٢، و انظر مصدره.
- [٤٥] ظ: محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٤٩.
- [٤٦] ظ: المجلسي / بحار الأنوار ٥٠ / ٨٧، و انظر مصدره.
- [٤٧] ابن شعبة / تحف العقول / ٤٧٩.
- [٤٨] الحر العاملي / اثبات الهداة ٦ / ١٨٥.
- [٤٩] الكليني / الكافي ٥ / ١١٢ - ١١، المجلسي / البحار ٥ / ٨٧ - ٨٦.
- [٥٠] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام الجواد / ٧٦، و انظر مصدره.
- [٥١] الأربلي / كشف الغمة ٣ / ١٦١.
- [٥٢] الطوسي / الغيبة / ٢٢٦.
- [٥٣] ظ: باقر القرشي / حياة الامام الجواد / ١١٦، عن الكشي في رجاله.
- [٥٤] الكشي / رجال الكشي / ٥٥١، طبعة مشهد.
- [٥٥] الكشي / رجال الكشي / ٥٥١.

- [٥٦] ظ: المصدر نفسه / ٥٥١ - ٥٥٠.
- [٥٧] الطوسي / الغيبة / ٢٢٥.
- [٥٨] الكشي / رجال الكشي / ٥٠٦، المجلسي / البحار / ٥٠ / ١٠٩.
- [٥٩] الكشي / رجال الكشي / ٥٠٧.
- [٦٠] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام محمد الجواد / ١٧٢، و انظر مصدره.
- [٦١] الخوئي معجم رجال الحديث / ١٥ / ١٠٧.
- [٦٢] المفيد / الاختصاص / ٨٧، الكشي / الرجال / ٤٩٦، البحار / ٥٠ / ١٠٤.
- [٦٣] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ٥ / ٢٩٨.
- [٦٤] الكليني / الكافي / ١ / ٤٩٣، المجلسي / البحار / ٥٠ / ٦.
- [٦٥] الكليني / الكافي / ٢ / ٥٤٩.
- [٦٦] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ٥ / ٢٤٣.
- [٦٧] المصدر نفسه / ٥ / ٢٤٢.
- [٦٨] الأمين الحسيني العاملین أعيان الشيعة / ٤ / ٣ / ٢٤٥ و انظر مصدره.
- [٦٩] سورة البقرة، ١٨٦.
- [٧٠] سورة النور، ٧٧.
- [٧١] الكليني / الكافي / ٢ / ٥٣٤.
- [٧٢] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد الجواد / ٧٠.
- [٧٣] الكليني / الكافي / ٢ / ٥٤٨.
- [٧٤] الكليني / الكافي / ٢ / ٥٤٨.
- [٧٥] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ١٠ / ٢٣٢.
- [٧٦] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام محمد الجواد / ٧٣، و انظر مصدره.
- [٧٧] ظ: المجمع العالمي لأهل البيت / الامام محمد بن علي الجواد / ٣١، و انظر مصدره.
- [٧٨] سورة مريم، ١٧.
- [٧٩] سورة آل عمران، ٤٢.
- [٨٠] سورة آل عمران، ٤٥.
- [٨١] سورة طه، ٣٩ - ٣٨.
- [٨٢] المسعودي / اثبات الوصية / ٢١٢.
- [٨٣] ابن طلحة / مطالب السؤل / ٢ / ٧٤.
- [٨٤] الصفدي / الوافي بالوفيات / ٤ / ١٠٥.
- [٨٥] ابن شهر آشوب / المناقب / ٤ / ٣٦٢.
- [٨٦] ظ: المجمع لأهل البيت / الامام محمد بن علي الجواد / ٢٤ / من جامع كرامات الأولياء.
- [٨٧] ابن تيمية / منهاج السنة / ٢ / ١٢٧.
- [٨٨] ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٨٦.

[٨٩] ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة ١٠٣٥ / ٢.

[٩٠] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٦٣.

[٩١] المفيد / الارشاد / ٣٥٩.

[٩٢] ظ: محسن الأمين الحسيني / المجالس السنية / ٥ / ٤٦٤.

[٩٣] الزركلي / الأعلام / ٧ / ١٥٥.

[٩٤] الأمين الحسيني العاملي / أعيان الشيعة / ٤ / ٣ / ٢٢٥.

[٩٥] هاشم معروف الحسني / سيرة الأئمة الاثني عشر / ٤ / ٤٦٤.

[٩٦] باقر شريف القرشي / حياة الامام محمد الجواد / ١ / ١٢ و ١٧.

[٩٧] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٢٠.

[٩٨] ظ: ابن خلدون / المقدمة / ١٨٠ - ١٧٩.

[٩٩] ظ: المصدر نفسه / ١٨٠.]

[١٠٠] البشاري المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم / ٦٤.

[١٠١] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٣٣.

[١٠٢] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٣٧.

[١٠٣] ظ / الحضارة العربية / جاك. س. ريسلر / ١٠٨.

[١٠٤] ظ: ابن عبد ربه / العقد الفريد / ٣ / ٢٥٤.

[١٠٥] الأبشهي / المستطرف / ٢ / ٣٠٦.

[١٠٦] أبو الفرج الأصبهاني / الأغاني / ١٩ / ١٣٨.

[١٠٧] ظ: المصدر نفسه / ٦ / ٧٥.

[١٠٨] الدميري / حياة الحيوان / ٥ / ١١٥.

[١٠٩] ظ: طيفور / تأريخ بغداد / ٣٦.

[١١٠] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام محمد الجواد / ٢٢٥ عن التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية / ١٧٧.

[١١١] محمد كرد علي / الاسلام والحضارة العربية / ٢ / ٢٣١.

[١١٢] ظ: الطبري / التأريخ / ٨ / ٥٧٨، ٨ / ٦٥٦، الأصبهاني / الأغاني / ١٠ / ١٣٠، ١٦١، ١٦٤.

[١١٣] ابن حجر / الصواعق المحرقة / ١٢٣.

[١١٤] ظ: سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ٣٦٦ - ٣٦٥.

[١١٥] المفيد / الارشاد / ٣٥٩.

[١١٦] ظ: المسعودي / اثبات الوصية / ١٨٦.

[١١٧] ظ: ابن الصباغ / الفصول المهمة / ٢٤٨، ابن شهر آشوب / المناقب / ٢ / ٤٣٣، ابن طلحة الشافعي / مطالب السؤول / ٢ / ٧٤.

[١١٨] ظ: المسعودي / اثبات الوصية / ١٨٩ - ١٨٧، المفيد / الارشاد / ٣٦٠ - ٣٥٩، الطبرسي الاحتجاج / ٢٢٩ - ٢٢٧، ابن شعبة / تحف

العقول / ٣٣٨ - ٣٣٥، المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٧٥ - ٧٤.

[١١٩] سورة النور. ٣٢.

[١٢٠] ظ: المفيد / الارشاد / ٣٦١ - ٣٦٢، الطبرسي الاحتجاج / ٢ / ٤٧٥.

- [١٢١] الصدوق / من لا يحضره الفقيه / ٣ / ٢٥٢.
- [١٢٢] المفيد / الارشاد / ٣٦٢ / المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٧٧.
- [١٢٣] ظ: المفيد / الارشاد / ٣٦٤ / المسعودي / اثبات الوصية / ١٨٩، ابن شعبة / تحف العقول / ٣٣٨، الطبرسي / الاحتجاج / ٤٧٧.
- [١٢٤] ابن شعبة / تحف العقول / ٤٧٩ / المطبعة الاسلامية.
- [١٢٥] اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي / ٣ / ١٨٢.
- [١٢٦] باقر شريف القرشي / حياة الامام محمد الجواد / ٢٣٨.
- [١٢٧] ظ: الكليني / أصول الكافي / ١ / ٤٩٤.
- [١٢٨] ظ: المفيد / الارشاد / ٣٦٤.
- [١٢٩] ظ: الطبري / تاريخ الامام و الملوك / ٨ / ٦٢٣.
- [١٣٠] دونالدسن / عقيدة الشيعة / ٢٠٢.
- [١٣١] المفيد / الارشاد / ٣٣٣٦٤.
- [١٣٢] المصدر السابق.
- [١٣٣] ظ: ابن عبد ربه / العقد الفريد / ٥٠ / ١٢١ - ١٢٠.
- [١٣٤] الطبري / التاريخ / ٩ / ١٢١، المسعودي / مروج الذهب / ٤ / ٣، السيوطي / تاريخ الخلفاء / ٢٢٢.
- [١٣٥] ظ: الطبري / التاريخ / ٩ / ١٢١، المسعودي / مروج الذهب / ٤ / ٣.
- [١٣٦] ظ: باقر شريف القرشي / حياة الامام الجواد / ٢٦٧ و انظر مصدره.
- [١٣٧] ظ: محمد كرد علي / الاسلام و الحضارة العربية / ٢ / ٤٤٩.
- [١٣٨] ظ: المسعودي / مروج الذهب / ٤ / ٩.
- [١٣٩] ظ: المسعودي / مروج الذهب / ٤ / ٩، السيوطي / تاريخ الخلفاء / ٢٢٣.
- [١٤٠] ظ: الدكتور أحمد امين / ظهور الاسلام / ١ / ٥ - ٤.
- [١٤١] ظ: الطبري / التاريخ / ٩ / ١١، الأصبهاني / الأغاني / ١ / ١٣٣ / ٢١٠.
- [١٤٢] ظ: المفيد / الارشاد / ٣٦٨، ابن الصباغ / الفصول المهمة / ٢٦٢، ابن شهر آشوب / المناقب / ٤ / ٣٧٩، ابن حجر / الصواعق /
- ١٢٣، القندوزي / ينابيع المودة / ٣٦٥، المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٨٠.
- [١٤٣] ظ: المجلسي / البحار / ٥٠ / ٨.
- [١٤٤] ظ: المسعودي / اثبات الوصية / ١٩٠.
- [١٤٥] المجلسي / البحار / ٥٠ / ١٦.
- [١٤٦] المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٥٣ / و انظر مصدره.
- [١٤٧] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٥٠.
- [١٤٨] محمد حسين آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٣٦.
- [١٤٩] سورة البقرة، ١٤٨.
- [١٥٠] الصدوق / كمال الدين و تمام النعمة / ٢ / ٤٩.
- [١٥١] المفيد / الارشاد / ٣٥٧.
- [١٥٢] الصدوق / اكمال الدين و اتمام النعمة / ٢ / ٤٩ - ٤٨.

- [١٥٣] النعماني / الغيبة / ١٣٥.
- [١٥٤] النعماني / الغيبة / ١٤٢.
- [١٥٥] سورة يس، ٣٦.
- [١٥٦] سورة آل عمران، ٥٩.
- [١٥٧] ظ: المؤلف، ملامح الاعجاز في القرآن العظيم (بحث) من كتابه: نظرات معاصرة في القرآن الكريم، ١٠.
- [١٥٨] ظ: اليعقوبي / التاريخ / ٣ / ١٨، الطبري / التاريخ / ٨ / ٥٦٨، الكليني / الكافي / ١ / ٤٨٦، المسعودي / مروج الذهب / ٣ / ٣٥٠، الصدوق / عيون أخبار الرضا / ١ / ٢٩٨، الطوسي / التهذيب / ٦ / ٨٣.
- [١٥٩] سورة المائدة، ٥٦ - ٥٥.
- [١٦٠] سورة النساء، ٥٩.
- [١٦١] سورة الأحزاب، ٣٣.
- [١٦٢] سورة البقرة، ١٢٤.
- [١٦٣] سورة مريم، ١٢.
- [١٦٤] سورة الأحقاف، ١٥.
- [١٦٥] المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٢٠ و انظر مصدره.
- [١٦٦] محمد باقر الصدر / بحث حول المهدي / ٩٨ - ٩٧.
- [١٦٧] المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ١٠٨.
- [١٦٨] سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ٣٨٦.
- [١٦٩] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٣١.
- [١٧٠] المفيد / الاختصاص / ١٠٢، المجلسي / البحار / ٥٠ / ٨٦ - ٨٥.
- [١٧١] الكليني / الكافي / ١ / ٣٢١، المفيد / الارشاد / ٣٥٧، المجلسي / البحار / ٥٠ / ٢١.
- [١٧٢] ظ: ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٨٩.
- [١٧٣] المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ١٠٠ - ٩٩.
- [١٧٤] المصدر السابق.
- [١٧٥] أبو الفرج الأصبهاني / مقاتل الطالبين / ٣٩٦.
- [١٧٦] المجلسين بحار الأنوار / ٥٠ / ١٠١ - ١٠٠ / و انظر مصدره.
- [١٧٧] الكليني / الكافي / ١ / ٤٩٦.
- [١٧٨] ظ: المجلسي / التجار / ٥٠ / ٢٢١ / و انظر الهامش مصدره.
- [١٧٩] ظ: الترمذي / الصحيح / ٥ / ٣٠١، الذهبي / ميزان الاعتدال / ١ / ٤١٥، الحمويني / فرائد السمطين / ١ / ٩٨، أبونعيم / حلية الأولياء / ١ / ٦٣، الأميني / الغدير في الكتاب و السنة و الأدب / ١ / ٧٧ - ٦١.
- [١٨٠] ظ: البخاري / الجامع الصحيح / ٤ / ١٢٩، أبا داوود / السنن / ٢ / ٤١٠، الترمذي / الصحيح / ٤ / ٤٨٣، أحمد بن حنبل / المسند / ٤ / ٢٥٤، ٥ / ٣٨٥، ٣٨٩، ٤٠١ و سواها من صحاح الجمهور.
- [١٨١] الكليني / الكافي / ١ / ٢٤٢.
- [١٨٢] الكليني / الكافي / ١ / ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١، المفيد / الارشاد / ٢٩٢.

- [١٨٣] الكليني / الكافي / ١ / ٢٢١.
- [١٨٤] حاجي خليفة / كشف الظنون / ١ / ٥٩١.
- [١٨٥] سورة لقمان، ٣٤.
- [١٨٦] محمد عبده / شرح نهج البلاغة للامام علي / ٢٣٩.
- [١٨٧] ظ: المؤلف / الامام جعفر الصادق / زعيم مدرسة أهل البيت / ٢٤٧ - ٢٤٦.
- [١٨٨] سورة الجن، ٢٧ - ٢٦.
- [١٨٩] ظ: الطباطبائي / تفسير الميزان / ٢٠ / ٥٣ بتصرف.
- [١٩٠] سورة السجدة، ٢٤.
- [١٩١] الكليني / الكافي / ١ / ٢٥٣.
- [١٩٢] الكليني / الكافي / ١ / ٢٥٦.
- [١٩٣] المصدر نفسه / ١ / ٢٥٦.
- [١٩٤] ظ: الراوندي / الخرائج و الجرائح / ٢٠٢، المجلسي / البحار / ٤٨ / ٦٤.
- [١٩٥] ابن عبد ربه / العقد الفريد / ٤ / ٦٧.
- [١٩٦] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٦٢.
- [١٩٧] الصفار / بصائر الدرجات / ٢٦٣، المجلسي / البحار / ٥٠ / ٣٨ - ٣٧.
- [١٩٨] الكليني / الكافي / ١ / ٤٩٥، المفيد / الارشاد / ٣٦٧.
- [١٩٩] المفيد / الارشاد / ٣٦٦.
- [٢٠٠] المجلسي / البحار / ٥٠ / ٤١ وانظر مصادره و راجع / الكليني / الكافي / ٤٩٥.
- [٢٠١] الكليني / الكافي / ١ / ٤٩٥، المجلسي / البحار / ٥٠ / ٤٢.
- [٢٠٢] المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٤٣.
- [٢٠٣] الراوندي / الخرائج و الجرائح / ٢٣٧.
- [٢٠٤] المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٤٥ وانظر مصادره.
- [٢٠٥] الصدوق / عيون أخبار الرضا / ٢ / ٢٤٠.
- [٢٠٦] الكليني / الكافي / ١ / ٣٢١، المفيد / الارشاد / ٣٥٧.
- [٢٠٧] المفيد / الارشاد / ٣٥٩ - ٣٥٨.
- [٢٠٨] المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٦٣.
- [٢٠٩] المسعودي / اثبات الوصية / ١٨٣.
- [٢١٠] ظ: المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٦٧.
- [٢١١] المفيد / الارشاد / ٣٥٩.
- [٢١٢] سورة مريم، ١٢.
- [٢١٣] المفيد / الارشاد / ٣ - ٢٧، الكليني / الكافي بسند آخر / ١ / ٣٢٢.
- [٢١٤] سورة مريم، ١٢.
- [٢١٥] سورة يوسف، ٢٢.

- [٢١٦] سورة الأحقاف، ١٥.
- [٢١٧] الصفار / بصائر الدرجات / ٢٣٨.
- [٢١٨] ظ: المجلسي / البحار / ٥٠ / ٧ / و انظر مصادره.
- [٢١٩] المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٤٦ - ٤٥.
- [٢٢٠] الكليني / الكافي / ١ / ٣٥٣.
- [٢٢١] ظ: الكليني / الكافي / ١ / ٤٩٤، المجلسي / البحار / ٥٠ / ٦٢ ز.
- [٢٢٢] سورة القمر، ٢٤.
- [٢٢٣] سورة القمر، ٢٥.
- [٢٢٤] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ٢١٦.
- [٢٢٥] الكشي / رجال الكشي / ٤٦٩.
- [٢٢٦] المحمودي: هو محمد بن أحمد بن حماد المروزي المتوفى أبوه في عصر الامام علي بن محمد الهادي (ع)، فكتب الامام الى ولده: قد مضى أبوك رضى الله عنه و عنك، و هو عندنا على حال محمود، و لن تبعد عن تلك الحال، فلقب بالمحمودي، و هو من أصحاب الامام الجواد و الهادي و العسكري (ع)، فهنيئا لك على هذه الكرامة. ظ: المجلسي / البحار / ٥٠ / ٩٤ / هامش المحقق.
- [٢٢٧] ظ: المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٩٠.
- [٢٢٨] ظ: المصدر السابق / ٥٠ / ٩٨ عن منهج الدعوات / ٤٨ - ٤٤.
- [٢٢٩] ظ: المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٧١ و انظر مصادره.
- [٢٣٠] المفيد / الارشاد / ٣٥٧.
- [٢٣١] ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٩٣، المجلسي / البحار / ٥٠ / ٩.
- [٢٣٢] ظ: المؤلف الامام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت / ٢٦٩ - ٢٤٣.
- [٢٣٣] سورة الكهف، ٦٥.
- [٢٣٤] الكليني / الكافي / ١ / ٢٦٤.
- [٢٣٥] المفيد / الاختصاص / ٢٨٦، المؤلف / الامام موسى بن جعفر ضحية الارهاب السياسي / ٥٩.
- [٢٣٦] الأربلي / كشف الغمة / ٢ / ٤١٦.
- [٢٣٧] ظ: المؤلف / الامام موسى بن جعفر ضحية الارهاب السياسي / ٦٢.
- [٢٣٨] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٦٢.
- [٢٣٩] المصدر نفسه / ٣ / ١٥٦.
- [٢٤٠] كان الأستاذ آل ياسين / تحدث عن الجعفر و الجامعة باشارات فصلها في كتابه / الامام جعفر بن محمد الصادق / ١٦٩ - ١٥٥، اليافعي / مرآة الجنان / ٢ / ٨١، ابن طولون الدمشقي / الائمة الاثنا عشر / ١٠٣ / بيروت ١٣٧٧ هـ.
- [٢٤١] ظ: الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد / ٣ / ٥٤.
- [٢٤٢] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٦٣.
- [٢٤٣] المؤلف / الامام موسى بن جعفر / ضحية الارهاب السياسي / ٥٣.
- [٢٤٤] باقر شريف القرشي / حياة الامام الجواد / ٩.
- [٢٤٥] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٣٧.

- [٢٤٦] الصفدي / الوافي بالوفيات / ٤ / ١٠٦، ابن طولون / الاثمة الاثنا عشر / ١٠٣.
- [٢٤٧] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٣٨.
- [٢٤٨] الطبرسي / الاحتجاج / ٢ / ٤٧٧.
- [٢٤٩] المصدر نفسه و الصفحة / و ينظر هذا الحديف في: البخارى / الصحيح / ١ / ٣٧.
- [٢٥٠] ظ: باقر شريف القرشى / حياة الامام محمد الجواد / ٨٤ و انظر مصدره.
- [٢٥١] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٤٢.
- [٢٥٢] المصدر نفسه / ٣ / ١٤٢ - ١٣٧.
- [٢٥٣] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٣٨.
- [٢٥٤] حاجي خليفة / كشف الظنون / ١ / ٥٩١.
- [٢٥٥] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٦١.
- [٢٥٦] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٣٨.
- [٢٥٧] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ٨ / ٥٨.
- [٢٥٨] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٣٨.
- [٢٥٩] المصدر نفسه / ٣ / ١٣٩ - ١٣٨.
- [٢٦٠] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٣٩.
- [٢٦١] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ١٤٠.
- [٢٦٢] المصدر نفسه / ١٤٢ - ١٤٠.
- [٢٦٣] الصدوق / عيون أخبار الرضا / ٢ / ٥٤ - ٥٣.
- [٢٦٤] باقر شريف القرشى / حياة الامام الجواد / ١٣٣.
- [٢٦٥] سورة مريم، ١٢.
- [٢٦٦] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٧٣.
- [٢٦٧] ظ: محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٩٠ - ٧٤.
- [٢٦٨] ظ: القهبائي / معجم الرجال / ١ / ١٤٣ - ١٣٩ / طبعة طهران / ١٣٨٤ هـ.
- [٢٦٩] ظ: ابن النديم / الفهرست / ٢٧٧ / طبعة طهران / ١٣٩١ هـ.
- [٢٧٠] ظ: محمد حسن آل ياسين / الامام محمد بن علي الجواد / ٨١ - ٧٥.
- [٢٧١] الخوئي / معجم رجال الحديث / ٥ / ٢٤٨.
- [٢٧٢] ظ: ابن النديم / الفهرست / ٢٧٧، القهبائي / معجم الرجال / ٢ / ١٧٩، محمد حسن آل ياسين الكاظمي / الامام علي بن موسى الرضا / ١٤٢ - ١٤٠.
- [٢٧٣] ظ: المصادر السابقة / نفسها و الصفحات.
- [٢٧٤] ظ: النجاشي / رجال النجاشي / ٢٥٣.
- [٢٧٥] ظ: باقر القرشى / حياة الامام الجواد / ١٨٦ - ١٣٤.
- [٢٧٦] ظ: المجمع العالمي لأهل البيت / الامام محمد بن علي الجواد / ٢٠٩.
- [٢٧٧] سورة الزخرف، ٦٧.

- [٢٧٨] سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ٣٦٨.
- [٢٧٩] ظ: المؤلف في كتابيه: الامام محمد الباقر مجدد الحضارة الاسلامية، الامام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت.
- [٢٨٠] سورة الأنفال، ٤١.
- [٢٨١] المفيد / الأمالى / ٢٢٣ - ٢٢٤.
- [٢٨٢] ظ: الزمخشري / الكشاف / ٢ / ١٥٩.
- [٢٨٣] ظ: أبو عبيد / الأموال / ١٣٨. ط، مؤسسة ناصر / بيروت / ١٩٨١.
- [٢٨٤] ظ: ابن قتيبة / المعارف / ١٥٩ م. ط، دار الكتب المصرية / القاهرة / ١٩٦٠.
- [٢٨٥] أبو يوسف القاضي / الخراج / ١ / ١٦٨.
- [٢٨٦] أبو عبيد / الأموال / ١٣٧.
- [٢٨٧] محمد صادق الموسوي الخراساني / الخمس: الحوافز والمعطيات / ٧٤.
- [٢٨٨] ابن سعد / الطبقات / ١ / ١٦٨.
- [٢٨٩] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ٦ / ٣٨٣.
- [٢٩٠] سورة الأنفال، ٤١.
- [٢٩١] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ٦ / ٣٥٠.
- [٢٩٢] ظ: محسن الطباطبائي الحكيم / مستمسك العروة الوثقى / ٩ / ٥٢٨ - ٣٨٧.
- [٢٩٣] علي الحسيني السيستاني / منهاج الصالحين / ١ / ٤١٠.
- [٢٩٤] محسن الطباطبائي الحكيم / مستمسك العروة الوثقى / ٩ / ٣٨٦.
- [٢٩٥] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ٦ / ٣٤٨.
- [٢٩٦] الكشي / الرجال / ٤٩٧، البحار / ٥٠ / ٦٨ - ٦٧.
- [٢٩٧] الكشي / الرجال / ٥٠٦، المجلسي / البحار / ٥٠ / ١٠٩ - ١٠٨.
- [٢٩٨] الطوسي / الغيبة / ٢٢٧، المجلسي / البحار / ٥٠ / ١٠٥.
- [٢٩٩] ابن شهر آشوب / المناقب / ٣ / ٤٩٥.
- [٣٠٠] الطوسي / الغيبة / ٢٢٥.
- [٣٠١] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ٣٤٩.
- [٣٠٢] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ٦ / ٣٧٩.
- [٣٠٣] ظ: المصدر نفسه / ٦ / ٣٧٦ / و ما بعدها.
- [٣٠٤] ظ / المصدر نفسه / ٣ / ٢٥٣، ٣ / ٣٠٣، ٦ / ٣١، ١٣ / ٣٠٤، ٣٠٨، ١٤ / ٢٠٧، ١٥، ٣٢٠، ١٧ / ٦٧ و سوى ذلك.
- [٣٠٥] المفيد / الارشاد / ٣٦٣ - ٣٦٠.
- [٣٠٦] سورة المائدة، ٦.
- [٣٠٧] سورة المائدة، ٦.
- [٣٠٨] سورة الجن، ١٨.
- [٣٠٩] سورة الجن، ١٨.
- [٣١٠] ظ: العياشي / التفسير / ١ / ٣١٩، المجلسي / البحار / ٥٠ / ٧ - ٥٠.

- [٣١١] الكليني / أصول الكافي / ١ / ٣١٤.
- [٣١٢] سورة يوسف، ١٠٨.
- [٣١٣] الكليني / أصول الكافي / ١ / ٣١٥.
- [٣١٤] ابن شعبة / تحف العقول / ٤٥٤.
- [٣١٥] سورة البقرة، ٢٢٦.
- [٣١٦] سورة البقرة، ٢٣٤.
- [٣١٧] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ١٥ / ٤٥٢، الصدوق / علل الشرائع / ٧٢.
- [٣١٨] الحر العاملي / وسائل الشيعة / ١٥ / ٥٩٤.
- [٣١٩] المجتمع العاملي لأهل البيت / الامام محمد بن علي الجواد / ١٨٠ / و انظر مصدره.
- [٣٢٠] حسين ابراهيم حسن / تاريخ الاسلام السياسي / ٣٢٢.
- [٣٢١] غوستاف لوبون / حضارة العرب / ٢١٨.
- [٣٢٢] ظ: المؤلف / الامام موسى بن جعفر ضحية الارهاب السياسي / ١١٣.
- [٣٢٣] الكليني / الكافي / ٢ / ٤٦.
- [٣٢٤] ظ: الكليني / الكافي / ١ / ١١٧ - ١١٦، الصدوق / التوحيد / ١٤٣ - ١٤٢، الطبرسي / الاحتجاج / ٢ / ٤٦٨ - ٤٦٧.
- [٣٢٥] الكليني / الكافي / ١ / ٨٢.
- [٣٢٦] الصدوق / التوحيد / ١٦٤.
- [٣٢٧] سورة الأنعام، ١٠٣.
- [٣٢٨] الصدوق / التوحيد / ٦٩.
- [٣٢٩] سورة الزخرف، ٨٧.
- [٣٣٠] الكليني / الكافي / ١ / ١١٨.
- [٣٣١] سورة الاخلاص، ٢.
- [٣٣٢] الكليني / الكافي / ١ / ١٢٣.
- [٣٣٣] سورة ق، ١٦.
- [٣٣٤] سورة الأحزاب، ٧، و الآية لن ترد كلها في الرواية فأكملناها.
- [٣٣٥] سورة الحج، ٧٥.
- [٣٣٦] سورة الأنفال، ٣٣.
- [٣٣٧] الطبرسي / الاحتجاج / ٢٣٠ - ٢٢٩، المجلسي / البحار / ٨٣ - ٨٠.
- [٣٣٨] ظ: المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ٨، عن المناقب / ٤ / ٣٧٩.
- [٣٣٩] المفيد / الارشاد / ٣٦٩.
- [٣٤٠] ظ: المجلسي / البحار / ٥٠ / ٦٤، الحر العاملي / اثبات الهداة / ٦ / ١٩٠.
- [٣٤١] المجلسي / البحار / ٥٠ / ٦٣ عن المناقب / ٤ / ٣٨٩.
- [٣٤٢] المجلسي / البحار / ٥٠ / ٢.
- [٣٤٣] المفيد / الارشاد / ٣٦٩.

- [٣٤٤] الصدوق / اكمال الدين / ٢ / ٥٠.
- [٣٤٥] المجلسي / البحار / ٥٠ / ٨ و انظر مصدره.
- [٣٤٦] ابن شهر آشوب / المناقب / ٤ / ٣٧٩.
- [٣٤٧] العياشي / تفسير العياشي / ١ / ٣٢٠.
- [٣٤٨] المجلسي / بحار الأنوار / ٥٠ / ١٧ و انظر مصدره.
- [٣٤٩] المسعودي / اثبات الوصية / ٩٠.
- [٣٥٠] الكليني / الكافي / ١ / ٢٩٧، الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد / ٣ / ٥٥، ابن خلكان / وفيات الأعيان / ٣ / ٣١٥، ابن الصباغ / الفصول / ٢٥٨ /
- [٣٥١] ظ: الكليني / الكافي / ١ / ٤٩٢، المفيد / الارشاد / ٣٦٨ / الطوسي / التهذيب / ٦ / ٩٠، ابن حجر / الصواعق / ١٢٣، الشبلنجي / نور الأبصار / ١٤٩.
- [٣٥٢] ظ: المجلسي / البحار / ٥٠ / ١٥، محمد حسن النجفي / جواهر الكلام / ٢٠ / ٩٩.
- [٣٥٣] ظ: الكليني / الكافي / ١ / ٤٩٧، المسعودي / اثبات الوصية / ١٩٠.
- [٣٥٤] الأربلي / كشف الغمة / ٣ / ٢١٧.
- [٣٥٥] ظ، المجلسي / البحار / ٥٠ / ٧.
- [٣٥٦] محمد حسن آل ياسين / الامام محمد الجواد / ٥٤.
- [٣٥٧] راضي آل ياسين / تاريخ الكاظمية / ١٥٤.
- [٣٥٨] راضي آل ياسين / تاريخ الكاظمية / فصل منه / اعداد سبطه الطيب محمد حسين آل ياسين / ١٦٣ - ١٦٢. عن مجلة الهدى العمارية.
- [٣٥٩] المرجع السابق / ١٨٩ - ١٨٧.
- [٣٦٠] و يبدو لي أن هذه التسمية منشأ قديم يمتد لي عهد الرسول الأعظم (ص) حيث قال: (بين قبري و منبري روضة من رياض الجنة) فعمم هذا القول على الضرائح المقدسة، و وصف به حرم كل امام من أئمة اهل البيت عليهم السلام.
- [٣٦١] محمد حسن آل ياسين / تاريخ المشهد الكاظمي / ٧٠ - ٦٩.
- [٣٦٢] محمد حسن آل ياسين / تاريخ المشهد الكاظمي / ١٥٨ - ١٥٤.
- [٣٦٣] توفي الأستاذ محمد حسن آل ياسين عضوا المجمع العلمي العراقي و كبير علماء الكاظمية المقدسة قبيل الغروب من يوم السبت ٢٦ / جمادى الثانية / ١٤٢٧ هـ. ٢٢ / تموز / ٢٠٠٦ م و شيع تشيعا ضخما في الكاظمية، و دفن في حجرة لمشايع آل ياسين قرب (باب المراد) من الصحن الكاظمي الشريف. و كانت ولادته عام ١٣٥٠ هـ مساوي ١٩٣١ م في النجف الأشرف في أوائل مرجعية أبيه الآية الكبرى الامام الشيخ محمد رضا آل ياسين المتوفى ٢٨ / رجب / ١٣٧٠ هـ.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبَحَار - فِي تَلْخِصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَّامَةِ فَيْضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الْبَابُ ٢٨، ج ١ / ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجلَ اللهُ تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفي مصباحها، بل تتبج بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواء برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخر

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فاني / بنايه "القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنيّه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ان يوفق الكل توفيقاً مترائداً ليعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - ايانا في هذا الامر العظيم؛ ان شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

